مخطوطات الأديرة

مكتبة دير السيدة العذراء - السريان

الآباء الحاذقون فى العبادة

الجزء الأول

فى تدبير الفضيلة

لمار فيلوكسينوس

مخطوطات الأديرة
مكتبة دير السيدة العذراء بالسريان

الآباء الحاذقون في العبادة

الجزء الأول

لمار فيلوكسينوس

الطبعة الأولى
١٦٦٧ ش — ١٩٥١ م

مطبعة دير السيدة العذراء بالسريان

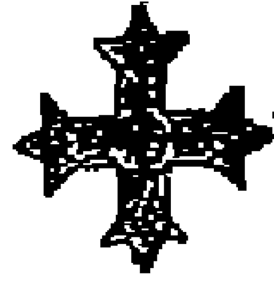


حضرة صاحب الغبطة البابا المعظم الانبا يوساب الثانى
بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

الفهرست

* ورد فى صفحة ٥٦ (الميمر الثامن) خطأ . ضع مكانها كلمة (رسالة)

ⲤⲨⲚ ⲐⲈ`Ⲱ باسم الله القوى ⲒⲤⲬⲨⲢⲞⲤ



المقـــدمة

لحياة الهدوء والسكون التى تتميز بها الرهبنة أثر عميق فيما تنتجه من مؤلفات وكتابات ، امتازت بالعمق والروحانية ودقة التأمل والخـــبرة الطويلة ونقاء الغاية التى تسمو بالكتابة عن التنسيق السطحى فحسب .

وظلت مؤلفات الآباء الرهبان على مر العصور من أهم أسس العلوم الكنسية والروحية قرونا طويلة . إلى أن غمرت المطبوعات الحديثة السوق فأختفت التعاليم القديمة التى انطوت عليها بطون المخطوطات حتى طغت فى عصرنا الحالى - عصر السرعة - روح التعاليم الحديثة التى تميل إلى العرض السريع دون الغور إلى الأعماق والتأمل الهادىء الطويل فتأثر بها القارىء المسيحى فى نواحى حياته المختلفة .

فإذا لاحظنا أن كل نهضة إصلاحية عامة تعتمد إلى حد كبير على الطباعة كوسيلة هامة فى ايقاظ الوعى العام واحيائه وتأملنا أن أبا الإصلاح (الأنبا كيرلس الرابع) حينما أراد أن يؤسس إصلاحه على قوام صحيح وجد لزاما أن يحضر من الخارج مطبعة خاصة للكنيسة وأمر بإستقبالها بإحتفال كنسى لما قدر لها من أثر عميق فى تدعيم أسس النهضة التى رجاها .

ولما كانت رغبة صاحب النيافة الأنبا ثاؤفيلوس أسقف دير السيدة

العذراء « السريان » فى النهوض بالرهبنة والرجوع بها إلى عصورها المزدهرة الأولى على أسس روحية وعلمية قويمة . عمادها المبادىء والتعاليم والقوانين الرهبانية القديمة التى وضعها القديسون مؤسسو الرهبنة الأولى ،

ولما كانت القوانين الرهبانية تجمع على ضرورة توزيع وقت الراهب اليومى على ثلاثة نواحى : ا ـ الصلاة ب ـ القراءة والدراسة والكتابة حـ ـ الأعمال اليدوية أى الجهد الجسدى .

وقد هيأ نيافته للرهبان فرص الدراسة المنتظمة للعلوم الكنسية والروحية بإنشاء مدرسة خاصة لهم داخل الدير ، وأعاد إليهم نظام المائدة العامة لتدعيم حياة الشركة كما كانت فى عصور إزدهارها . وأتاح لهم فرص نوال البركات الروحية بإقامة القداسات يومياً . وبذلك أعاد الناحيتين الأولى والثانية ثم التفت إلى تقويم الناحية الثالثة « الأعمال اليدوية » بمشروع يناسب حالة الجيل الذى نعيش فيه ، لا تقتصر فوائده على الرهبان وحدهم بل تعود على الكنيسة بأجمعها إذ أراد أن يخلق فى الرهبان روح محبة المشاركة فى خدمة الكنيسة خدمة عملية فعالة من داخل أسوار الدير .

ولما كانت الطباعة فى عصرنا الحالى أساس لازم للإصلاح ، فإن نيافته خطا هذه الخطوة التى خطاها من قبله ابو الإصلاح حتى يصل الى ما يصبو اليه من أهداف إصلاحية .

فأشترى مطبعة ليحقق بها عدة أهداف فى وقت واحد . منها ان الطباعة تستلزم أن يستثمر الرهبان أوقات فراغهم فى عمل منتج ، فالبعض ينقحون اللغة وينسخون الأصول والبعض يقومون بتصحيح تجارب الطبع والبعض يقومون بعملية الطبع وهكذا .

وبذلك العمل الهادىء المتواضع يشترك الرهبان فى خدمة كنيستهم بتقديم كنوز التعاليم العميقة الدسمة التى انطوت عليها بطون المخطوطات لتنير السبل أمام الشعب فينهل تعاليمه من ينابيعها الأصلية القويمة ، وتصبح هذه الكتب مراجعا أساسية فى متناول الكتاب والمؤلفين .

وبهذا المشروع يهدف نيافة الأنبا ثاؤفيلس الى تحقيق غاية أعظم طالما تمناها الشعب وهى أن تشارك أوقاف الدير ماديا فى سد بعض احتياجات الكنيسة فيقدم الدير مما يمكن إقتصاده من مصاريفه غذاء روحيا عميقا للشعب وها قد انتجت المطبعة سلسلة من النشرات المتوالية « من كنوز الاديرة » توزع مجانا فى الكنائس . على أن الدير يرصد اعتمادا خاصا لكل كتاب يصدره لتغطية زيادة تكاليف طباعته عن ثمن بيعه لان الدير يهدف الى جعل ثمن مطبوعاته زهيدة للحد الذى يمكن الكثيرين من اقتنائه والاستفادة بكنوزه فيكون فى متناول أيدى الناس ولذلك يصدره بقيمة أقل من تكاليفه متحملا فرق الخسارة المادية من أجل ربح النفوس الغالية .

وحتى يسهل اقتناء الكتاب أسند الدير مهمة نشره الى مكتبة مدارس الأحد القبطية بالجيزة لما لها من اتصال وثيق بخدام الكنيسة وشبابها المتدين فى كافة أنحاء الكرازة المرقسية .

* * *

ومن المناسب أن تكون باكورة مطبوعات الدير متعلقة برسالة الرهبنة فهذا الكتاب هو أول ما نقدمه للقارىء المسيحى . ويشمل الجزء الاول من المخطوط المعروف « بالآباء الحاذقين فى العبادة » وهو من الكتب الاساسية فى تعاليم الفضيلة والرهبنة معا . فهو أحد الكتب الثلاثة

المعتمدة كأسس لتعاليم الرهبنة (مار اسحق - الشيخ الروحانى - مار فيلوكسينوس) .

وكتاب الآباء الحاذقين فى العبادة عبارة عن مجموعة من الميامر (المقالات) الروحية لمشاهير القديسين الذين كتبوا فى الفضيلة والتعاليم الرهبانية .

وكتبت هذه الميامر أصلا باللغة السريانية فى أواخر القرن الخامس الميلادى ، ثم ترجمت إلى اللغة العربية فيما بعد فأصطبغت الترجمة العربية بأسلوب الكتابة السريانى .

وعند إعداد الكتاب للطبع عمدنا إلى التقليل من تنقيح تركيب الجمل والاقتصار على تصحيح الأخطاء النحوية حتى نحتفظ بروح الكتابة القديمة على القارىء أن يدقق فى فهم الجمل فلا يقرأ الكتاب كقصة عابرة ، فهو كتاب روحى عميق مملوء بالمبادىء والاختبارات التى تحتاج إلى إمعان فى الفكر وتركيز فى التأمل .

والكتاب فوق ذلك ، كتاب مركز الأسلوب ليس فيه حشو أو إسهاب فهو لذلك يحتاج من القارىء أن يكثر من قراءته لأنه ليس مجرد معلومات تسرد بل اختبارات تحتاج إلى تدريب وممارسة عملية .

وإن مجرد قراءة الكتاب بروح التأمل يثير فى النفس الشوق إلى الفضيلة ويغمرها بحرارة روحية تجدد العزيمة للجهاد فى سبيلها .

وقد أجمع الآباء القديسون (كما ورد أيضاً فى نصوص هذا الكتاب) أنه يلزم لمن يشتاق إلى السلوك فى طريق الفضيلة أن يكون له مرشد

روحى يرسم له الخطوات التى يجب أن يتدرج بها فى صعود درجات السلم الروحانى .

فمن المبادىء المتفق عليها روحياً وعلمياً أن بين الأشخاص المختلفين فروقا فردية فى الصفات والميول والقدرة . ولذلك فالحياة الروحية تحتاج إلى توجيه فردى خاص من طبيب روحانى خبير . فالأمر يحتاج إلى تدرج يرشدك إليه أب الأعتراف أو المرشد الروحى . وأجعل الفضيلة هدفك فتجد معونة من النعمة الإلهية تعضدك وتقويك .

واذا خالجك سؤال أو صادفك غموض فإن اتصالك بالآباء الرهبان بالدير بعنوان مدرسة دير السيدة العذراء السريان ـ وادى النطرون ـ الخطاطبة يعطيك الرد على السؤال او جلاء للغموض .

وكل ميامر هذا الجزء الأول من الكتاب للقديس فيلوكسينوس المنبجى الذى تكرم الاستاذ الدكتور مراد كامل (استاذ اللغات السامية بجامعة فؤاد الأول) بكتابة نبذة عن حياته يمهد بها للكتاب . والدير يقدم للأستاذ الجليل وافر الشكر لتعضيده المشروع ولخدماته العلمية المتوالية العاملة على رفعة الكنيسة .

نسأل الرب ان يبارك هذه النبتة الصغيرة ، يتعهدها بمراحمه ويسيج حولها حتى تنمو وتترعرع وتثمر أثماراً تليق بمجد اسمه القدوس ورفعة كنيسته وخلاص النفوس .

له المجد الدائم الى الأبد آمين ؟

دير السيدة العذراء

السريان

تمهيـــد

مار فيلوكسينوس المنبجي

(تنيح سنة ٥٢٣ م)

حيـــاته

القديس فيلوكسينوس أسقف منبج(١) من مشاهير القـديسين السريان الذين عاشوا وكتبوا فى القرن السادس المسيحى ، وكان له تأثير كبير على الرهبنة . وكان معاصراً للقـــديس يعقوب السروجى (٤٥١ — ٥٢١ م) .

اسمـــه : اسمه السريانى قبل توليه الأسقفية « أكسنايا » وهو من اليونانية « كسينوس » ومعناه غريب وسُمى بعـــد توليه الأسقفية « فيلوكسينوس » ومعناها محب الغريب .

مـولده : ولد فى المنطقة الفارسية ، فى قرية تحل فى بيت جرمى بين الدجلة والزاب الصغير فيما بين النهرين . ولم نعرف سنة مولده على وجه التحقيق . إلا أن البعض يرجحون ان يكون مولده حوالى منتصف القرن الخامس .

(١) منبج : مدينة ببلاد الشام فى الشمال الشرقى من مدينة حلب على نهر الفرات وعرفت فى العصر البيزنطى باسم هيرابوليس . وهو مدينة « كركميش » القديمة وهى الان « قلعة النجم »

ولم نعرف اسمه فى المعمودية على وجه التحقيق أيضاً إلا أنه ذكر فى خطاب له إلى الامبرطور زينون أنه تعمد حسب الشريعة التى أعطاها المسيح الى تلاميذه وأنه لبس المسيح الذى تعمد باسمه وعلى موته .

نشـــأته : رحل به أهله إلى طور عبدين في صباه فدخل دير قرتمين حيث درس مع أخيه (أدى) آداب السريانية واليونانية وعلم الدين ثم انتقل إلى مدرسة الرها وأتم دراسته للعلوم الفلسفية واللاهوتية وأنجز علم اللغتين السريانية واليونانية فى دير تلعدا الكبير فى اقليم أنطاكية ـ وترهب وسيم قسا .

ولكنه خرج على تعاليم النساطرة التى كان يلقنه إياها أسقف الرها ، ورفض عقيدة أصحاب الطبيعتين وكان متحمساً لعقيدة أصحاب الطبيعة الواحدة . وخصص حياته للدفاع عنها ضد النساطرة وأصحاب مجمع خلقيدونية فى ضواحى أنطاكية (بسوريا) والجزء الشمالى مما بين النهرين (العراق) على الرغم مما أصابه من الأذى على أيدى أعداء عقيدته .

جهاده : بدأ حياته بمهاجمة النسطورية لكسر شوكة الدعاية القوية التى كانت تبثها المدرسة الفارسية فى الرها لعقيدة أصحاب الطبيعتين بما كانت تقوم به من تلقين هذه العقيدة فطرده (قلنديون) بطريرك أنطاكية . فلما عزل قلنديون عن كرسيه سنة ٤٨٥ م رسمه خلفه بطرس القصار (القصار) أسقفا على منبج (٤٨٥ – ٥١٩ م) ، ولم يكد يستقر على كرسيه حتى عاود العمل ضد المدرسة الفارسية

فى الرها . ويقال أنه حرض الاسقف سـيروس على إغراء الامبراطور زينون بإغلاق المدرسة الفارسية ، وقد تم له ما أراد ، فان زينون أمر بإغلاقها سنة ٤٨٩م . ولم يكتف بذلك بل بادر بعد وفاة زينون سنة ٤٩١ م بالانتفاع بما لأصحاب الطبيعة الواحدة من حظوة عند أنسطاس فسافر الى القسطنطينية مرتين فى سنة ٤٩٩ م وسنة ٥٠٦ م ليعمل على حث الامبراطور ليتخذ موقفا حازما ضد أصحاب الطبيعتين . فكان ذلك سببا فى استثارة ماقيدونيس رئيس اساقفة القسطنطينية وفلافيانوس خليفة بطرس بطريرك أنطاكيه (٤٩٨ - ٥١٢ م) لحقدا عليه . ولم يكتفيا باضطهاده بل حاولا أيضا استئصال تعاليم أصحاب الطبيعة الواحدة بالقوة . ولكن فيلوكسينوس نجح أخيراً بمساعدة سوتيرنيخوس أسقف قيصرية كبادوكية من استصدار أمر سنة ٥١٢ م بنفى فلافيانوس . ثم رأس مجمعاً فى نفس العام انتخب فيه سويرس صديق فيلوكسينوس خلفا لفلافيانوس على أنطاكية . ولكن انتصاره لم يدم طويلا فان يوستين خليفه أنسطاس كان يشايع النساطرة ، فبدأ فى اضطهاد أصحاب الطبيعة الواحـدة ونفيهم لإمتناعهم عن التوقيع على قرارات مجمع خلقيدونية الذى قرر أن المسيح طبيعتين : واحدة لاهوتية وأخرى ناسوتية . وكان بين من نفى : ساويرس ويوحنا التلى ومارا الآمدى .

فنفى فيلوكسينوس أولا الى فيليبوبوليس فى تراقيا (ولاية أدرنة) وفيها كتب رسالته الى رهبان دير سنون بالقرب من الرها سنة ٥٢٢ م وفيها يقول ان كل ما تحملته من فلافيانوس

وماقيدونيس أسقفي أنطاكية والقسطنطينية وما قاسيته قبلهما على يد قلنديون معروف يتحدث الناس به فى كل مكان . وإنى لألتزم الصمت عما لحقنى أيام حرب الفرس بإغراء فلافيان المهرطق وعلى ملأ من الأعيان وعما أصابنى فى الرها وفى أفامية وفى أنطاكية عندما كانت فى دير القديس ماربسوس ، وفى أنطاكية نفسها ، وكذلك فى القسطنطينية التى شددت الرحال اليها فى مناسبتين هذه الأشياء وأشباهها أصابتنى من النساطرة المهرطقين » .

نياحته :

ثم نقل من منفاه بعد ذلك إلى جنجرآ فى ولاية بافلاجونيا حيث حبس فى بيت أوقدت فيه النيران وسدت عليه المنافذ فأختنق فى حجرته من كثرة الدخان ومات شهيد الايمان .

وتحتفل الكنيسة السريانية الأرثوذكسية بعيد مار فيلوكسينوس أكثر من مرة فى السنة . ولا تشير المخطوطات السريانية إلى المناسبات الخاصة بكل عيد . وأظهر أعياده يوم ١٨ فبراير وله عيد آخر فى أول أبريل وآخر فى ١٦ أغسطس وآخر فى ١٠ ديسمبر الذى يرجح أن يكون تاريخ نياحته .

وقد اعترفت الكنائس السريانية والقبطية والحبشية بفيلوكسينوس كأب من آباء أصحاب الطبيعة الواحدة ومع ذلك لم يشر إليه السنكسار القبطى أو الحبشى .

مؤلفـــاته

ومع ان فيلوكسينوس كان رجل كفاح وجهاد ، الا أنه كان الى جانب

ذلك أديباً نابهاً وكاتباً رقيق العبارة ، والسريان يعدونه فى المرتبه الاولى من كتابهم . وكان كفاحه من أجل العقيدة حافزاً له على كتابة هذا القدر الكبير من الابحاث حول المسائل الدينيه ، فقد عُرف لفيلوكسينوس حوالى ٨٠ كتابا قام بتأليفها ، وكان يغلب على كتاباته الجدليه طابع المؤمن الذى يدافع عن عقيدته بحرارة وحماسة لا طابع المفكر النابه الهادىء كما يغلب على بقية مؤلفاته النسكية .

وتتناول كتاباته موضوعات مختلفه منها : —

١ — تفاسير :

أن الكنيسة السريانية مدينة لفيلوكسينوس بأول ترجمة حرفية منقحة للأناجيل ، فبدأ حوالى سنه ٥٠٥ م بمعاونة مساعده بوليكاربوس بترجمة الكتاب المقدس بعهديه ترجمة حرفية عن اليونانية ، فأتما فى سنه ٥٠٨ م ما يعرف الآن بالترجمة الفيلوكسينية التى كان لها شأن عظيم فى القرن السادس بين أصحاب الطبيعة الواحدة . فإن موسى الأجيلى مثلا يشير الى ترجمته للعهد الجديد والمزامير على أنها العمل النموذجى لذلك العصر ، وقد روجعت ترجمته هذه بعد ذلك فى مطلع القرن السابع حوالى سنه ٦١٦ م فى احد أديرة الاسكندرية فراجع بولس التلى ترجمة العهد القديم وراجع توما الحرقلى ترجمة العهد الجديد .

وقام فيلوكسينوس بشرح أناجيل متى ولوقا ويوحنا وبخاصة بعض الأصحاحات الهامة من الناحية اللاهوتية ردا على تفاسير النساطرة لهـــا . وعرفت باسم (هرطقة العصر الحاضر) وكان لهذا التفسير اثر واضح على تفاسير أصحاب الطبيعة الواحدة للأناجيل فيما بعد .

وقد حفظت لنا تفاسيره بالسريانية فى نسختين وُجدتا بدير السريان بوادى النطرون وهما الآن فى لندن بمكتبة المتحف البريطانى ، ويرجع تاريخ أخذ النسختين إلى عصر المؤلف سنة ٥١١ م . وتفسيره معروف فى السريانية والعربية والحبشية .

٢ — لاهوت :

له ٦ ميامر و ١٨ رسالة فى اللاهوت :

الميامر : عن التثليث والتوحيد وتجسد الكلمة ـ عن الطبيعة الواحدة ـ الجدل مع النساطرة ـ فى الرد على نسطوريوس وأوتيخوس عن العقيدة ـ ميمر عن البشارة .

الرسائل : الرد على الهراطقة ـ الرد على الذين يقولون بطبيعتين ومشيئة واحدة ـ الرد على نسطوريوس ـ الرد على أتباع نسطوريوس ـ الرد على من يقسم طبيعة المسيح ـ الرد على الهراطقة وآخر على الهراطقة ـ قانون الإيمان ـ الرد على مجمع خلقيدونية ـ إذا سُئل رجل كيف تؤمن فليجاوب هكذا ـ قانون الإيمان .

٣ — كتب النسك والفضيلة :

له كتاب عن أسس الفضائل . وهو ميامر نشرها سير واليس بدج بالسريانية مع ترجمتها إلى الإنجليزية سنة ١٨٩٤ م . وهى ميامر ذات أثر واضح من الناحية التعليمية على أساس الفضائل المسيحية . وقد تأثر فيلوكسينوس بميامر « أفرهات » وهى مقسمة فى السريانية إلى ١٣ ميمر :

(١) مقدمة (٢ ، ٣) عن الإيمان (٤ ، ٥) عن البساطة
(٦ ، ٧) خوف الله (٨ ، ٩) التجرد (١٠) الشراهة

(١١) تهذيب وقمع الجسد (١٢ ، ١٣) الاخطاء المخالفة للطهارة .

وقد نشر بدج الكتاب بالسريانية بعد مقارنته بعدة نسخ خطية موجودة بالمتحف البريطانى ، وهى نسخ ترجع إلى ما بين القرنين السادس والثالث عشر مما يدل على أن هذا الكتاب كان شائع الاستعمال فى أوساط الرهبان .

وقد ترجمت هذه الميامر إلى العربية مع المحافظة على أسماء الموضوعات السبع كما هو ظاهر من مخطوطة موجودة بمكتبة باريس منسوخة فى دير السريان بوادى النطرون سنه ١٤٩٣ م .

وله أيضاً شرح لبعض أمثال العهد الجديد - رسالة عن الروح القدس ردا على سؤال هل تخرج الروح القدس من الخاطىء ثم تعود إليه اذا تاب ؟ - رسالة عن الاخوة وهى فى نظم الرهبنة - رسالة عن حياة السكون فى الرهبنة .

وله كذلك كتاب عن الرهبنة مؤلف على طريقة السؤال والجواب يعالج فيه النواحى المختلفة فى حياة الرهبنة ويعتمد فيه على كتاب بستان الرهبان لبلاديوس عن سير الآباء الرهبان المصريين - وقد ترجم هذا الكتاب الى العربية فى مطلع القرن الرابع عشر سنه ١٣٠٥م . وقام المطران سلامه مطران الحبشة القبطى المعروف فى الحبشة بالمترجم بنقله من العربية الى الحبشية فى أيام حكم ملك الحبشة سيف أرعد (١٣٤٤ - ١٣٧٢ م) ، وقد طبع حديثاً فى أديس أبابا سنه ١٩٢٨ م والنص العربى موجود الآن فى الفاتيكان وهو ناقص الآخر ، ويوجد منه نص كامل بمكتبة المتحف القبطى بمصر القديمة .

٤ ــ وله رسائل كان يكتبها عادة الى رهبان رداً على أسئلة يطلبون فيها رأيه فى موضوعات عن العقائد أو الفضائل وأقدم هذه الرسائل رسالته الى الامبراطور زينون ويظن أنها كتبت حوالى سنه ٤٨٢ م .

وله رسالة الى رهبان دير تلعدا ـ رسالة الى رهبان دير بيت كوكل (وهو جبل باكوكل فى طور عبدين بالقرب من ديار بكر) كتبت قبل سنه ٤٩١ م لأن فيها ذكر الأمبراطور يفهم منه أنه كان على قيد الحياة وقت كتابة الرسالة وبعد سنه ٤٨٥ م لأنه يذكر فيها انتصار الامبراطور على ليونتيوس وإليوس .

وله رسالة للقساوسة الرهويين أبراهام وأورستى عن أحوال الناسك المبتدع اسطفان برصديلى ـ ورسالة إلى بطريرك الاسكندرية يوحنا الثانى (٣٠) (٥٠٥ ـ ٥١٦ م) . وله ثلاث رسائل كتبها قبل وفاته أثناء نفيه فى تراقيا ـ وله رسالة إلى رهبان سنون عن تجسد المسيح ـ وله رسالة إلى آباء الرها عن حياة الرهبنة العملية ـ ورسالة موجهة إلى الرهبان المبتدئين ـ ورسالة إلى أبى نفير الحيرى وفيها تاريخ النسطورية كتبها حوالى سنة ٥٠٠م .

وله رسالة جاوب بها بطريق الناسك الرهاوى فى حفظ الوصايا الإلهية ومقاومة أهواء النفس (انظر صفحات ٥٦ ـــ ١١٠ من الكتاب) .

وله رسالة إلى تلميذ عن رتب الرهبنة الثلاث (انظر صفحات ١١٠ ـــ ١٧٦ من الكتاب) .

٥ ــ كتب الطقوس :

وله كتب طقسية عرفناها من المخطوطات السريانية والمخطوطات

الحبشية . منها ثلاث قداسات تنسب اليه وصلوات تتلى قبل التناول وبعده . ووضع طقساً مختصراً لعماد الأطفال المحتضرين .

وله صلوات للأوقات السبعة ترجمت إلى العربية والحبشية .

وله ميمر فى ميلاد المسيح ـ وله صلوات شكر مترجمة إلى الحبشية .

وقد ضاع الكثير من كتابات فيلوكسينوس أسماء بعضها معروف والباقية فقدت .

*
* * *
*

والكتاب الذى نحن بصدده هو قطرة من فيض فيلوكسينوس وهو يشتمل على سبعة ميامر فى (الإيمان ـ البساطة ـ خوف الله ـ التجرد ـ الشراهة ـ تهذيب وقمع الجسد ـ ألم الزنا) .

ورسالتين : الأولى إلى بطريق الناسك الرهاوى ـ والثانية عن رتب الرهبنة .

وإذا كان دير السريان قد حرص على إظهار هذه الرسالة المطوية إلى عالم النسك والفضيلة حتى تعود ثانية فتشع علينا من نورها كما أضاءت على آبائنا أجيالا من قبل ، فإنى أتوجه الى الدير بتهنئة قلبية على خطوته الأولى وأرجو من الله أن يعين الأنبا ثاؤفيلوس أسقف الدير ويسدد خطاه للسير فى هذا الطريق الإصلاحى القويم بخطى سريعة موفقة .

مراد كامل

مصطلحات

مارى : كلمة سريانية معناها سيدى ويلقب بها القديسون وقد ضاع نطق الياء فى السريانية فى القرن الخامس . فكانت تكتب بالياء وتنطق بدونها . لذلك تستعمل فى العربية أحياناً بالياء (مارى) وأحياناً بدون ياء (مَارْ) .

ميمر : من الفعل الثلاثى السريانى (ا م ر) معناها « قال » ومعنى ميمر قول أو عظة ، ويكون الميمر إما تاريخياً أو وعظياً ، ويكون إما نظماً أو نثرا فى الأصل السريانى ، وقد أخذت الكنيسة القبطية هذا اللفظ عن السريانية الى العربية .

افراز : الإفراز معناه التمييز ويقصد به فى الكتب الروحية والنسكية الموهبة التى يستطيع أن يميز بها الانسان بين الخير والشر وبين ما يصلح عمله والتفكير فيه وبين ما لا يصلح .

الثاورية : الثاورية كلمة يونانية ومعناها لغة الرؤية واصطلاحا الكشف الباطنى وهى على مراتب منها رؤية الله ومنها رؤية الملائكة أو أرواح القديسين ومنها استجلاء الامور الخفية .

وهى موهبة خاصة يمنحها الله لبعض قديسيه إما لمنفعتهم الخاصة أو لمنفعة الآخرين .

الميمر الاول

(الأيمـــان)

الذى يريد أن يدنو بترتيب لتدبير سيره تلمذة المسيح ينبغى له قبل كل شيء أن يقتنى لنفسه ايمانا حقيقيا فيصدق الله ولا يفحص أعماله وكلامه ويحفظ وصاياه ولا يفتش عن طبيعته . يجب على الذى يتقدم إلى الله أن يؤمن أنه موجود وأنه يجازى الذين يطلبونه (عب ١١ : ٦) وينبغى أن يكون له ضمير طفل لأن ليس له فى افكاره قوة أن يبحث عما يسمع بل تولد له هذه القوة من المعمودية بالايمان كمثل الطفل الطبيعى الذي يتعلم أسماء امور العالم ولا يفهم قوتها . هكذا نحن أيضا نقبل كلام الاسماء . أما أسرار معرفتها فلله وحده . لأننا أطفال أمام المعرفة والحكمة الالهية التى لا ينطق بها كمثل الطفل الذى يستمع إلى كلام أبيه ويصدق وعوده بلا شك ويصدق أنه يعطيه إياها فلا يكذب كلمته ولا يفحصها .

نادى سيدنا بملكوته وكشفه للترابيين لأنه قال قد اقترب ملكوت السموات (مت ١٠ : ٧) ان سمعت هذا الصوت ينادى ويبشر بالملكوت . صدق ولا تشك لانك تعلم أنه صوت الله. لا تفكر فى نفسك كيف يكون الملكوت ولا تفحص بلد الروحانيين بافكارك . أسمع قول ربنا يسوع المسيح قد اقترب ملكوت السموات فلا تفحص وتفتش عنه لأنه قريب منك . ان كنت تتقدم اليه فالدنو منه لا يكون بطلب الكلام الذى يبحث كيف هو وبماذا تشبهه بل أن تحفظ وصايا الله وتكمل سنن وشرائع الملكوت التى فرضت علينا . وهذا كله يكون بالايمان . سمعت عن الله أنه ازلى منذ القديم ، أبدى بأزليته ولم يكن من آخر وليس أقنوم واحد بل

طبيعة أزلية تعرف بثلاثة أقانيم ويؤمن به . ثق وصدق أن الذى ولد ما تجزأ والذى ولد ما انقطع وانفصل . بل هو الآب معه ابنه أزليا قديما مع الروح القدس الذى من طبيعتهم واعترف انهم هكذا فقط . وأما كيف ومتى والى أين وبأى شكل وبأى نوع وبأى ترتيب هو شبههم وكيف هم ثلاثة ولا يتميزون من بعضهم بعض ولا يفرزون . أو كيف هم ببعضهم يسموا ثلاثة وكيف ولد الابن من الآب وما انفصل من الآب، وكيف ولده الآب وما خرج عنه . هذه وما يشبهها بالايمان تقبل وبدون ايمان لا يستطيع أحد أن يسمعها أو يحتملها حتى ولا سماعا ساذجا . كل شيء روحانى بل جميع عالم الروحانيين انما ننظره ونحس به بالإيمان . فإن لم نقتن ايمانا فى انفسنا فما يمكننا أن نفهم شيئا خارجا عما ننظره بأعيننا . لأنها جسدية وبالجسد ينظر الانسان اليها وأما عالم الروح فيحس بالإيمان فقط .

لقد قسم الخالق جميع الطبائع الجسدانية إلى خمسة أنواع . فمنه ما ينظر ومنه ما يسمع ومنه ما يشم ومنه ما يذاق ومنه ما يحس . وأعطى الانسان خمسة حواس لكى يذوق بها العالم بكثرة غياراته . وخارج عن هذه الحواس الخمس ليس لانسان أن يدرك شيئا من العالم الجسدانى وليس العالم نفسه خارجا عنها . أما الروحانى ان كانت الازلية وان كانت الخليقة فما يخضع لشيء من هذه الخمسة اشكال ولا يدرك بشيء من هذه الخمس حواس ولأجل هذا أعطينا الروح لكى نحس به . فأولا سلم الله الايمان لنا وبعد ذلك أظهر لنا قوته بقوله « الحق أقول لكم ان كان فيكم ايمان كحبة خردل تقولون لهذا الجبل انتقل فينتقل ولا يقهركم شيء » (مت ٢١ : ٢١) علمنا أنه بالإيمان ما يعجز علينا شيء وحسب كلام سيدنا أن قوة الايمان تقهر جميع الأشياء وتفعل كل شيء يفوق الطبيعة . وباختصار فالايمان يعطى قوة

الهية فى الانسان حيث يؤمن أن كل شيء يريد ، يفعله بايمـان . حتى وان كان الطبع الالهى الازلى هو بعيد ويفوق الكل الا أنه قريب بالايمان . وان كان هو داخل طبائع وأعمال الناطقين والصامتين والاحياء والجمـاد حيث يكون الإيمان هو عنده موجود . لأن هذا هو طبع الايمان ان الشيء الذى لا ينظر ينظر . والذى لا يعرف يعرف . والذى لايحس يحس . عجيبـــة وعظيمة هى قوة الايمان وليس فى استطاعة أحد أن يفسر سرها . لأنهـا مسكن الله.ولست اعنى بالقول عن الايمان الذى بالاسم والكلام والصوت بل اعنى عن الايمان الذى يوجد من فحص حقيقى مختبر بالنفس ومن قيـام واضح وثبات الأفكار . فالنفس المؤمنة لاتفكر بذاتها ولا يدخل عليهـــا شك ولا تقع فيها ظنون ولا يسير فى سلطانها رعب بل تفعل كل شيء تريد فعله، وجميع ما تطلب يعطى لها . فللانسان الذى يريد الاقتراب من الله ان يقتنى هذا الايمان فى نفسه .

وليس فى الايمان افكار تناقض بعضها البعض ولا ضمائر تبطل بعضها البعض ولا تندم على شيء تصنعه وتنطق به .

أيها التلميذ اقتن هذا الايمان الذى هو سيد جميع المقتنيات . اجعـــله أساس ومبدأ تلمذتك وابن برجك عليه لـكى كلما يصعد الى العلو ما يسقط بنيانه فإن وضعت أساس بنيانك على الايمان فانه لا يتزعزع من الامواج ولا من الرياح لأن ربنا جعله أساسا وكمثلما بنى يسيدنا بيعته عليه وجعله مبدأ بنيان جسده المقدس (الـكنيسة) ليعلم كل أحـد أن به يبدأ ويضع التلميذ اساس سيرته ، لذلك كل من يريد الدنو بترتيب وحسن نظام فبالايمان ينبغى له أن يبدأ وليس فى شيء من أعضاء الصلاح حياة ان لم يكن بالايمان لجميع تدبير سيرة البر بدون الايمـــان مائتة هى . فالصوم بلا ايمان مائت

والصدقة ما تحسب صدقة بلا ايمان ولا الرحمة ولا النسك ان لم يكن فيها الايمان ممتزج . ولا الطاعة ولا الحبس ان لم يكن معهما ايمانا هما باطلان . وليس صلاح يحسب بالحقيقة صلاحا ان لم يختلط به الايمان . الله قادر ان يجددك ويجعلك من عتيق جديد . وليس تجديد ان لم يأخذ منك الايمان رهينة .

الايمان يطلب من الذى يعتمد ويأخذ الذخيرة من الماء . المعمودية ما هى من دون الايمان . فالاسرار أشياء ساذجة بدون الايمان . والعجائب حقيرة ان لم تنظرها عين الايمان . فليس الأسم ولا الخبر يكمل الايمان بل يتحقق داخليا من القوات النفسانية . أما الاذن فانها انما تقبل خبر الايمان فقط . والعمل بالايمان انما يولد من الفكر . ينبوع فيض الايمان هو العقل النقى والفكر البسيط الذى ليس فيه شيء وشيء . فريد هو فكر الايمان وليس فيه قتال مع رفيقه . ان لم يجمع ويرد الايمان نظرة النفس من كل مكان فلن يظهر لها حسن طبعها : تحمل فى يداك جوهرة الأسرار التى هى بالطبع خبز ساذج وبنظرة الايمان هى جسد الوحيد. ليس مثلا تنظر عين الايمان بل هو يغصب نظرة الجسد لينظر روحانيا . أما الجسد فينظر خبز وخمر وماء وزيت . والايمان يجعله أن يأكل عوض الخبز جسدا . وعوض الخمر يشرب دما . وعوض الماء ينظر معمودية الروح . وعوض الزيت قوة المسيح . يدنو الايمان الى عظام القديسين وعوض موتى ينظرهم أحياء ويتكلم معهم كالأحياء ويطلب منهم جميع حوائجه ليس أحد من الأبرار ارضى المسيح بدون الايمان مثلا شهد بولس الرسول . لما بدأ من هابيل الى ظهور المسيح وبين أن الجميع ارضوا الله بالايمان. وجعله معروفا لسائر التلاميذ وقال بغير ايمان لايقدر أحد أن يرضى المسيح (عب ١١ : ٦) . وكالعين للشمس هكذا يقبل نظر الايمان نور

روحانية وصايا المسيح . لأن تعليمنا جميعه متعلق برجاء الامور المزمعة ولانتظار مالا يرى ولا يظهر ولا يعرف بالحواس الجسدانية . افهم أيها التلميذ ان جميع امورنا تقام بالايمان وبدونه لانحن ولا امورنا ولا مانصنعه ولا الأشياء التى وعدنا أن نعطى اياها تصير شيئا . أجعل الايمان مبدأ تلمذتك واخرج تابعا الله بحفظ وصاياه . كل الامور الحاضرة تزول وتضمحل . أما الاشياء الموعود بها للحقيقيين هى ثابتة أبدية لا تزول . الايمان موضوع بالطبع فى أفكارنا جميعا . ان شئت تؤمن بالله وتثق به . وان شئت تصدق الشياطين . وان اردت تصدق أن عالم الراحة ثابت تشتاق له وتشتهيه .

الارادة هى سلطة الايمان كبقية الحركات الطبيعية التى فينا . وهى مدبرة كل شىء . إن كانت الحواس الخارجة وإن كانت الأفكار الداخلة . الارادة تقلب الأمور الجيدة إلى ضدها التى من أجلها جعلت الأعضاء والحواس . استعمل الايمان بترتيبه الحسن ولا تقلبه للضلالة . آمن بالله وصدق مواعيده ولا تصدق العالم ولا مغرياته . إن لم تصدق الأشياء غير المنظورة فلا تستطيع أن تترك الأشياء المنظورة . وإن لم تصدق مواعيد المسيح وتخرج تابعاً إنجيله فلا تقدر أن ترفض ما أنت ضابطه . وتسرع فى اتباع التطويب الذى وعد به كل من يكفر بأبيه وبأمه وبالعالم أجمع حتى وبنفسه يكفر ما يقدر أن يكون تلميذاً . تتلمذ لهذا الصوت وليس لأشياء غيره ولا يكن لخروجك من العالم سبباً آخر فلن ينجح خروجك . فتبعاً للغرض الأول يكون جميع ما يأتى بعد . كثيرون يخرجون لأجل عبودية أو من أجل دين أو من اضطرار آبائهم . أو من غيظ إمرأة مع بقية أسباب أخرى سقيمة ملتوية يكونون فيها مضطهدين ويأتون لتلمذة المسيح . فهم

شكلا عنده ولكنهم فى الحقيقة عند العالم . مثل هؤلاء لا تنجح رهبنتهم بل هم أعضاء سقيمة معوقة للأعضاء الصحيحة الذين يخدمون الروح بأفعالهم. وكان أوفق لهم أن يثبتوا فى العالم ولا يصيروا منظرا انحلال فى بلد الروحانيين السيرة العالمية انما هى عطلة للروحيات . فاهرب من أمثال هؤلاء وأحذر أن تجعل سبباً من الأسباب التى تصادفك تغمض عين الايمان التى ابتدات فى فتحها والنظر بها مواعيد المسيح . ما دامت عين ايمانك تتفرس فى المزمعات فستخف عنك جميع أتعاب سيرتك . فالنفس التى لا تنظر ايمانياً قط هى نائمة أو مائتة والتى أقصت الايمان بعيداً هى مائتةو التى تحفظ الايمان اسمياً وعينيها لستا مفتوحتين كل وقت لتتفرسا فى الروحانيات هى نائمة غارقة فى نعاس الكسل وإذا عملت ما تحس . وإذا تبررت ما تعرف وإذا سارت ما تعلم وكمثل الأعمى الذى يقوده آخر هكذا هى أيضاً من اضطرار العادة تقاد ولا تستطيع أن تغير أنواع الأعمال المتمسكة بها .

لا ينبغى لتلميذ المسيح أن يقيم أعماله الصالحة من شرائع وسنن الناس لئلا إذا ما انقضت السنن أو غيرها واضعوها تتشتت فضائله . فليس واضع جهادنا انسان بل هو المسيح فاجعله مبدأ خروجك من العالم بمسيرك فى طريق الحياة وبالايمان تعرى من ثوب ضلالة الأفكار المرتبطة بأمور العالم التى تضلك بأن تخيل لك ما هو ليس شيئاً كأنه شىء فاحترس وأحذر أن تغير ايمانك بل كل وقت نق أفكارك به من صدأ الطغيان . كمثلما تنجو الأرجل من العثرة ما دامت العين مفتوحة هكذا يبتعد الكسل ويبعد من النفس مادام نظر الايمان صحيحاً وثق وآمن بالله الذى له المجد الى الابد آمين

الميمر الثانى

البســاطة

لقد أعطانا ربنا مبدأ سهلا فى بشارته ألا وهو الايمان الحق البسيط فالبساطة ليست هى المعروفة فى العالم بالبلادة والخرافة بل هى فكر وحيد بسيط فريد يسمع ولا يفحص ويقبل ولا يبحث كمثلما دعى ابراهيم وخرج تابعا الله وما فحص الصوت المنادى له ولم تعقه الأقارب ولا أصدقاء ولا المقتنيات ولا أى شىء من رباطات البشرية أنظر الآن وليكن خروجك مثله ولا تتأخر عن صوت المسيح الذى دعاك ببشارته قائلا من يريد أن يكون لى تلميذا فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى (لو ٩ : ٢٣) وقد أظهر هذه الدعوة لجميع الناس وهكذا دعى الرسل فتركوا شباكهم وتبعوه (مر ١ : ١٨) واذ لم يكن لهم من متعلقات ثقل محبة العــالم انطاعوا لصوت الذى دعاهم . فرباطات هذا العالم تثقل القلب بالأفكار . وأما مقتنى الايمان فهو الله فقط وكل شىء خارج عنه انما هو خسارة فالايمان الممتلى بالبساطة لايكون بكثرة الاسئلة ولا ببراهين تقبل التعليم لأن الضمــير المملوء مكرا هو اما أن يهدم واما أن يبنى أفكارا تضادد بعضها البعض . ويربط ويحل ويصدق ويكذب. ففى بعض الأوقات يحكم على شىء انه واجب وفى وقت آخر ينقض ذلك الشىء . الضمير المدرب بالمكر هو معبر الأفكار أما البساطة فهى ضد ذلك ليس فيها أفكار تنقض بعضها البعض بل تصنع مخرجا لما تصادفه من العالم . الذى يتمسك بالبساطة لايحتال فى ضرر أعدائه ولا يعصى ما أمر به ولا يغش ويكمن ولا يعمل على ايذاء أحد من الناس . فهذه وما يشبهها ما تقدر البساطة أن تفعلها لأجل هذا فى كل وقت يعطى

لها أسرار الهية وتؤهل للاستعلانات وتعلم ذلك من أن الرسل كانوا بسطاء أكثر من جميع الناس.البساطة تتقدم الايمان لأن الايمان هو ابن البساطة وعدم الايمان هو ابن المكر لأن الماكر لا يصدق بسهولة ما يسمع أما البسيط فيصدق كل شيء يسمعه . واذا كان المكر والشر يكونان نتيجــــة الدربة والخلطة فمن الواضح أن البساطة والوداعة تقتنيان من التربية والتصرف فى السكون وما دام الانسان يؤثر السكنى فى الهدوء فهو يقتنى البساطة . ومعلوم أن نقاوة القلب تولد من البساطة . فجميع أبرار الشريعة بالبساطة ارضوا الله . فداؤد بالبساطة كان يتدبر فى مملكته ويشوع بن نون كان ساذجا أكثر من جميع الشعب لأجل تربيته فى قبة الزمان . وأيضا كتب عن يعقوب إنه كان رجلا وديعا ساكنا فى المغرب ولما قال له اسحق لا تأخذ لك إمرأة من بنات كنعان . بل امض الى بتوئيل أبو امك وخذ لك إمرأة من هناك من بنات لابان خالك اطاع وترك جميع خيرات بيت أبيه وخرج بعصاته متزودا ببركات أبويه وبالبساطة سكن مع لابان عشرون سنة وكلمـــا كان لابان يتقلب ويتغير بمكره وحيله الكثيرة كان يعقوب ثابتاً بوداعته . فهذا تعليم صحيح لكل من يريد التعبد للرب الا يبطل أفكاره من الله ويفاوضها بتدقيق .

اثبت أيهـــا التلميذ بنقاوة ضميرك والرب يعرف كيف يدبر حياتك ويصنع معك ماينفعك . فقد تسمع عن أناس يريدون ايذاءك وآخرون لقطع حياتك وآخرون يسعون لهدم ما بنيت . وآخرون يذمون مادحيك وآخرون يتكلمون عليك بالهزء والازدراء بل قد صيروك لهم مثلا ومالهم حديث سواك إثبت أنت فى البساطة ولا ترجع إلى الوراء من القصد الذى أنت ناظر اليه . ولا تبطل مناجاتك الخفية مع الله ولا تقهرك أو تغلبك

الأمور الخارجة عنك عن الوصول الى المرساة التى بها حياتك معلقة برجاء المسيح غير الـكاذب واثبت فى البساطة ولا يغرك ما تسمع من المتكلمين عليك وتكون مثلهم عالما انه لاجل هذا يجمعهم العدو ويصنعهم قبالتك لكى يغير ضميرك عن حسن طويته . ويسجس ويكدر نقاوتك لتكون شبيها باولئك المقاتلين قبالتك وتمتلىء غضبا مثلهم . وتصير للعدو صيدا سهلا.

اثبت فى البساطة وليكن لك منظر يعقوب الوديع لهذا اكتب خبره ليكون عزاء للنفس المائلة للسقوط من كثرة الأفكار المملوءة حزنا وكآبة من غيظ المغضبين . انظر كم تحايل عيسو ولابان فى إضرار يعقوب وايذائه ولكن الرب كان يدبر اموره . لأن البسطاء هم للرب أما الماكرين فهم أوان للشيطان فلا تشتهِ المكر لأنه أرض تلد الشرور أما البساطة فهى حقل يلد البر . من الابتداء قد وضع الله البساطة فينا حينما بدأ أن يخلقنا لأن البساطة مكانها فى الوسط فنها من يصعد ليتعلم الروحيات وعنها من ينحط ليتعلم دربة أمور العالم ويدعى الأخير ماكرا متصنعا . لأن حكمة العالم مضادة لحكمة الله فى كل شىء ولا يمكن الأثنين أن يتفقا . كمثل أن النور لا يتفق مع الظلمة . فإذا أراد حكيم من حكماء العالم أن يتحكم روحيا ينبغى له أولا ان يتعرى من افكار حكمته وظنون معرفته الأولى ويبدأ فى السلمة الأولى من الطريق المؤدى الى ذلك التى هى البساطة . وينبغى له أن يسمع ويقبل بوداعة وايمان وسذاجة. فالبساطة توافقنا كثيراً لاقتناء الصلاح ولئلا يضيع الصلاح منا ينبغى لنا اقتناء حكمة الهية ونقاوة ضمير مع الناس . أما قبالة هؤلاء الماكرين الذين يسعون فى نزع الالهية منا ينبغى لنا أن نتحكم فى أفكارنا كما أمرنا الرب قائلا كونوا ودعاء كالحمام بعضكم لبعض وحكماء كالحيات أمام الذين يتحايلون فى اغتصاب الروحيات منا وأن

تكون أفكارنا وأعمالنا فى مستوى يفوق العالم وتمتدا دائما الى قدام بما الروح . كل من لا يقبل تعاليم المسيح ويتنقى بالصلاح فإنه يخسر ملكوت السموات . يسهل للضمير البسيط تعليم الامور الروحية أكثر من الافكار المصنعة . افرح بالبساطة لتجدلك محبوبا عند الله والناس . وان ظننت أن الناس تستهزىء بك ويحسبوك جاهلا ابلها بلا عقل أو افراز فليكن معلوما عندك انه ليس صلاح بلا عثرة فان كنت تهرب من معوقات الخير فلا يمكنك أبدا أن تقتنى فضيلة . بساطة الطبيعة شيء ودرجة الصفاء شيء آخر فالبساطة هى بدء طريق تعليم المسيح . وصفاء الروح هو كمال طريق البر والذى يبدأ بالبساطة يكمل بالصفاء . فهناك فرق بين أرض نقيت من أشواكها وزوانها ومعدة للزرع والتعب والنصب الحسن وبين حقل مزروع قد بلغت أثماره النضج .

البساطة هى حقل مفلوح منظف من الشوك ومعد للزرع ويصلح لقبول كلما يوضع فيه . أما المكر فهو أرض مملوءة شوكا وقرطبا وزوانا وإن وقع فيها زرع صالح خنقته فصر أرضاً مفلوحة ليسوع ليلقى فيك زرع كلمته الصالح . إن كان لك بساطة من الطبع فافرح لها وأجتهد أن تزيد عليها وتنميها . وإن لم تكن لك من الطبيعة أسرع فى اقتنائها بارادتك لانها نافعة لحياتك بالله . البسيط لن يفكر بالشر فى أحد ولا يخف من شر أحد

الطاعة هى طريق اقتناء البساطة وهى لا تفحص ما يقال لها لا تقاوم من يأمرها لذلك فهى لائقة جداً لتدبير سيرة الرهبان والمتوحدين . لان الراهب الماكر لا ينجح ولا يفلح بل يصير منظر شرور ولا صلاح له ، وهو يقتنى خسارة لا ربح . الراهب الذى يحب الظهور ولا يعمل بما يظهر به الذى يمتنع عن المأكل اضطراراً لحفظ السنة هو يتعب بلا منفعه وهو غاش لذلك فهو عديم العقل والافراز . أننا لسنا نوصى أن نقتنى بساطة

بلا معرفة فتميل لـكلما يقال وتنخدع لـكل تعليم غاش . بل نعنى البساطة التى كل هذيذها فى الفضيلة لله والصلاح كمثل الطفل الذى لا يعرف إلا معلم واحد ويخاف منه وحده . ولا ينفذ إلا أمره بل ولا يقبل من معلمين أخر سواه . هكذا ينبغى المؤمن أن يكون طفلا فى سلوكه مع المسيح ومخافته مالكة على حياته ولا يقبل تعليما من معلم آخر سواه لان الطفولية هى نقية الطبع وليس يفسد عقل الطفل طغيان ما . فلنسر الآن لتلمذة المسيح فى الطريق الذى أورانا إياه ونجتهد أن نسلك بالبساطة ونكون اطفالا لقبول التعليم الحسن . ونتحكم كالحيات مقابل العدو الذى يتحايل لإيذائنا ونذكر فى كل وقت قول ربنا « ان كل من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله (لو ١٨ : ١٧) الرب يؤهلنا له . المجد لعظمته آمين .

الميمر الثالث

(خـــوف الله)

تتقدم الآن بضمير خائف من الله لنتعلم مخافته . لانه اذا كان الفكر يهذ فى امور غير نافعة خارجة عن النفس فهو طائش جامح وفى طريق خارج عن تذكار الله يتصرف . أما اذا كان يهذ فى الفضيلة فإنه يستنير بنور تذكار الله وأيضا اذا ما لهج بأفكار باطلة فان كل تصرفاته تكون مظلمة . والذى يسلك فى الظلمة فهو لا ينظر ولا يبصر ولا يفرز طريقا ولا يفهم سبيلا بل لا ينظر سير خطواته . لتكن مفاوضتك دائما بكلمة الله ليس بالتلاوة محركا اللسان فقط بل ليهذ بها القلب بالفكر أيضا . لان الذى يشرب التعليم الالهى دائما يعطى اثمارا الهية ويكون همة دائما بالله ويستمر فى ذكرة خفية فتنشأ فيه مخافة الله التى تكون سورا يحفظه من جميع الشرور وكما يستر السور المدينة هكذا تستر مخافة الله الانسان من سبى الاعداء وتمنعنا

من محبة الشهوات وتصون نفوسنا من الافكار السمجة . واذا سألنا كيف نقتني خوف الله وكيف نصل اليه نرى أن الايمان الحقيقي يلده . والايمان مولود من البساطة الطبيعية ويقتني بها . فخوف الله يحفظ الوصـــايا التى يقبلها الايمان . ومثلما تحفظ البساطة الايمان . كذلك تحفظ مخافة الله الوصايا . ولست أقول عن الخوف أن الانسان يخاف الله مثلما يظن عن كثيرين انهم كذلك بل أعنى المخافة المتحركة طبيعيا فى النفس التى إذا شاءت ورغبت حركت أعضاء الجسد بها فيخاف مثلما من منظر يعرف انه يؤذيه

وكـذلك النفس أيضاً تخـاف من الذى له سلطان على هلاكها أى من الديان الخفى الذى يعذبها مع جسدها بالضيقات الروحانية حسب طبيعتها . وإذا ما شخصت بعين الايمان إلى التهديدات المزمعة ونظرت خفية الصعوبات التى أظهرتها كلمـة الديان فـفى الحال تمتلىء خوفا وهـكـذا تحرك معها جميع أعضاء الجسد . وخصوصا إذا لم تـكن النفس والجسد طاهرتين من الخطية فللحال يمتلىء الانســان كله خوفا . ولا يستطيع أن يعرف أحد هـذه الحقيقة إلا الذى جربهـــا فى ذاته .

لا يقتن كل انسان مـنزلة خوف الله طبيعياً بسبب الخطية الناشئة عن التهاون والانصراف عن ذكر الله الدائم لان الخطية هى موت النفس الكامل وذكر الله هو حياة النفس . وكل من يخطىء ولا يتحرك فى فكره دينونة الله فى أثناء خطيئته أو بعدها هو مائت بنفسه . أما إذا كانت النفس تذكر الله دائما حينئذ تعرف أنها حية . وإذا كانت تخطىء ثم تتوب فهـى مريضة . وإذا كانت تظل بلا توبه وتخطىء بالاهمال فظاهر أنها مقتولة بالخطية .

معرفة الله هى الحياة الروحانية التى للنفس وكما أن حياة الجسد تـكون بثبات النفس فيه وتعرف حياته من حسه هـكذا حياة النفس تـكون بثبات معرفة

الله فيها و تعرف حياتها من حسها بالله . لان الجسد المائت لا يحس بالضرر وكذلك النفس المقتولة بالخطية لا تحس بذكر دينونة الله . يجلد الجسد المائت ولا يحس ويتقطع ولا يتوجع . هكذا النفس المائتة من الله تخطى ولا تحس ، تأثم ولا تعرف .

تذكار الله هو حياة النفس فما دامت تذكر الله فما تخطىء . فان عرض وقت فيه احتجب نور معرفتها بسبب الشهوة يتحرك فيها ذكر الله فى الحال والخوف الذى منه يجذبها للتوبة . لان مخافة الله تصنع أمرين للنفس الاول حفظ الانسان من الخطية والثانى إن أخطأ تحرضه على شفاء خطيته بالتوبة هناك من يخاف من نظرة الديان وهناك من يرتعب من السمع به فقط . فالذى يحترس الا يخطىء نظرة الديان تمنعه من الشرور أما الذى يخطىء ثم يرجع للتوبة فخبر الديان يخيفه ومن سماعه فقط يرتجف . لكنه لا يستطيع أن ينظره فى وقت الخطية لانها عماء للنفس وكما من دخان بخار الشهوة تغشى عين النفس فما تستطيع أن تنظر الديان . فالذى هو أعمى بطبيعته يخاف من خبر المؤذيات وليس من نظرها . أما صحيح النظر فهو ليس مفتقر أن يتعلم من آخرين لان نظرته تعرفه . بهذا التشبيه نميز بين الذى يحترس الا يخطىء والذى بعد أن يخطىء يتوب .

النفس بطبيعتها لا تخاف من مؤذيات الجسد ومن يظن انها تخاف من مخاوف الجسد فهو يظلم تمييزها لانها تخاف ممن لا يؤذيها فخوف النفس الطبيعى هو الله فقط . أما الجسد بطبيعته لا يخاف من الله وكذلك النفس لا تخاف من الوحوش وغيرها فان أدخلت النفس الجسد لمشاركة أفكارها فإنه يحس معها بالخوف من الله.إن ذكر حكام العالم للناس الموتى بأنفسهم والاحياء بأجسادهم يردعهم عن الشرور . وكذلك الانسان الحى بنفسه

ذكر دينونة الله يقمع شروره . وهكذا يفعل ذكر الله فى كل أحد حسبما تكون نفسه فان كان فى درجة المذنبين يظهر له الله ديانا . وان صعد إلى درجة التائبين يظهر له الله غفورا . وان ارتقى الى درجة الرحماء فإنه يتفرس دائما فى غنى مراحم الله . وان كان هادئا غير غضوب ومعتوق من الحقد بل يتحرك فيه السلام والامان دائما فانه يرتفع لينظر صفاء نقاء الله الذى لا يتكدر أبدا وان كانت حركات الايمان تختلج بلا انقطاع فى نفسه فانه ينظر كل وقت أعمال الله ولا يدركها . وان كان قائما فى درجة المحبة العالية فان الله يظهر له ان كله حب .

يا للعجب من بساطة طبيعة الله فانه بأشكال كثيرة يظهر لكل الناس وهو يظهر لكل انسان كما يريد ويطلب . فالذى يريد أن يرى صلاح الله ينبغى له أن يصير صالحاً . ولا يظن أن يرى صلاحه وهو قائم فى الشرور وإن ظن أنه يرى فانه مخادع فيما يرى . وهذه النظرة الخداعة يصنعها التهاون والانحلال . لذلك ينبغى لكل من هو قائم فى الخطية ويحس أن آلاما رديئة فى نفسه ينخس ضميره أن ينظر إلى الله كديان وألا يجسر أن ينظر اليه بنوع آخر لكى بهذا تكثر فيه مخافة الله فتقمع شروره . إن شئت أن تراه غفورا أترك شرورك وأقترب من التوبة وأغفر لمن أساء اليك وأرفع عينى عقلك لتنظر الله غفوراً والذى يخطىء على الدوام وينظر أن الله غفور فهو يزداد شراً على شر فلا تتكل على هذا الغفران

ثم بلد للحزن وثم بلد للفرح . فبلد الحزن هى للتائبين والذين يحسون بزلاتهم الذين لم يعتقوا بعد من الآلام . وأما بلد الفرح فالمستأهلين له هم قاهرى الشهوات الذين بلغوا إلى منزلة الفرح الذى هو فوق الحب . الذين

تخلصوا من جميع آلامهم بقوة أفكارهم . حينئذ هم يدخلون إلى بلد الفرح حيث يبطل الرعب والخوف .

الخوف ضد الفرح وحيثما وجد الخوف فلن يوجد فرح وحيثما يكون الفرح فهناك لا يطأ الخوف لان الخوف ينبع الشرور والفرح ينبع الصلاح . فينبغى لمن يحس فى نفسه خطية أو زللا أن يربى فيها خوف الله فى دخوله وخروجه وجلوسه وقيامه ويلهج بالخوف فى جميع تصرفه لكى تمتلىء أفكاره من خوف الله . ولا يجعل ذلك فى زمان خاص بل يكون ذلك فى كل وقت فإن التهاون بحفظ وصايا الله يوجد فى الانسان فى الوقت الذى فيه تفتر أفكاره عن الهذيذ فى خوف الله وبذا تغرق أفكاره فى نوم الضلالة .

تشرق مخافة الله فى العقل بذكره اما أن تهاون الانسان واطل عنه تيقظ الفكر فانه يغرق فى نوم التهاون والاهمال وان تيقظ بسبب ما وأشرق ذكر الله فى نفسة للوقت يبعد التهاون ويحل مكانه الندم ويمتلىء رعبا وأسفا على الاوقات الباطلة التى فاتته ولم يذكر فيها الله . فكل من هو حى بهذا الذكر اذا عرضت على نفسه حركة شهوانية للوقت يمتلىء خوفا وينتهر فكر الشهوة . ففكر الشر يهرب دائما من أمام خوف الله .

الخوف والحياء من الناس يحفظان الجسد من الشهوات وأما الخوف والخجل من الله يحفظان حركات النفس من أفكار الشرور . لان الانسان الذى لهذا الخوف يحسب أن الله فى كل وقت ناظر اليه وينظر هو إلى نفسه أيضاً لكيلا يخطىء . أحط ذاتك أيها الانسان بسياج خوف الله فلن تجسر الشرور الدخول إلى مدينة نفسك . اقتن ذكر الله على الدوام فانه لا يثبت معه ذكر الشرور . فما دمت تذكر الله فانك لا تذكر الشرور فذكر الله لا يسكن مع ذكر الشرور فى النفس . إن كنت لا تنسى الله فانك لا تذكر الشرور

وإن كنت لا تنسى الشرور فانه لا يتحرك فيك تذكار الله. واليك العلامة التي بهــا تعرف إن كنت تخاف الله أم لا. إذا ذكرت الله وارتعبت وأمتلأت خوفا وارتجفت أفكارك مع أعضائك وتحركت نفسك مع جسدك وخجل عقلك فى الخفاء من الله. أعلم أن فيك خوف الله بالحق وذكر الرب قريب منك فليس كل من يقول أنى أخاف من الله هو كذلك بالحق بل من يحس حدوث هذه العلامات فى نفسه بالتجربة هذا هو بالحق خائف الله.

كثيرون يتعبون أنفسهم بالاعمال الظاهرة وأما فى الخفاء فيخدمون الشرور. فهناك من ربطوا أعضاءهم بقيود الضوائق وأطلقوا أفكارهم تطيش فى كل ما هو سمج. وهناك من يلبسون العفة من الخارج ويرتدون الفسق من الداخل وبالاختصار نقول أن الاعمال الظاهرة ليست كفؤا أن تجعل الانسان خائف من الله على وجه التحقيق. وأما أنت أيها المفرز فاختبر ذاتك ومنك تكون الشهادة عليك إن كانت تظهر فيك العلامات التى قيلت سابقاً عند ذكر الله حينئذ تعلم أنه يسكن فيك خوف الله بالحقيقة. مخافة الله تفعل بدء البر الذى من الداخل وتظهر أعماله فى الخارج.

جيدة هى الضيقات المنظورة لانها تخضع الاعضاء لتكون مطيعة للأفكار وتقمع نفاق الجسد ليخضع لارادة النفس. ولكنها لا تقود العقل إلى النقاء ولا تجعل النفس خائفة من الله إن لم تكن النفس لا تتعلم أن تخاف الله خفية. العمل الخفى هو للنفس أما العمل الظاهر فهو للجسد. وعمل الجسد لا يبرر بدون عمل النفس أما عمل النفس فانه يستطيع أن يبرر دون عمل الجسد. إن كانت البطاله ليست من الاهمال كحب الراحة ولكن من ضعفه.

نظر البشر لا يحفظ الانسان من الخطية ظاهراً وخفيا . ولكن نظرة خوف الله تمنع النفس والجسد كليهما من الخطية . ديان أعمالك هو مختبر جهادك فاجعل مخافته قدام وجهك كل وقت . خف الله بظواهرك وخفاياك إذ هو الديان لافعالك الخفية والظاهرة لتجعل نفسك تخجل منه فلا تخطىء وإذا كنت وحيداً وليس لك سوى حيطان بيتك وسطحه ساترة لك من كل ناحية فينبغى لك فى هذه الحال أن تشرع سلاح مخافة الله لأنه فى الظلام تفعل الخطية بسهولة فلذلك ينبغى لك أن تيقظ نفسك بذكر الله دائماً فى وحدتك . ومثلما يستر البيت الجسد هكذا أيضاً يستر حجاب الجسد أفكار النفس . فكما أن الأول سريعاً يخطىء إذ أنه لا يسهل لانسان أن ينظره كذلك سهل جداً الخطأ بالأفكار أكثر من الخطأ بالأعضاء فقم قبالة الخطية المقاتلة لك وقبالة المبغض الخفى الذى يقاتل مع حياتك بحركات شهواتك . لأن الفكر إذا قبل الخطية ورضى بها فقد أكمل فعلها لأنه حسب حدة حركة الفكر ودقته هكذا سرعة زلله ومقابل هذه الحده والدقة التى للفكر هكذا يليق بنا مداومة ذكر الله ليحل على الدوام خوفه فينا لأنه وحده ديان الخفايا .

حسبما أزدادت فينا حركة ذكر الله سريعا يأتى الينا خوفه حتى إذا تحرك فكر الخطية فان ذكر الله يمقته . فالنفس التى تضبط بهذا اللجام إنما تلتجم بالصمت من حركات الأفكار السمجة وإن عرض لها أن تخطف بغتة يقمعها هذا الذكر ويردها لتنظر فى ذاتها .

ليس شيء من الصلاح إلا ويحفظ بخوف الله . فبه يدوم فينا الايمان والصوم والصلاة وبقية الفضائل . وهو يهدىء الحركات السمجة التى بالنفس ويطفىء الشهوة المضطرمة فى الجسد وينقى الافكار القذرة . ويمنع الانسان

من السير فى طريق الشرور وينير له طريق ليسير فى طريق الصلاح ويحرضه على جمع الفضائل وهو أيضاً يحفظ الأشياء التى يوهبها .

خوف الله يولد من الايمان ويكون بعد ذلك حافظا له . لأن الذى يؤمن بالله يحل فيه خوف الله ويكون متيقظا وحافظا لجميع الوصايا وإذا لم يوجد الحب فالخوف يحفظ الوصايا . وكل وصية تحفظ بثلاثة طرق إما عن خوف أو لأجل مكافأة أو عن حب . فالاول الخوف والثانى الوعد بالعطايا والثالث الحب الحقيقى . الاول أعنى الخوف هو للعبيد والثانى للأجراء والثالث للروحانيين الصديقين .

مبدأ طريق سيرة المسيح هو الخوف وينبغى أن يلتصق به كلمن يبدأ بهذا التعليم فينبغى للطفل أن يسير به لأنه لا يستطيع بعد أن يتذوق حلاوة معرفة المسيح ولا الحس بقوة وصاياه . هذه الحلاوة التى إن تذوقها فانها تجذبه لحفظ الوصايا . أما إذا لم يبلغ الانسان بعد لمذاقة هذه الحلاوة فتليق له المخافة لتربيه وتذكره بعدم الطغيان والضلالة لذلك يليق بنا أن نضع مخافة الله فى نفوسنا ونهذ بها ليلا ونهاراً . فان اشتعلت فينا نار الشهوة نضع قبالتها نار الجحيم ، وإن خطفنا شره البطن نذكر ذلك الدود الذى لا ينام ، وإن جذبنا حسن الوجوه نذكر الظلمة الخارجية ، وإن حاربتنا محبة المال نذكر خسارة ذواتنا ، وإن جذبتنا الأرباح البشرية نخاف لئلا نخسر الملكوت الأبدى ، وإن قام علينا الغضب الحاد بسلاحه نفكر فى تهديد الله للغضوبين وإن سجسنا المجد الباطل نحضر إلى خواطرنا الاحتقار والازدراء المزمعان أن يكونا أمام الديان وهكذا نبطل الخوف بالخوف ونقهر الموت بالموت.

وينبغى أيضاً لكل من يريد أن يحفظ حياته باحتراس من الخطايا أن يقتنى ذكر الموت فى كل وقت لأن الذى يفكر فى ساعة موته لا يسهل

لـلإثم أن يثب عليه . ولا يجسر من الدنو لعمل الخطية إذ أن ذكر الموت مخفف لجميـــع الشهوات الرديئة المجتمعة على النفس . لـكن قرب الموت معلما لنا قبل موت جهنم لـكى نحفظ حياتنا باحـتراس من جميع النواحى . ونذكر الله ونخاف من دينونته ونحفظ وصاياه .

فاليك يا من تريد أن تســـير باستقامة فى طريق المسيح أذكر المبدأ والوسط والـكمال . الدرجة الأولى هى الايمـــان والثانية البساطة التى هى حركة نقية طبيعية مولودة من الايمـــان . وهى ترجع تحفظ الايمان ومن البساطة يتولد خوف الله الذى به أرضى جميع الأبرار القدماء الله . والذى فى رتبة العبيد يليق به الخوف . فهنـاك من يخاف لئلا يجلد وهذا خوف العبيد ، وهنـاك من يخاف لئلا يخسر وهـذا خوف الأجـير ، وهناك من يخاف لئلا يغيظ وهذا خوف الصديقين . ينبغى لـكل انسان أن ينظر إلى ذاته ويتأمل فيمن كانوا قبله بأى تحفظ وأحتراس كانوا يدبرون حياتهم .

إننا نخاف الله من أجل أمرين : إما من أجـــل الخطية التى فعلناها وإما لئلا نخطىء : لأن الذى يذكر خطاياه يخـاف من الانتقـام لأجل ذنوبه والذى هو طاهر وليس له خطايا يفتكر فيها ويحزن عليها فانه يخاف لئـلا يغضب الله بمـا سيأتى . لنتأمل الله كـيف هو صالح وشفوق وكـثير النعم فانه تضايق لأجل راحتنا وهو طالب وجودنا ومستريح براحتنا أكـثر منا. يسألنا عـلى الدوام أن نأخذ من غنـاه ولانه ليس لمسكنتنا كـفاية للصعود إلى غناه احدر غناه إلى فقرنا ولمـا رأى أننا لانريد أن نستغنى تمسكن هو ليغنينا . فاسمه محبوب للذى ذاق حلاوة الروح وللنفس التى أحست به . نعمته كـثيرة وحبه وفير ونقمته قليلة وإنعامه غزير وليس له خسارة سوى هلاكنا فقط ولا يحزن عـلى شىء إلا لاجلنا . لبس آلامنا كى يعرينا من الآلام . ولا يريد أن يقتني شيئاً دوننا الذي يحسب فرحنا فرحاً له وأحزاننا كذلك

لاجل هـذا ينبغى لطبيعتنا أن تخاف من الله كل حـين . وأما أن نحب فذلك عطية منه يجود بها علينا لان الانسان لا يستحق أن يحب الله بل أن الله يتنازل بنعمته كى يحب من الانسان لذلك لا ينبغى لنا أن نتوقح بارادتنا حتى نرتفـع لدرجة الحب بل نثبت كل أيامنا بعبودية الخوف حتى إذا شاء بنعمته فهو يرفعنا لدرجة محبته . ولهذا تحرص الـكتب المقدسة عـلى الحض على اقتناء الخوف أكـثر من الحب لان الخوف يتبعه الاحتراس أما الحب فيـلازمه الثقة والاتـكال . وأيضاً أن الخوف هو سبب الحب فإن لم يزرع الانسان بالخوف فـــلا يستطيع أن يحصد بالحب . وكما أن غلات الفلاحين موضوعة بيد الله واما العمل والزرع هو باختيارهم كـذلك عمل وفلاحة الخوف موضوع بارادتنا أما البلوغ إلى مقدار الحب وجمع الغلات هو بارادة الله .

إلى أن ظهر المسيح على الارض وأتى بالحب للعـالم كانت الناس تتدبر بالخوف هـكـذا إلى أن يظهر المسيح لـلانسان فى نفسه ينبغى أن يتدبر بالخوف . وإن كان ربنا بنعمته قـد دعانا بنين لـكن باتضاع ينبغى لنا نحن أن نثبت فى خوف الله وكما يأخذ الانسان العامل أجرته بعد العمل هـكذا يذيقنا ربنا حلاوة حبه بعد العمل بالخوف ومن هذا المذاق يـكون الفرح وعند ذلك نقوم بثقة البنين . والقيام فى الحب التام هو النقاء من جميع الشرور وكمال كل صـلاح الذى هو ربنا يسوع المسيح لا يعطى غنى الحب إلا إذا عرف أن الانسان يستحقه لأن الحب يـــلد الثقة والاتـكال الذى يتبعه التهاون والاهمال . فـكل فضيلة لا بد لوجودها ترعة بقربها تنساب منها فتنقص الخوف من الله فليس فيه تهاون بل هو مملوء يقظة واحـتراس وسهر دائم يحفظ الفضائل من السالب . لأن خوف الله انمـا ينبهنا دائما ليس على أمر

احد بل عمل جميع الوصايا .

قال النبي رأس الحكمة مخافة الله لأن كمال طريق الأعمال الجيدة هو الحب الروحاني . فاذا ضبطت الخوف في نفسك فلست تخاف من شيء . إذ أن مخافة الله لا تجعل شيئا من خوف العـــالم يغش الذي يقتنيها لأن الخائف من العالم لا يخاف الله . ما دام الفكر خاليا من خوف الله فكل خوف يلاقيك يرعبك . فاذا كان خوف الله ساكنا في النفس وضابطا لجميع أفكارها فليس هناك مجال لخوف آخر سواء كان من السلاطين أو غيرهم . لأن كل خوف يريد أن يدخل النفس ليسكن فيها إذا نظر خوف الله مالئها فانه يهرب إذ أن النفس مجتمعة كلها بهذه المخافة القدسية . فلنحرص أن نقتني هذا الخوف ونحتقر كل شيء غير مهتمين بأي أمر يعطلنا عن ذكر الله الذي له المجـــد .

الميمر الرابع

(التجـــرد)

لا بد للانسان الذي يريد أن يسير بترتيب في طريق الكمال أن يبدأ وطقس يليق بهذا الطريق وليس كما يبدأ وله مثلما أعلمنا سيـــدنا بكلامه وأعماله . إذ أنه بعد ما أكمل كل بر العدل وحفظ السنن والوصايا التي بالعالم ترك العالم ليعلم الكمال . لأنه بالحقيقة لا يمكن للذين يعملون البر في العالم أن يكملوا . لأن الانسان لا يقدر أن يقوم بالعملين أو يصل إلى كمال الفضيلتين وهو في العالم لذلك أفرزت وصايا خاصة للذين في العالم ليقتنوا بها أنفسهم وعينت طرق أخرى للكمال .

إن السيد المسيح يريد للجميع أن ينهجوا طريق الملائكة ولكن إذ ليس الجميع لهم القدرة على ذلك وضع له المجد وصايا عادلة ليحيا بها أهل العالم

مبدأ طريق الكمال هو انتهاء طريق العدل وهو التجرد الكامل من جميع المقتنيات لأن الانسان لا يستطيع أن يسير فى طريق الكمال ما دام يملك شيئاً جسدانيا لأنه حسب مقدار الاقتناء تكون رباطات النفس التى تربط جناحات العقل فتعطل طيرانها إلى طريق السماء .

كل انسان انما يهذ فيما له لذلك الذى يهتم بأى شىء لا يستطيع أن يهذ بالله وإن تحرك فيه ذكر الله انما يكون ذلك فى وقت دون آخر لانه لا يمكن لتذكارين أن يسكنا بنفس واحدة وإن سكنا فلا بد أن يكون أحدهما زائفاً والآخر حقيقياً . وإن ظن أحد أنه يهتم بالله وكان فى ضميره هم آخر سواه فليعلم مثل هذا إنه لم يهتم بكل قوة نفسه التى يليق به أن يعطيها بالكمال لله .

لا ينبغى لنا أن نجزىء خدمنا بين العالم والله . فلا نهتم وقتا بالمال ووقتا بالله بل ينبغى لنا أن نعمل وصايا الله بكل قوتنا لكى نكون هياكل له وحده خالين من كل هموم خارجة عنه . أن الذى يريد أن يكتب إسمه فى أورشليم السمائية لا ينبغى أن يكون له مسكناً فى العالم .

مقتنيات العالم هى أربطة للأعضاء وقيود لسائر الحواس يرتبط بها الانسان بظاهره وبداخله . والله دائما يقبل خدمة كل انسان بارادة الخادم ومعرفته . فاذا خدم انسان بدون إرادته أو افرازه على سبيل الشرع أو العادة وبعدم ترتيب فان ربنا لا يقبل خدمته إذ أنه لا يشاء أن يقبل خدمة انسان ناطق كمثل من إناء أصم .

إن ربنا تنازل وعلم الجميع بما يليق وافرازهم ووضع لكل تدبيره .

فأعطى مرثا ومريم خدمة مناسبة لكل منهما إذ أن الاثنتان خدمتاه . الواحدة جسدانيا والأخرى روحانيا ولم يرذل خدمة احداهما . إذ بمقدار قوة ومعرفة كليهما خدمتا ولكنه أعطى التطويب لعمل مريم لانه يسر له المجد بأن نرتفع من الصغار إلى الكبار ومن الأعمال الجسدانية إلى الاعمال الروحانية . فمن أجل هذا جاء سيدنا إلى العالم ليسلم للبشر عمل الروحانيين

إن الرسل هم أول تلامذة النصرانية ورأسهم وقد كتب عنهم أنهم حينما دعوا تركوا كل شيء وتبعوا سيدهم ومعلمهم . وهكذا جعل هذا الخروج سنة لكل الناس وقانونا مستقيما لكل من أراد الخروج ليتبع الله وهكذا يخرج التلميذ متشبهــا بالرسل راذلا كل شيء متجردا بخفاياه وظواهره ليبدأ بطريق السماء .

أن الرب يسوع يدعوك للحرية وها هوذا العالم يخدعك لتظل في العبودية . وليس من طبيعة العالم الخداع ولكن شهوتك هى التى فسدت . إذ أن الانسان إذا اشتهى شيئاً من العالم كانت هذه الشهوة مريضة غير صحيحة . كالمريض الذى يشتهى ما يضره .

يأمرنا طبيبنا السمائى أن نتبرأ من العالم لكى نصير أحراراً . تدبير سيرتك أيها الراهب مرسوم بتعليم معلمك وربك فتأمل فى أعماله وكيف كان تجرده من جميع الأشياء البشرية .

إن التلميذ لا يعرف بشكله الخارجى بل بموافقة اعماله لأعمال معلمه والسلوك حسب المنهج الذى نهجه سيده له . فان سيدنا يسوع المسيح قال إنه ليس له أين يسند رأسه ليعلمك أنت أيضا ألا يكون لك . وكان تدبير سيدنا موافقا لوصايا شريعة التوراة إلى أن تعمد ليوفى الديون التى أتى من أجلها . ولما كان كل جنسنا خاضعا للعبودية لجميع ما كان واجبا على

الذين يتبررون فى العالم بالعدالة حفظه سيدنا بنفسه. إذ أن كل من يرتبط بالأخذ والعطاء وهموم الناس هو للآن لا يزال تحت السنة أما الذى تجرد وخرج من العالم فهو قد ارتفع بالضرورة فوق شريعة التوراة. وحينما وضع سيدنا تدبيراً للكمال رأى عدم الاعتراف بأم وأخوة. إذ أنه كان يطيعهم قبل العماد. أما بعد العماد فقد أظهر لنا طاعته للآب كى يعلم الكاملين أن يخضعوا للأبناء الروحانيين أكثر من الجسدانيين. فمن المعمودية إلى الصلب أظهر سيدنا سيرة الكمال. وهكذا أظهر سيدنا رتبتين بتدبيره قبل المعمودية وبعدها.

أما الرتبتين فهما إما أن نعمل بذاتنا واما أن نعمل بمالنا. أما العمل بالمال فهذا بر خارج عنا. وأما العمل بالذات فهو كمال أنفسنا. فتدبير سيدنا حتى عماده كان حداً لبر الشريعة المفروضة على كل الناس لذلك كل من يعمل الصلاح فى العالم يكون كالابرار القدماء والذى يتدبر كسيدنا من عماده إلى صلبه فقد وصل إلى حد كمال الروح بصلاح تام حيث التنعم والحياة التى تفوق العالم

وهناك مثل آخر على هذا وهو انتقال ربنا إلى البرية وتركه التصرف مع الناس لكى نخرج نحن أيضاً إلى القتال مع العدو. ومكتوب أنه خرج بالروح وأن الروح هو الذى أخرجه. ليس لأنه كان محتاجا للروح إذ أنه من طبعه بل ومثله وقد أفاضه على آخرين ليغلبوا به كل حيل العدو. لذلك كل الذين يخرجون تابعين الكمال ليعلموا أن الروح هو المعين والمقوى لهم فى جهادهم. فقوة الروح تصحب التلاميذ الذين يتركون العالم وبمقدار ازدرائهم بالقوى الجسدانية تعضدهم قوة الروح الذى ينقلهم من عالم الجسد إلى عالم الروح ومن الراحات إلى الضيقات ومن المفاوضة مع الناس إلى المفاوضة مع الله وباختصار ينقل الانسان من شىء الى شىء.

هنـــاك خمسة أنواع من التعرى : وهم التعرى من العالم والتعرى من الانسان العتيق والتعرى من الأفكار النفسانية والتعرى من الضلالة وأخيراً التعرى من الجهل فاذا كان الانسان فى التدبير الجسدانى فى العالم فافرازه مخفى بظلام اهتماماته وليس فى امكانه أن يحس بالسعادة التى فى تدبير سيرة المسيح ولا تظهر له الروحانيات وحتى لو خرج من العــالم مثل خروجه من البطن ما دامت نفسه وشهوات جسده معه لا يستطيع أن يتربى بقامة الروح إن لم يلق عنه الآلام السمجة التى للانسان العتيق ويقطع جسم الخطية

كلمـــا قطع الانسان أعضاء الخطية نبت عوضاً عنها أخر روحانية فى موضعها وحسبما يضمحل الانسان العتيق هكذا يظهر نور الانسان الجديد وإذا كنا قد تعرينا من الانسان العتيق ولبسنا الجديد عوضا عنه بالمعمودية إلا أننا لم نحس كيف خلعنا ولا كيف لبسنا لأن النعمة هى التى فعلت الأمرين وقد قبلناهما سراً باسم الايمان فقط . أما الآن فإنا بارادتنا وعمل أنفسنا إذا تعرينا من الانسان العتيق نحس بذلك ليس من خبر الايمان بل من التجارب بالاحزان والدموع والطلبات والصلوات الدائمة وسلوك الانسان الجديد الخفى . فاذا نجحنا فى هذه التجارب والممارسات فإنا نلبس الانسان الجديد بحس أنفسنا وبالتجربة الحقيقية روحياً

لا يستطيع الانسان أن يبلغ إلى هذه الدرجة إلا إذا تعرى أولا من جميع التدابير الجسدانية وتجرد بالكل من كل المرئيات عند ذلك يشلح عنه الآلام الردية التى هى محبة الفسق والزنا والشره وغــيرها التى هى آلام مفسدة للفضيلة فاذا ألقى عنه هذه فعلا من الأعضـــاء الجسدانية تبدأ حركات الأفكار فى تعزيته .

فإذا أبعد هذه الآلام من الجسد بقى عليه أن يقطعها من حركات النفس

التى هى بالتالى معرضة لفعلها . فاذا ما تمكن من ذلك يعرى نفسه من الجهل والضلالة والظنون الناشئة من خدمة الشهوات وذلك لا يتأتى إلا بالنظر النقى إلى الله . وهكذا تنقص القوة الجسدانية التى تسبب غلاظة القلب .

أن القوت بمقدار هو موافق للانسان إذ أنه فى الوسط فلا ينخدع لمشيئة النفس بالكل مثل قصبة الميزان بين الكفتين فاذا كان الجسد مانعا وعائقاً للنفس من اختيار الفضيلة والسير فيها ينبغى لنا أن نكسر قوته بقلة الغذاء ليتم حرصنا بالتعرى الكامل من العالم واهتماماته ونستطيع السير فى طريق الكمال .

أنه لشقاء للانسان الذى إذا قصد أن يستريح يتعب بالأكثر فالتجرد خفيف عند قانيه ولكن لما كان معلوما أن العدو يطارد تاركى العالم فلتترك عنك التراخى بعد التجرد بل جاهد قبالته واترك ضلالته لأنه لا بد من العبور فى بحار الضيقات والأحزان وضيقة الأفكار . إذ تجتمع عليك الشياطين فتجعلك تندم على خروجك مثلما اجتمع فرعون على المصريين . فيحركون فيك أفكارهم النجسة التى تظلم النفس وتخيبها من نظرة نور معرفة المسيح .

اعلم أن الشياطين يعملون دائماً على زرع ضلالتهم فى المبدأ فهم يبدأون فى جعلك تندم على تركك العالم الذى كان يسهل عليك أن تبرز فيه إن كنت تداوم الصدقة أو الصوم أو الصلاة أو أى فضيلة تريد . ثم بعد ذلك يصورون قدام عينيك أتعاب النسك ويلقوك فى خوف ورعب ويحيرونك ويلقون الشكوك فيك وتبدأ فى الحيرة والكآبة إذ أنك لا تعرف أن هذه أفكارهم النجسة يصيغونها فى شكل محبة الصلاح . اعلم أنهم يحركون هذه الأفكار فى نفسك ليحطوك من درجة البر الأعظم إلى ما هو دونه . فاذا

أطعتهم جذبوك قليلا قليلا إلى أعمـــاق الشرور لأنهم ممتلئون مكراً . فاذا رأوا أنك بدأت فى الفضيلة فانهم يبدأون فى ايلامك بالشيء المحبوب لديك وحينئذ تقوى حيرة الافكار المحزنة بالكآبة لأنك تركت فرح العالم ولم تصل بعد الى فرح المسيح . فتنسى ما أنت قد بدأت به كالشعب الذى خرج من مصر وانشق البحر أمامهم والمصريون كانوا خلفهم . لا تخف لأن يسوع معك عوض موسى فارجع إلى الصلاة واصرخ بحزن من القلب وفى الوقت تهرب عنك الكآبة . وتزول من أمامك جميع العثرات وتجوز صلاتك فى لجة الشرور ويشرق أمامك نور الخلاص وترجع الضيقات التى عتقت منها على الشياطين أعدائك وحينئذ تتخلص من نير عبودية مصر وكل شقائها وتدخل إلى بلد الفرح وتولد للعالم الجديد وتقتنى ثقة . وتنظر ناحية جبل صهيون المقدس فتتحدث مع المسيح عوضا عن مفاوضتك مع النـاس وتؤهل لمعرفة أسرار الروح وحـــين تـكابد الأتعاب لا تحس بضيقتها ويخطف عقـلك إلى الله . وتبعد عنك جميع احساسـات الترابيين . وذلك كله يـكون لك إذا ما سرت فى الطريق الحق وتركت عنك كل أمور العـالم المائتة . فاذا اهتممت بالأمور الروحية فان هذيذها يتحرك كالحى ويصـير فكرك روحانياً . فاسرع فى طلب هذا النصيب لأن هذا هو ميراثك . ما دام الانسان مسجونا فى بطن العـالم فانه لا يحس بهذه السيرة . حتى وإن خرج بظاهره دون باطنه فانه لا يستطيع الاحساس بها . لان هذا الحس الحلو لا يـكون بالجسد ولـكن العقل هـو الذى يذوقه روحانيـا وذلك عند تمـام تطهيره من الافـكار والهموم الجسدانية ولذلك كما سبقنا وقلنا إن البدء فى طريق الـكمال هو التجرد الـكامل من كل شيء .

هنـــاك من هو مرتبط بـكل أعضائه . وهناك أيضاً من هو مرتبط

بعضو واحد وبسببه يتقيد جميعه فلهذا يجب أن يحل من جميع رباطات العالم لئلا يعاق سيره . لان هم العالم يقوم كالحجاب يحجز النظر إلى الله فلا يظهر بذلك التدبير الروحانى الذى يقتنى بحركة الافكار وكذلك لا يعلن ملكوت السموات .

إن ملكوت السموات هو النفس الخالية من الآلام لانها إذ تعتق من آلام الشرور التى يولد منها الخوف والكآبة والهم وعدم الثقة ، فى الحال تمتلىء بضد هذه رجاء وثقة وفرحا . لانه على أى شىء يحزن الذى قطع عنه كل الاشياء وتركها تماما .

إذا كان ملكوت السموات هو كمال العتق من الآلام فواضح أن التعبد للآلام هو الجحيم والظلام الخارج والدود . فمن هنا نأخذ عربون الملكوت أو الجحيم . فانك إذا تناولت جسد الرب ودمه فانك تأخذ عربونا أما هناك فانك تغتذى دائماً من أقنوم المسيح وهكذا يعتبر الفرح الذى نشأ من عدم الآلام هنا مناسبا لذلك الفرح المزمع أن يجود به الله على مستحقيه . وكذلك عذاب الكآبة الذى يولد من خدمة الآلام الرديئة ههنا هو مناسب للجحيم المزمع أن يكون للأشرار .

لا ينبغى للراهب أن يكون تلميذاً بالاسم للمسيح وبالفعل للعالم . لذلك كن فى داخلك كما يراك الناس ظاهرا فكن بالحق تلميذا وتبرهن أن تلمذتك ليست متصنعة ولا من أجل المجد الباطل ولا لاجل راحة زائلة .

لا تمزج الروحانيات بالجسدانيات لكن تعبد للمسيح فقط وأعلم أنه سبق ورفع من أمامك عثرة الافكار بقوله : « لا يستطيع عبد أن يخدم سيدين » إختبر ذاتك إن كنت تستطيع أن تسير حسب ارادة سيدك أم لا فاذا لم تستطع أثبت فى العالم وهكذا فكر فيما يليق بهذا الطريق قبل أن تضع عليك نيره

كثيرون يترهبون ليس لكى يكرموا المسيح بل لكى يكرموا باسم المسيح ولكى يسعوا وراء راحة جسدانية فلا يهتموا بمكابدة الضيقات بحفظ وصايا الله .

سبق ربنا وبكت جميع الافكار السقيمة وسلم للتلاميذ عقيدة حقيقية إذ لم يسمح لذاك الذى كان يشفق على أقربائه ولم يرد أن يغيظهم واستأذنه أن يمضى ويودعهم وبعد ذلك يتبعه قال له « ليس أحد يضع يده على المحراث ويلتفت إلى الوراء يصلح لملكوت السموات » (لو ٩ : ٦٢) وكذلك الذى طلب أن يكرم أباه الجسدانى فبعد موته يتبعه قال له « دع الموتى يدفنون موتاهم (لو ٩ : ٦٠) وكذلك الآخر الذى طلب أن يجمع مالا قال له « ليس لابن الانسان أن يسند رأسه (لو ٩ : ٥٨) وذلك الذى كان بالظاهر فقط طلب أن يتبعه قال له لا تبدأ ببناء البرج قبل أن تحسب نفقته (لو ١٤ : ٢٨) وذلك الآخر الذى كان ضعيفا عاجزاً ولم يكمل بعد نظافة أفكاره ونقاوة نفسه وأراد أن يقاتل قبالة العساكر الغريبة قال له « أى ملك إن ذهب لمقاتلة ملك آخر فى حرب لا يجلس أولا ويتشاور هل يستطيع أن يلاقى بعشرة آلاف الذى يأتى عليه بعشرين ألفاً (لو١٤: ٣١)

أن هم العالم لا يلائم من يريد أن يصنع جهادا روحانيا . فاذا سمعت كلمة التلميذ الاول بطرس « هوذا نحن قد تركنا كل شىء وتبعناك » تظهر لك حقيقة تجردهم الكامل . إذ أنهم لم يقتنوا شيئاً آخر مع يسوع . أترك أنت أيضاً كل شىء واحتمل الضيقات ففى الحال ترى إشراق مجد يسوع فى داخلك وتغمر كلك بمحبته وتصير شخصاً آخر جديدا من عتيق . وإعلم أنه طالما تتحرك فيك الخطية أو أى هم جسدانى من العالم بالفكر وبالعمل فانت لازلت عتيقا . فانهض بتجديد نفسك بالتعرى الكامل من الآلام .

إذا جحدت العـــالم فلا ترجع اليه ولا ترجع إلى الوراء بعد أن سرت خطوات إلى الامام . لتكن نظرتك واحدة مستقيمة إلى الامام . ولا تكن كانسان يمشى إلى الامام ثم يرجع ثانية إلى الموضع الذى كان فيه . أعنى تتدبر حينا بالراحة وحينا بالضيقة : حينا بالصوم وحينا بكثرة المآكل : حينا بالصلاة لله وحينا بالمفاوضة مع الناس بالكلام . حينا متذكرا لإلهك وحينا مائت النفس من ذكره . تمشى ثم ترجع تصعد ثم تنزل . تتلطف ثم تقسو

لا تشك لئلا لا تبرح من موضعك . الذى يلتفت إلى الوراء حين سيره فى هذا الطريق فان نفسه تصير عمودا أصماً لا حس فيه .

الفكر الذى يهتم بالعالم يغلظ ويظلم ويعطل العقل عن التفرس فى الله فان كان فكر الجسدانيات يمنعنا هكذا من النظر فى الروحانيات فكم بالأحرى اقتناؤها

تشجع أيها التلميذ وأخرج من العالم بالفعل لا بالاسم . بالحرية وليس كما من قانون وأعبر هذا الطريق المخوف العميق المملوء من الوحوش الرديئة الكاسرة والديب القاتل . وما يسهل عليك العبور هو الحزن والصلاة والرحمة

لقد وضع لنا ربنا يسوع المسيح خطوات محدودة بوصاياه للوصول إلى غاية البر وهى (أولا) أن يترك الانسان الشرور ويمتنع من خدمة الرذائل (ثانيا) أن يصنع كل ماتأمر به الشريعة (ثالثا) أن يعمل الصلاح الذى هو فوق خوف الشريعة (رابعا) أن يبدأ فى طريق التلمذة للمسيح بالخروج الكامل من العالم (خامساً) أن يحتمل الاعمال والضيقات التى بها يموت الانسان العتيق (سادساً) أن يحمل الصليب ويصل إلى تمام كمال المسيح

كل ألم يربط الحرية تحت سلطانه هو سيدها واضطرار خوفه ملق عليها فان الآلام لا تستعبدنا غصبا بل حريتنا هى التى تخضع لهذه الآلام .

الانسان يولد ثلاثة مرات من الله ـ الاولى من البطن للعالم ، والثانية

من العبودية للحرية فيكون ابنا لله وهـــذه الولادة تكون بالمعمودية ، والثالثة هى أن يولد الانسان بارادته من التدبير الجسدانى للروحانى فينتقل من الجسدانية إلى الروحانية ومن التألم إلى عدم الآلام . ومن جميع حركات الانسان العتيق إلى حركات الانسان الجديد الروحانى . فينعم بنقاء الافكار التى هى عدم آلام النفس ومنها يدخل الانسان إلى الحب الروحانى الذى يولد منه المعرفة التى تنظر جميع الاشياء وبذا يتدرج العقل ويصعد حيث يتكلم مـــع الله . لذلك ترى الذين يشتهون الـكمال يتجردون من المقتنيات لـكى يتفرغوا لفلاحة ذواتهم فيعتقوا أنفسهم من كل أمور العالم حتى يتسنى لهم قتال الشهوات فيصير عملهم بأنفسهم وليس بما هو خارج عنهم .

إذا ما اقتلعت شهوات الجسد من الانسان وتنق من آلام النفس يبدأ فى أن يزرع لذاته المعرفه الحية فيعبد الله بالروح والحق وأيضاً يرتفع الـكاملين من الرتبة الروحانية ليكونوا شبه الله . فيعملوا بسلطة وحرية تفوق السنن والوصايا ولسنا نستطيع أن نصف حركاتهم الحية بالـكلام . وهم أيضاً لا يقدرون أن ينعتوا عملهم الالهى فالى هذا الحد ينتهى طريق المسيح أيها التلميذ . هـذا هو آخر سيرة التدبير الذى تسلمناه من المسيح . أخرج الآن من العالم وتجرد من كل الاشياء بجسدك وبنفسك لتجد الاشيـاء التى تفوق الـكلام وتتنعم بهـا فى عالم الحق بيسوع المسيح ربنـا الذى له المجـــد إلى الابد آمـين .

الميمر الخامس

(الشــــراهة)

أن جميــع الشرور والســير وراء الشهوات رذائل سمجة ومرذولة من كـلام المعرفة الالهية . لـكن ألم شره البطن أردأ جميع هذه الشرور لانه يحط بالبشر فيساويهم بالحيوان لانه يبعدعنهم المعرفة والتعقل اللتان تليقان بالناطقين فيظــــلم ضميرهم بثقل المــآكل لذلك فهو باب جميع الشرور ومبطل الفضيلة ومعوق البر كله . بخس أكثر جميع الآلام ولا يعطي المتعبد له هدوءا بل هو دائم ومــــلازم له ويقوده إلى حيث يريد بطرق ليست صافية بل مملوءة عثرات ثقيلة .

شجرة المــآكل إذا كثرت تظـلم القلب وتقتم الذهن وتعمى الافراز وتسد الباب أمام تولد الـكلمة وتمتــــد منفرشة على كل الحواس المعقولة وهـكـذا يظلم الانسان الداخل لان الطبيعة الروحانية الممتزجة فينا تطلب خفة وسرعة وبمقدار ما يتلطف الجسد بالنسك يـكون له الشركة مع روحانيته وحسبما يثقل بالمــآكل يعذب النفس إلى ثقله ويربط أجنحة أفـكارها . أما إن نقص ثقـله فانه يخضع لارادة النفس بسهولة . وتجــــذبه النفس الى جميع ما تختاره .

الانسان الشره لا يستطيـع أن يفرغ من شرهه فالشره كالغصن الذى تتفرع منه كل الآلام الشهوانية فهو مبــــدأ طريق الضربات الشمالية وكل الشرور تتبعها واحدة فواحدة فهو أولا يظلم الضمير من الهذيذ وذكر الله ويقتم الذهن من تذكار المسيح واذا بطل ذكر الله من النفس فانها تفـكر فى جميع الشرور وتعملها . كما أن مبدأ طريق البر هو الصوم والنسك كـذلك

أيضاً مبدأ كل أعمال الخزى هو شره البطن وكما أن جميع ما يصنعه البشر يبدأ بذكر ما يفعله هكذا تذكار الله هو بدء كل صلاح وكل فضيلة يصنعها الإنسان غير ذاكر الله فيها فليست هى لله بل للشىء الذى ذكره فى قلبه أثناء صنعها .

فإن كان ذكر الله هو بدء كل صلاح فشره البطن هو ضد ذكره . كما أن بدء الصلاح يقوم بذكر الله كذلك بدء كل شر يقوم بشره البطن فإذا قاوم هذان المبدآن بعضهما البعض وغلب أحدهما الآخر فسيغلب مع المغلوب جميع ما يتبعه وكل صلاح ليس مبنياً على ذكر الله فإنه يهدم ويسقط فالشره يطرد ذكر الله من النفس أولا وبذلك يهدم كل صلاح .

محبة البطن هى ضد الصوم . مبطلة الصلاة قذارة القلب ظلام العقل مصورة الأشكال أم الخيالات مولدة الزنا منجسة الجسد . تزنى بالأفكار دون الأعضاء . نشيطه لكل شر . مبدأ طريق الطغيان والخطية . فهناك من يأكل للشهوة وهناك من يأكل لاحتياج الجسد فالاخير ليس يأكل لجسده بل لنفسه فانه يغذى الجسد ليكون معد للنفس لاحتياجها إليه والذى يأكل للشهوة إنما يأكل لجسده لأن الجسد يعرف من أمرين هما نظره وأعماله . أما النفس فهى تعرف من أعمالها فقط .

المخادع من شره البطن لا يصلح لله لان الله يطلب من الناس أعمالا وضيقات ونقاء قلب . فلتضع فرقاً بين حياتك وحياة البهائم فأنت صورة الخالق فلماذ ترسم ذاتك بشكل الوحوش . ألست تعلم أن التطويب قد أعطى للنساك والصائمين فاسرع لتؤهل لهذا التطويب وأهرب من الويل المعد للشباعى .

كل الحسنات عسرة على مخدوعى البطون لانهم انما صاروا عبيــدا لشهواتهم فان تحركت فيهم آلام رغبة الطعام والزنى أو الغضب أو الحسد

أو أى ألم كان فانه لا يسهل عليهم أن يغلبوه أو يقهروه بل كل ألم يغضبهم لفعله وأيضاً لا يستطيعون أن يخدموا الله الذى لا يقبل إنساناً يخدم معه

إن شهوة البطن أكثر الآلام مخالفة لإرادة الله لان بها تدخل جميع الآلام المقاتلة للنفس فهى الباب الذى إذا أغلق ألزم بقية الشرور بالمكوث خارجاً وهكذا لا تستطيع هذه الشرور إيذاء طبع النفس الروحانى. فإذا فتحنا بفتورنا هذا الباب ففى الوقت تدخل جميع الآلام التى أولها الزنا ثم محبة الفضة التى تلد الكآبة التى سببها عدم اقتنائنا شيئاً أو ضياع شيء من حاجياتنا وأيضاً نغضب على الذين لا يعطوننا ومن اقتناء الأشياء الكثيرة يتملكنا المجد الباطل والعظمة والكذب والحلف والتجديف على الله فان النفس إذا أضاعت تذكار الله والدينونة بغير خوف فانها تصنع كل شر ويكون سبب ذلك شره البطن الذى منه تتوقد نار الزنا على الدوام وبتوقدها تحرك الأفكار فإذا لم يزن الإنسان فعلا فانه يزنى خفية وفى كل وقت يكمل الفسق بنفسه لأن ثقل الأطعمة تقهر الاعضاء بالشهوات. فابخرة الأطعمة الثقيلة تكون حجاباً للعقل وبعد ذلك شهوة الزنا تظلم الذهن حينئذ إذا اظلم العقل لهذه الشرور يبطل عنه ذكر الله حينئذ يفعل جميع الشرور.

شهوة البطن ضد شهوة الروح فلا يمكن حضور الواحدة مع الاخرى فشهوة الروح هى مدخل جميع الفضائل وشهوة الجسد هى مدخل لجميع الشرور. النسك يخفف الجسد ويجعله خاضعاً للنفس لتفعل فيه كل مشيئاتها وما دام الجسد ثقيلا عسر على النفس التصرف فكلما ارتفعت إلى فوق يجذبها بثقله إلى أسفل لان إناء أفكار النفس هو فى القلب الذى اذا غلظ بكثرة الاطعمة أبطل سرعة حركة أفكار النفس ما دامت تسمع شيئاً عالميا بواسطة الحواس الجسدانية.

إذا أرادت النفس أن تسمع الروحانيين وكلامهم الحى فانها ليست محتاجة للحواس الخارجية بل الى الاعضاء الداخلية منها بكل أجزائها ان كانت المحبة أو التمييز أو الاستضاءة أو غيرها ما دامت هذه الاعضاء خفيفة غير مضطربة .

تختلط النفس النيرة بالاعضاء النيرة ما دامت نظيفة من التكدر . أما اذا غلظت بكثرة الأطعمة صارت كجسم غليظ . وعوض أن تأخذ منها مساعدة تصير لها عثرة وتعطل سرعة فعلها . فهذه وأمثالها يفهمها الذين ينظرون بلطف إلى الطبائع بالمعرفة .

ان أول ألم قاتل العدو رئيسا جنسنا به هو شهوة البطن . وبعده دخل الانحلال وبعده أحسا بألم الزنا لان عيونهما فتحت بعد أن أكلا فعرفا أنهما عريانان . فانه معلوم أن شهوة الزواج حين تحركت فى أعضاء التناسل أحسا وخجلا من نظر بعضهما بعضاً فان الشهوة لم تتيقظ إلا بعد دخول الثمرة الى البطن . ومن حين تيقظت الشهوة ملك الخزى عليهما فكما أنه بأكل ثمرة واحدة عدما الاغتذاء من أثمار الفردوس هكذا أيضاً نخيب نحن من مائدة الملكوت بالامتلاء من مائدة واحدة .

لا نظن أن الاطعمة اللذيذة فقط تسبب شرها لكن عيسو بأكلة عدس حقيرة أظهر شرهه . فبين صبرك بالاطعمة الحاضرة ولو كانت نذرا يسيرا فتستطيع الصبر على اللذيذ أيضاً . واذا أغلقت باب شهوة البطن بقيت جميع الشهوات خارجاً فلنمت شهوة الجسد لنحيي شهوة الروح ولنشكر الله الذى يقيتنا بالاطعمة الحقيرة ليظهر اننا بنين ولسنا عبيداً أجراء يبطنهم ولنغلب الشهوة الاولى بالصبر لكى نقوى على قهر بقية الشهوات . «الاطعمة للجوف والجوف للأطعمة والله يبيدهذا وتلك»

ولكن الجسد ليس للزنا بل للرب والرب للجسد (١ كو ٦ : ١٣)
والمجد لله دائماً أبدياً آمين .

الميمر السادس

تهذيب وقمع الجسد

نادى ربنا جميع التلاميذ قائلا « أدخلوا من الباب الضيق لأنه بدون هذا الباب لا يستطيع أحد أن يدخل ملكوت الله فانه إن لم يبطل الانسان احساس مذاقة العالم فانه لا يستطيع أن يتذوق حلاوة تدبير المسيح ولا يستطيع أحد أن يبطل هذا الاحساس إلا بقوة الصبر لأن الذى يقطع من نفسه لذة جميع الشهوات فانه ينبت موضعها الصالحات فان لم يقلع الشر لا يثبت الخير . فانه يعمل فينا عاملان موت وحياة . الموت هو الإنسان العتيق الذى هو الشهوات المرذولة . والحياة هى الإنسان الجديد الذى هو التدابير المتقنة .

مبدأ النسك عسر ومر ولكن آخرته طيب وحلو لإنه حينما يبدأ الانسان بعمل فلاحة البر بذاته فأول عمل يعمله هو أن يصوم لأنه بدون النسك جميع فضائل فلاحة الذات مرتخية فالصلاة لا تكون نقية والتزمير لا يكون متيقظاً والافكار لا تكون متنقية والذهن لا يصفو والانسان الخفى لا يتجدد . انتبه وكن ناظراً ذاتك حينما تبدأ هذه الشهوة فى مقاتلتك اجمع عساكر أفكارك واجعل رأسهم الذهن المتيقظ مقابلة رئيس اللصوص الذى هو ام شهوة البطن فهى تخدعك فى البدء لتأكل لأجل الاحتياج وعند ذلك تجذبك إلى الشهوة فتعقل وميز افرازات الجوع واعرف جوعك

فهناك جوع الصبيان وهناك جوع من الضعف وهناك جوع من الخلو الزائد وهناك جوع من العادة وهناك جوع من البطالة حينما لا يكون للعقل شاغل وهناك جوع سببه حنجرة وقت الظهر . وهناك جوع سببه برودة الجسم يطلب حرارة بالطعام وهناك جوع سببه زيادة التعب .

وهاك أسباب الجوع كى تفرز جوع احتياجك كيلا يضلك جوع الشهوة وتظن انه جوع طبيعى . فالجوع الطبيعى ليس هو فروغ الغذاء من المعدة بل فروغ قوة الغذاء من كل الاعضاء فحينما تعرى الاعضاء من قوة الاطعمة فانها تلبس ضعفاً عوضا عنها فتسأل اعضاءك أن يخدمونك خدمة ما فلا يجيبوك — هذا هو الجوع الطبيعى الذى إذا شعرت به تناول غذاء يرد لاعضائك قوتها واحذر لئلا تسرقك الشهوة . أما إذا قاتلك الجسد لاجل احتياجه أو بجوع الشهوات فاغلب قتاله فى الحال بالصبر ورد ضميرك من الجوع إلى المفاوضة مع الله وفى الوقت تغلب لحاجة الجوع ويظهر لك انه ليس جوعا طبيعياً .

لا تستطيع الشهوة أن تستعبدك بل من قوتك تقاتلك فانه بمقدار صحة النفس تكون القوة التى ترسل منها الشهوة فلا تعطيها قوتك لتقاتل معك فمنك ينمو سبب شهوتك ومنك أيضاً تبطل . إرادتك تغلب الالآم والشهوات وإرادتك أيضا تنميهم .

إن عاشت فيك الشهوة أماتت حياتك بالله لأنه لا يمكن للإنسان أن يعيش مع الله ومع الشهوة . فالأمور الجيدة تنمو فيك من النفس بمعونة النعمة أما الشهوات المرذولة فتسبب من الجسد ويحرض عليها العدو .

ان قاتلتك الالام جميعها فلا تعطيها طلبتها بل استدل بذلك على ضعفها اجتهد أن تحرز على الشهوة الحقيقية التى تشتاق للحياة وتتلهف للصلاح

فانك لا تستطيع أن تعرف طيب الغلبة ما دمت متنجساً بالشهوات بل بعد الصبر على القتال لا بد يلاقيك الفرح . فانه من الخزى حقاً لمن دعى للسماء أن تغلبه شهوة البطن .

انك بالمعمودية قد رسم لك أن تقاتل وتغلب جميع الاراخنة والسلاطين والقوات المضادة فكيف تجعل شهوة البطن تغلبك .

إذا اقترنت الشهوة مع الجوع وقالالك هما فاقرن فكريك مع النعمة وقم للصلاة ولا تجعل « فكرك يعود للتفكر فيهما . فبعد غلبتك لهما تنفتح أمامك باب غلبة كل الالام فيأتيك بنصف قوتهما لان يد المسيح معك لا تخف جاهد واغلب .

لا تحسب انك غلبت إذا قهرت شهوة الاطعمة اللذيذة فقط بل ينبغي لك أن تقاتل ضد الحقيرة أيضاً . وباختصار كل شيء يوضع على المائدة وترى أن عينك تشتهيه لا تأكله فاذا عودت بطنك هذا فانها لا تطلب منك الا احتياجها فقط .

أغلب شهوة البقل لكى تغلب بها شهوة الزنا فالاوفق لك أن تأكل اللحم بلا شهوة من أن تأكل عدساً بشهوة . لا يجذبك الطعام الحقير لئلا تقهرك شهوة حسن الوجوه فاننا لا نلام على الاطعمة ولكن اذا أكل الانسان بشهوة فسواء أكل لحماً أو بقلا بشهوة فهو يلام لان الشهوة هى التى أكلت كليهما .

إن حواء حينما أكلت من ثمرة الشجرة لم تأت بالموت نتيجة للثمرة ذاتها ولكن شهوة الثمرة هى التى ولدت الموت فاصل الموت هو الشهوة وأصل الشهوة هو الزواج لذلك كل من يولد من الزواج لا بد يتحرك بالشهوة

ويخضع الموت ما خلا واحد لم يولد من زواج لهذا كان معتوقا من حركة الشهوة كما انه مكتوب انه لم ير فساداً ولذلك ظهر فوق الموت الطبيعي وانه بارادته قبل عليه الموت .

ان اليهود يفرزون الاطعمة فنها النجس والطاهر أما أنت فطهر كل شيء لكى تغلب الكل بحب الله .

كل شيء تشتهيه يكون عندك نجساً والذى تأكله بلا شهوة لا تلام عليه لان الابرار أكلوا جميع الاطعمة ولم يضروا بشيء لانهم كانوا فوق الشهوة ولا يأكلون بشهوة كالعبيد بل كأحرار وأما أنت الآن فما بلغت لهـــذه الدرجة لذلك ينبغى لك أن تتنسك وتأكل بمقدار وتشرب بميزان لتكون نقياً . أكثر من صيامك بمداومة لتؤهل لطهارة الصلاة .

ان الذى يريد أن يكمل بتدبير سيرة المسيح فليجاهد أولا قبالة هذا الالم كى يخزق الحاجز القائم فى وجه الذهن الذى يحجبه عن نظرة الله ويغلظه لانه حتى إن كان الانسان حاملا أعمالا وضيقات كثيرة وما خزق هذا الحاجز وكان قلبه غليظاً فلا يظهر له النور السمائى ولا يحس بسيرة المسيح .

وإذا نقض الإنسان هذا الحاجز فإنه يحس بتجديد نفسه ويعرف بعقله أن قد صار شيئاً آخر عما كان أولا فانه يستطيع أن ينظر ويحس ويقبل الأشياء التى تفوق العالم .

إن الإنسان بعد غلبة هـذه الأشياء يؤهل للنظرة الروحانية . فاحذر من امتلاء البطن لأن البطن الممتلئة بالأطعمة لا يمكن أن تلد عقلا دقيقاً فاقنع بهذه الشهادة الحقيقية .

إذا تغذى الجسد فإنه بقدر غذائه تضعف النفس . وإذا زادت قوة الغذاء زادت قوة الجسد تلك القوة التى تهلك نور التعليم من النفس بل

وتهدم أعضاءها التى هى أفكارها وتضيع معرفتها فالذى يريد أن يجد نفسه فليسلم جسده للضيقات وحينئذ يستطيع أن يربح نفسه بهلاك جسده . فالإنسان الجسدانى يضعف بقوة انسان الروح .

إن الذين لم يأخذوا غلبة على الأوجاع فانهم لا يستطيعون أن يكملوا طريق النصرانية بل يعرضون نفوسهم للموت . فاعمل على أن تمزج قوة جسدك بقوة نفسك وحياته بحياتها لتحفظ حياته المائتة بحياتها الغير مائتة . فان لم يولد الإنسان من الجسدانية للروحانية فإن نفسه لن تؤهل لنور معرفة المسيح ولا يكمل هذا الميلاد إلا بالأعمال والضيقات وانه بالحقيقة لا يستطيع الإنسان الذى يسلك بالحركات اللحمية أن يرث معرفة المسيح التى يدعوها ملكوت الله بأمثاله . لأن الملكوت بالحقيقة هو المعرفة التى لا تضل فينظر كل شيء فى موضعه الطبيعى كما هو والذى هو فوق الطبيعة أيضاً كما هو .

إن الذين يتحملون الأعمال والضيقات بالجسد يرثون ملكوت السماء والذين يقتنون نقاء النفس مع هذه الضيقات فانهم يجدون الملكوت فيهم . ضيق على نفسك لتخرج إلى الراحة فدعوتك التى دعيت إليها تنادى لك بالاعمال والضيقات وقمع الجسد وبعد ذلك تلاقيك الراحة الناشئة من هذه الاتعاب ألا وهى التنعم والفرح والثقة ومن قبل الملكوت ترث الملكوت

ينبغى للمجاهد أن يضع أمام عينيه جهاد سيدنا فإنه أولاً غلب شهوة البطن فأمكنه الغلبة على محبة الفضة والافتخار الباطل العالمى . فإذا ما غلب المجاهد هذه الثلاثة فانه يقوى على غلبة ما يأتى بعدها وينمو فى حرية المسيح ويختلط مع كل أحد بسلطة . ولا يفرز الذكر من الأنثى لأنه قد تعرى من فكر الآلام الذى يميز الاختلاف فانه لا يميز الانسان وجه المرأة من وجه الرجل إن لم ينخس الألم ضميره .

إذا كان بولص الرسول والتلاميذ القديسين قد تدبروا بالنسك فى أيام كالهم كخائفين فكم بالأولى أنت الذى لم تؤهل بعد لنظرة المسيح الروحانية وإذا بحثت كتب الانبيــاء لوجدت انهم لم يكونوا متأهلين لنظر الله أو الملائكة إلا إذا تدبروا بأصوام كثيرة فلذلك يعتبر الصوم طريق الملكوت العالى اللطيف الضيق الموصل الى الحياة فلنسر الآن فى الطريق الذى رسمه الله لنا غير مشفقين على فساد أجسادنا ليتجدد انساننا الداخل يوما بعد يوم ولندخل انفسنا فى كور الضيقات لنصل الى الملكوت ذهبا خالصا لا عيب فيه ولنذكر فى كل وقت كلمة الرسول انه بضيقات كثيرة ندخل ملكوت الله فان تألمنا مع المسيح فاننا نتمجد أيضاً معه وان صبرنا معه فإننا نملك أيضاً معه له المجد الى آخر الدهور آمين .

الميمر السابع

ألم الـــزنا

ان الذى يسعي في أن يكون حراً بالله ينبغي له أولا أن يعتق نفسه من الشهوات التى منها يقوي ويلتهب ألم الزنا باعضائنا وليحرض على أن يهرب من المفاوضات المنحلة ومن الكلام البشرى ومن ذكر الوجوه الحسنة التى تصور داخل النفس . وليسد اذنيه عن سماع قصص أمور الزنا . لان المفاوضات النجسة تثير نار الشهوة التي سببها شهوة البطن .

اذا جاهد الرهبان وغلبوا ألم الزنا كان ذلك لهم سبب اكليل لان هذا الالم هو دائماً لاختبــارهم . فاذا اشتعلت فى أعضائهم نار يسوع الممتزجة بنفوسهم فحينئذ يتذوقوا حلاوة طبعهم الحقيقى باللذة الخارجة

عن الطبيعة لان شهوة الروح متقدمة على شهوة الجسد كما تدلنا سيرة أول جنسنا آدم فانه نزل من فوق الى أسفل وخرج من شهوة الروح الى شهوة الجسد ومن تدبير السمائيين الى تدبير الأرضيين ومن نظرة حسن الله التى لا يشبع منها الى التفرس فى حسن امرأته . فالشوكة الأولى التى نبتت من شهوه البطن هى الزنا التى من ساعتها حطت نظرة العقل من نظرة الله . وليست هذه الشهوة تظلم نظرة الذين ما ذاقوا الله فقط ولكنها تعمى حركات الذين نظروا الحسن الالهى إذا عرض لهم التشبك بألم الزنا لأنه كالحاجز الذى يعطل عن نظرة المسيح ولابد لمثل هؤلاء من تعب كثير لكى يجدوا ما قد ضيعوه فبعد زمان وأعمال وضيقات يجدوه .

هناك من هو أعمى منذ ولادته . وهناك من قد عمى بعد أن نظر النور وذلك من ضرر عرض له وعند هذا محفوظ ذكر النور السمائى فحينما يتذكر عماه القريب يتنهد متحسراً ذاكراً من أى علو إلى أى عمق نزل ولأى شهوة بأى شهوة قايض لذلك ينبغى للذين نظروا ، الاحتراس أكثر من الذين ما نظروا .

إذا ظهر حسن المسيح الشهى للانسان سواء كان من ارادته أو من دليل آخرين أو من النعمة فان فى ساعته ينسى حسن الطبع الفاسد . لان طبيعة النفس هى أن تشتهى ما فوق طبعها فإذا ما اشتهت ما هو أحط منه تكون خارجة عن طبيعتها فليست مشيئة الله ان تشتهى شيئاً من المحاسن خارجاً عنه .

إن شهوة الزنا تخدع بسببين إما من نظرة أعضاء رديئة أو من حسن نظرة عالمية وليس لأنها أقوى منا تغلبنا الشهوة بل من أجل عجزنا ورخاوتنا لأنها لا تجسر على مقاتلتك ان لم تأذن لها ارادتك أو اذا

كانت تقاتلك من حركة طبيعية غير إرادية . فان اردت تستطيع أن تطفىء نارها بنفخة صغيرة .

ينبغي لنا أن نفرز أفكار النفس من الجسد بالحرية التى أعطينا اياها . فاربط جسدك بالأعمال والضيقات ليتعذب بالجوع . ان الذى يساعد على هذه الشهوة شره البطن والبطالة واللعب والزينة والحادثات البشرية المأخوذة من الشهوات وباختصار فان الراحة تسببها فالبس الغضب الطبيعى قبالة الشهوة لأنه يصلح للقتال معها .

زنا الجسد هو الفسق بالفعل ، وزنا النفس هو أن تشترك أفكارها خفية بشهوة الزنا دون تكميل الفعل بالظاهر . وزنا الروح هو أن تشترك مع الشياطين أو مع التعاليم الغريبة . فلنحرص أولا أن نعتق أنفسنا من زنا الأفكار الذى هو زنا النفس وبهذا نعتق من زنا الجسد . فليس حسناً أن تشترك النفس مع الجسد بل أن يشترك الجسد مع النفس بالنشاط .

ارفع نفسك إلى علو طبيعتها وذلك بالا تتبع الجسد لكى إذا ارتفعت إلى علو نقاء السيرة تصعد الجسد معها من عمق الشهوات . اجعل نفسك مالكة على جسدك ومدبرة له لتضبط لجم حواسه وتغير جسدانيته بروحانيتها .

قال بولص الرسول ان الذى يفسد هيكل الله يفسده الله . لأن النفس هى التى تفسد الجسد لأنه كان يمكنها الا تجعله ينزل إلى شهوات طبعه ولم تمنعة لأجل هذا يفسدها معة بالدينونة الأبدية .

شهوة الزنا تنجس جميع حركات الجسد وترخى نشاط الانسان بفعل الخطية وتضيع وتبيد معرفته وتظلم افرازه وتقتم تمييزه . ان الشهوة لا يمكنها ان تقهر النفس ما دامت لا تميل بإرادتها للخضوع لنياح الجسد .

والشهوة معانة بالعدو تحرص على أن تطفىء نور المعرفة فانه إذا طابت الخطية للنفس انطفأ منها ذكر الله . أما إذا حفظت ذكره فانها لا تخطىء وان اشتهت وأخطأت فانها تصير فى خوف يقودها إلى التوبة .

إن كان ذكر الله هو النور الوحيد الذى يمنع النفس من الفساد فيجب علينا أن نتمسك به فى كل وقت ليكون مشرقا دائماً بالنفس لأنه ما دام ذكر الله ونور نظرته يتحركان بها فانها لا تنزل المفاوضة مع الشهوات .

ينبغى للراهب أن يعالج شهوات جسده بمعرفة فاذا تيقظت فيه فلينظر إلى نفسة ويعرف من أى سبب صارت وكيف كان مبدأها ولا يتركها تتسلط بحرارتها على أعضاء جسده وحينئذ ليشعل قبالتها شهوة النفس . أما ان كان لك ثقة على قوة أفكارك فلا تخف من تحريك الشهوة فى أعضائك لأنه يسبب لك صلاحا كثيراً ان كنت قد اقتنيت معرفة تجارة الفضائل فتقتنى ربحاً من الخسارة فانها أولا تصير لك مادة للقتال لأنه حيثما لا يوجد خصم لا توجد غلبة . فكن لبيباً فى قتالك ولا ترتخى . إذا تحركت فيك الشهوة بل احذر ألا يكون لها مخرجا بسيلان غريب ولا تجعل فكرك يتلذذ خفية فتزنى بدون الجسد بتخيل وجوه بلا اقوم . اقم حرب الشهوة الالهيـــة قبالة الشهوة الجسدانية فتقهر التى للجسد من التى للروح لأن الروحانيات دائماً أقوى من الجسدانيات .

إن الجسد بالطبع ممتزج مع النفس أما الشهوة فقد دخلت من الخارج بمخالفة الوصية ولكنها لا تستطيع ان تفرق النفس من الجسد أما ان شئنا نقدر أن نقطع الشهوة ونلقيها بعيداً عن الجسد وذلك أن وضعنا قبالتها التهديد الالهى والعذاب .

ان الشهوة تضطرم فى الاعضاء من الاكل والشرب مثلما تتولد النار

من النفط والزيت وأيضاً النسك يطفىء الشهوة مثلما يطفىء المـــاء النار . احترس إذن أيها العاقل من شهوة طبيعتك لئلا تخدعك شهوة الجسد فان إرادتك هي التي تحركها وإرادتك هي التي تخمدها أيضاً .

إذا كان العقل فوق الالام بحرية طبعه وكالسيد يأمر عبيده وكان الفكر شغفاً بلذة الشهوة فانه لا يستطيع أن ينظر . فانظر الآن واحرس نفسك بإفراز المعرفة واقض بين نفسك والالم لتجد طهارة ذاتك سريعاً . لا تعط للشهوة راحة فيك لئلا ترهقك في كل وقت طالبة هذه الراحة ولا تهدأ عن ان تعرض عليك إغراءاتها . فلا تقل الآن اعمل ارادتها وفي وقت آخر اقاتل معها فان ارتخيت دفعة واحدة فإنها في كل وقت تغلبك . وأعلم ان شهوة الجسد لا يمكن ان تتيقظ فيك ما دامت شهوة الروح مضطرمة فيك . أنما تظل منتظرة اطفاء شهوة الروح حتى إذا نظرت اهمالا قليـــلا ورأت أنه ليس للإنسان ذوق الحس الإلهي فانها تستيقظ وتظلم جميع تمييز النفس كالظلام الكثيف ببخار الشهوة .

إن كثيرين من محبي العلم معتوقون من ألم الشهوة . إن عتقهم ليس غلبة لهذا الالم لكنهم غلبوا الألم بألم آخر لأن الذي يعتني بالعلم ويسعى في جمع المعارف لا يلتفت إلى لذة الشهوة فلذلك ينبغي لنا أن نعرف من أي طريق غلبتنا لانه بحسب الطريق تكون الغلبة فان كان الطريق هو من الله . فان الغلبة تكون الهية ونكون قد قهرنا الألم بدون ألم آخر . لانه ان كانت الالآم تغلب بعضها البعض وتغلب من بعضها فيبطل الواحد الآخر كما اننا نرى اناس يقاتلون شهوة البطن من أجل محبة الفضة وآخرون يغلبون الزنا لاجل المجد الباطل وآخرون

يقاتلون مع محبة المال لاجل المديح وآخرون يجاهدون مع الراحة من أجل الرئاسة فهذه الغلبة كلها هى غلبة الآلام بالآلام .

هناك آلام نفسانية وهنـــاك آلام جسدانية . أما الجسدانية فهى الشهوات النابتة من الجسد .

والنفسانية هى الناشئة من النفس . والآلام الجسدانية تساعد بعضها البعض فشهوة البطن تساعد الزنا ومحبة الفضة واقفة فى الوسط فنى بعض الأوقات تسـاعد شهوة الجسد وفى وقت آخر تعاضـــد آلام النفس فهى تقود إلى الرياء ومحبة الرئاسة والمجد الباطل والمديح والحسد وما يشبه ذلك من الآلام النفسانية .

كما أن الصلاح يساعد الصلاح كذلك أيضاً الشر يساعد الشر وينشىء فى كل حين أغراءات الشهوة التى تنجس أفكار النفس وتظلم افرازها فتغرق فى لذة الشهوة ولا يعتريها خوف الله ولا حياء من الناس ولا عذاب الدينونة فإذا ما كمل عمل الشهوة يدخل النـدم على النفس والتبكيت على ما فعلت فلذلك ينبغى لنا التيقظ أكثر من كل شىء ونتفطن فى حقارة الشىء الذى يعمل على قهر الجسد وان لذته هى لمحة قصيرةولـكن أى خجل وأى ندامة وأى خسارة بل وأى مضرة تتبعها .

لا يمكننا أن نغلب هـــذه الشهوة بدون المعين فانا كثيراً ما نغلب لاننا لا نطلب معونة الله لأن نعمة الروح تعطى المعونة للنفس وتجذب أفـكارها لترتفع إلى الروحانيات ان وافقته ارادتها الجيدة وتدبرت حسب مشيئة الروح .

احفظ نفسك من الاسباب التى تجذبك إلى الشهوة وسد المنافذ التى تدخل إليك منها لانك إذا ما قطعت الوسائل التى منها تتولد الاوجاع قليلا

قليلا تكون قد حصنت نفسك حسناً . فالشهوة قد تبدأ من الجسد وقد تبدأ من حركات الأفكار أو من أسباب خارجية أو من النظر أو من السمع لذلك ينبغي لنا أن نميز الأسباب ونقطعها ونمتنع من سماع الأحاديث ونظر الوجوه التي توقظها ونسعى في سد مداخلها بكل حيلة فان كانت من حرارة الجسد نضعف قوته بنقصان الغذاء والشراب والنوم ونستعمل كل شيء بمقدار مع بقية الضيقات . وان كنا نحس أن بداءة الشهوة هي من الأفكار نعلم أن الضمير ليس يهذ في ذكر الله لذلك فهو يقع في حركات غريبة . وإن كنا نشعر أن سبب هجوم الشهوة علينا هو عدم اعتنائنا باقتناء الفضائل فلنشغل العقل بهذيذ الروحانية والمعرفة الإلهية ونداوم على قراءة أخبار القديسين ونصور أشكالهم أمام وجوهنا ونتشبه بهم . ونداوم الصلاة لأنها تعطي العقل قوة وشجاعة أفضل من كل الأشياء . وبعد أن نجمع أفكارنا بهذه الوسائل تأخذ قوة لتغلب الآلام المقاتلة معها . هذا وان ابتعدنا عن مفاوضات الضمير الباطلة فان أفكارنا تصل إلى النقاء .

ان الشهوة تتسلط علينا بثلاثة طرق وأبواب فإن كنا نتحايل بشتى الوسائل بحكمة نستطيع بها أن نغلق الباب في وجه كل واحد منها فإننا نلقي الشهوة خارجاً عنا ونثبت بطهارة أنفسنا ونتدبر بقوة العقل التي لا تغلب وبهذا نؤهل لسعادة النظرة العالية والإحساسات التي تفوق الجسد وتتنعم النفس بحركات روحانية بنور معرفة تفوق العالم بنعمة المسيح .

إذا تسبب هذا الألم بواسطة حرارة الجسد إذ تكون الأفكار خالية من ذكر الله ومن طلب المعرفة الفاضلة فانه يلتهب بالأعضاء كالتهاب النار بالقش . وان اتفق ان مكث هذا الألم بالنفس زماناً كبيراً فإنه يظلم افرازها ويدعها تنسى أنه ألماً وكذلك يقلع منها الفكر أنه خطية . لذلك ينبغي أن

نحترس حتى لا ننزل ونقع فى هـــذه الشهوة وإذا عرض لنا بواسطة الاغراءات الإضطرارية ان نصاد بها فلا يغيب عنا أن نعرف ونفرز أنها خطية وبالأكثر إذا كانت مختبئة فى الفكر لأن كثيرين يظنون أن شهوة الأفكار ليست خطية ولم يعلموا أنها أصل لكل أفعال الخطية لأن القلب هو ينبوع كل الأفكار ومنه تتولد حركات الصلاح والشرور ومنه أيضاً تظهر أثمار الأشياء التى تنمو من الأصل ان كانت شروراً أو صلاحاً . فلا بد أن تنيقظ الشهوة خارج القلب المختبئة فيه لأن أصلها داخل الضمير فهى تنمو وتزهر بالأفكار والأعضاء ومن الأكل والشراب فينبغى لنا أن نجاهد قبالة هذه الشهوة النجسة الخفية أكثر من التى تفعل بالظاهر لأن الظاهرة لها أسباب كثيرة تعوقها .

إن شهوة الجسد هى ضد العفة فإذا امتزجت مع شهوة النفس تصير مولدة البتولية وكل من الشهوتين ضد الأخرى فشهوة النفس تزداد وتقوى بالصوم والنسك والسهر والصلاة والأعمال الجسدانية أما شهوة الجسد فتنمو وتلتهب بما هو ضد هـذه أى بالراحة والتنعم والأكل والشرب والزينة والمفاوضة مع المنحلين .

ليس لك قتال كل أيام حياتك فادخر لك معونة فى أيام شبابك لزمان الشيخوخة لأن الذى يضعف الشهوة فى شبابه يوجد شجـــاعا فى نفسه فى الشيخوخة وإذا انتهى قتاله تتم قوته فان قتالك ليس فى الأول والآخر لأن الجسد يضعف أما النفس فلن تطفىء حرارتها أبداً إلا إذا عرض لهـا مرض من الشر أو من الخطية فانها تضعف وتنطفىء حرارتها .

لا تدع هذا الألم يتسلط عليك وعلى دقة أفكارك لأن مادته كثيرة فيك وبالأكثر إذا كان مسكنك قريب من الناس لأنه ينمو بذكر الوجوه ونظر

الحسن وشهوة الزنا من اللاحم تنشأ وللحم تشتهى فإذا قمع الزنا قوة النفس فى الخفاء فإنه يغلب صبر الجسد فى الظاهر . فإن غلبه الجسد باليقظة فانه يرجع ليقاتل أثناء النوم . وذكر الوجوه الذى طرد من النفس فى أثناء اليقظة فى أثناء النوم يعود فيغصب الإنسان ان يزنى فى نومه لذلك يليق بك النسك لكى به تنقص مادة الجسد وحينئذ لا يجد الزنا فى النوم مادة بأعضائك لأنه يقاتل أولا أعضاء الجسد فإن اقتنى الإنسان أفرازا به يبطل حركات أعضائه عن الفعل فانه يرجع إلى الفعل ويغريه فى الخفاء كى يثير به الأعضاء لفعل الشهوة . فإن غلب الألم من الأفكار بشخوصها فى الله وصبرها على النسك فانه يقهر على كل حال . ثم بعد ذلك يأتى أثناء النوم ويقاتل مع صبر النفس فاذا عرض لنا هذا لا نترك أنفسنا بلا ندم خاصة إذا تصور فى ضمائرنا خيال الوجوه لأنه ذلك دليل على أنه باق من اليقظة .

ان سال الجسد بلا تخيل رجه فهذا يدل على زيادة مادة فى الأعضاء من قلة النسك . فان لم يحس بما جرى له فهذا دليل على ثقل النوم لذلك ينبغى للراهب أن يغلب هذا الألم سواء كان بالفعل أو بالفكر أو بسيلان النوم لأنه ان لم يغلب فى نومه فليس فى إمكانه الغلبة بالفكر . وهذه شهادة على أن يغلب أيضا فى الفعل فلهذا ينبغى لنا أن نقلل من الأكل والشرب والنوم لكيلا نقهر باليقظة ولا نغلب بغير ارادتنا فى الحلم . فاذا كانت الأفكار فى يقظة وبلا طياشة وتحركت بجذب الشياطين فانها تعتق من ألم الزنا . فان كانت مجموعة وتغنى وتزمر فهى تطرد الآلام عنها وهكذا إذا خرج هذا الألم من النفس فانه لا يثبت فى الجسد .

يليق بنا أن نغلب هذا الألم بكل قوة لأن الخزى والكآبة والندم وعدم الدالة وظلام العقل وغلاظة الأفكار وحيرة الضمير كل هذه الآلام

تدخل إلى النفس بعد الزنا . فان كنا نزين أنفسنا بصورة العفة بعد غلبة الشهوة فان أنفسنا تمتلىء فرحا ودالة عند الله والناس وتتنعم براحة أفكارها وتستنير بالمعرفة الإلهية وتؤهل للتاوريا والمكاشفات الروحانية وتحس بحلاوة تاوريا الروح التى هى فى النفس . وتغمر بطبيعتها باللذة وان كان الإنسان يطلب أن يتذوق إحساس ما نقول بقراءة هذا الكلام فانه لا يستطيع لأنه يطلب ثمرة من غير شجرة فالأمور الروحانية تظهر فى موضعها بعد غلبة الزنا فتجنى النفس أثماراً روحانية تتنعم بها والذى هكذا يطلب فانه يجد .

إذا كانت نار الشهوة مشتعلة فى الأعضاء فانها لا تقاتل الأفكار بل تكون متسيطرة على كل الأعضاء فإن كان العقل ناظراً لذاته ووجد أن هناك سيادة أخرى سواه ساكنه فى جسده وآلاما سارقة متصرفة فى أعضائه فليستعد ليقيم الحرب ويخرج الغرباء الذين هم الشهوات المختلفة . والشهوات بدورها لأنها وجدت مسكناً طيباً فى الأعضاء تقاتل لكى لا تخرج ومن هنا يتحرك القتال بين الآلام والأفكار وينتهى الأمر بغلبة ذى القوى الكبرى . ليس من السهل أن تكمل شهوة الأعضاء أما شهوة الأفكار الوقتيه لأنها خفية لا تبطل وتتعطل عن فعلها إلا بنظرة الله فقط

هناك من يستريح بالأعمال وهناك من يستريح بالتقى والخيال . هناك فسق يكون بالجسد وهناك فسق يكمل بالنفس والذى يطرد من القلب لا يمكن أن يثبت فى الجسد لأن أصل الأفعال هو الأفكار وان يزعزع أصل الشهوة من القلب فى الوقت تبطل الأفعال من الخارج ان كانت صالحة أو رديئة . والغلبه الحقيقية هى قطع الشهوة من الفكر لأن ليس لهذه أوقات معروفة بل فى كل وقت تتحرك وتكمل بالأكثر إذا كان لها مادة

من خارج . لأن الشهوه ممتزجة بحركة حياتنا وما دمنا أحياء فى الجسد فالشهوة متحركة فينا أيضاً . فان قامت علينا الشهوة من حركات طبيعة الجسد فيجب علينا أن نقمعه بقلة الأكل والشراب ونحترس أيضاً من النظر الشهوانى لأن هناك من ينظر بسذاجة واتفاق وهناك من ينظر لكى يفسق والأخير فاسق بارادته وشهوته .

النظرة الساذجة هى طبيعة العين أما نظرة الشهوة فهى بالإرادة ومن الأفكار فلنغلق باب النظر أمام الشهوة لأنه يصور خيالات وأشكالا ليست بقليلة فى نفوسنا فتسبب حركة الشهوة فى أعضائنا ونسعى لإشتهاء صور مختلفة وهذا كله يعرض لنا إذا لم تكن نظرة الله أمام أذهاننا ولكن إن وجد فينا ذكر الله فان جميع التذكارات الشهوانية تضمحل سريعاً وإذا أردنا أن نطفىء الشهوة فلنتفرس فى الأوساخ التى تشتمل عليها طبيعة أجسادنا .

يجب على الراهب أن يذكر عهده مع الله فى كل وقت ويحترس فالقلب هو ينبوع الأفكار وفيه الإرادة ساكنة ومنه تخرج مجارى الأفعال فينبغى أن نحفظه بنقاوة ليستريح فيه الله إذا لم يتنجس . لأن القلب إذا اضطرب بالشهوة فان جميع الحواس تضطرب معه وأيضاً تتخبل الأعضاء وتتعكر الضمائر لأن الشىء الذى يبدأ من القلب إن كان صلاحاً أو شراً فهو يكون المعتبر خطية أو براً فلهذا أراد سيدنا أن يرفع أصل الشهوة من القلب بقوله من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنا بها فى قلبه . إن نظرة الله وحيدة هى وليس كما ينظر هو إلى الناس . هم ينظرون لأنهم لا يعرفون الأفكار المخفية فى النفس . فلتمنعك نظرة الله من الفكر الذى يشاء الفسق ونقه لتقبل النظر الإلهى فإن كثيرين هم زناة بالإرادة دون تكميل الفعل وهم

تشعل بأنفسهم دائماً الأشكال ويزنون بحسن الوجوه وهم يظنون أن مادام الناس لا ينظرونهم فان الله غير ناظر إليهم وهم لا يعلمون أنه عارف بخفايا فكرهم .

كل فكر يرغب فى الشر هو خطية من الإرادة ولو لم ينفذ فلا تشتهه بقلبك ولا تشغل عين فكرك بحس خارج عنك . وكما أن طبيعة النفس أفضل من طبيعة الجسد لذلك فان زناها أصعب من زناه فلنهرب من هذا الزنا الذى لا نظنه أنه خطية ولكنه إثم عظيم .

ان الجسد الذى امتزجت فيه الشهوة طبيعيا ليس هو الزنا ولكن تعبد النفس لما هو غريب عن طبعها هـــذا هو الزنا . والغلبة لا تعرف بإبطال الفكر من الهذيذ بالزنا بل بغلبته وحده بجرد أفانك تجد أن كثيرين قد هدأت منهم أفكار الزنا بوجود أفكار أخـــرى قد أخمدتها فإذا ما فرغت هذه الأفكار فان فكر الزنا يثبت فى موضعه لأنه كان محجوبا فى ظل ألم آخر .

إذا عرف الإنسان ان أى عمل من أعمال الخطية هو شر قبل أن يعمله ويفعله مراراً كثيرة بغير ندامة فان الحاسية تؤخذ منه ولا يعد يعرف أنه شر لأن الخطية ليست فقط تنجس النفس بل انها أيضاً تعمى الأفراز فالدرجة الأولى من الندامة هى أن يعرف الإنسان انها خطية لأنه إذا علم ذلك وربطته الخطية فانه يسعى فى أن يحل ذاته منها .

إذا ما تنقى فكرك من ألم الزنا فان صلاتك تكون طاهرة خفيفة وتشرق فيك معرفة المسيح عندما تنقى عين نفسك ليحل فيها . وألم الزنا يلقى عكراً فى النفس ويضعف قوتها ويبطل الحركات الإلهية منها وهو مكدر مسجس ومطيش أكثر من بقية الآلام .

ان الشهوة تدخل إما من نظر النساء أو من مفاوضة الكلام في سيرتهن أو من زيادة عن الحاجة في الأكل والشراب فان رفعت هذه الثلاثة وكنت تهذ في المعرفة الإلهية فان الفكر لا يتعبك ولا تشعل الشهوة الجسد بحرارته ولا تهذ النفس بها لانها ليست مبطلة الهذيذ بالله . لان الشهوة لا تتيقظ إذا وجدت الجسد عمالا والنفس مهتمة بالله بل انها ترجع الى خلفها .

اذا آلمك وجع الشهوة فاعرف سببه وأقطعه فاذا أكلت لنفسك فانك لست تخطىء أما اذا أكلت للشهوة فانك تخطىء . وانك تعرف هذا بأنه ما دامت الشهوة متحركة في أعضائك وتتعبك أعلم أن ما أكولك لها وهي تزداد وتقوى فلا تعط للشهوة شركة مع حياتك ولا تترك لذاتك الطبيعية تنحل بل انقلها من جسدك للنفس وخذ الحرارة من جسدك وضعها على نفسك واسند كل اموره للنفس واصنع هذا بالاكثر في وقت شبابك .

أعلم انه كما توجد آلام الشهوة في النفس كذلك توجد شهوة الفضائل فيها لأنها إذا اشتهت الروحيات كانت شهوتها طبيعية وإذا اشتركت مع الروح فإنها تقبل لذة الروح وإذا ما ذاقت النفس هذه الحلاوة فإن شهوة الزواج تموت منها . واعلم بالتجربة ان شهوة الجسد تتيقظ فيك إذا عدمت حسن شهوة الروح . لا يمكن أن تتحرك فيك شهوتا الروح والجسد معًا لأن شهوة الجسد لا تستطيع أن تشتعل في الأعضاء ما دامت شهوة الروح في الأفكار . أما تلك فتنتج سجساً وأما هذه فترتيب وحسن نظام تلك إذا كملت تظلم نور الأفكار وتبطل المعرفة والحكمة من الضمير وأما هذه فتملأ النفس نوراً والضمير حكمة ونظرات وشخوصاً نقية في الله وتشجع الإنسان وتجعل عقله متخلصا مسرعا لكل عمل روحاني وان عرض من ضعف الجسد أو من برودة طبيعية ملل الجسد في الوقت تغلي

حرارة الروح وتطرد برودته ومثلما تطرد حرارة الدم الملل المتولد من برودة البلغم هكذا تطرد حرارة الروح الضلالة وعدم محبة الله من النفس والجسد وكمقدار الحرارة الموجودة فى النفس يكون لها حرارة بالروحانيات . فاجتهد واشعل حرارة الروح فيك ما دام فى جسدك حرارة وشهوة الطبيعة فى أعضائك ونبه شهوة الهية فى أفكارك لكى تغير الشهوة من الشهوة وتأخذ شهوة الروح الغلبة وفى الوقت الذى يكون فيك قوة لخدمة شهوة الجسد اجتهد واجعل جسدك خادما لشهوة الروح حتى إذا ضعف الجسد بالشيخوخة تجد فى نفسك قوة وتحتر بأفكارك واذا ما بردت شهوة الجسد مع حرارته تقوى فى أعمالك.

إن الذى ينعم نفسه فى شبابه فإنه لا ينال معرفة إلهية فى شيخوخته . حرك الغضب قبالة الشهوة ليساعدك لتهدأ وتطرد اغراءاتها وإذا أحسست ان أعضاءك قد أخذت لخدمة الشهوة ايقظ أفكارك لخدمة معرفة الأسرار الإلهية لئلا تأتى الشهوة وتجدك بطالا وتصنع فيك ارادتها . كن أمامها حياً بالروح لكى تنطفىء الاسباب المحركة للشهوة من النار التى فيك . أمور النفس هى من فوق وأما الجسد فمن أسفل والجسد خلق ليكون خادماً لإرادة النفس لانه ليس للنفس أفعالا منظورة وليس للجسد أفكاراً لطيفة وامتزج الطبعان بعضهما مع بعض . لكى يقوم جسم الفضائل من ينبوع الافكار مع اناء وآلة الخدمة .

ألم الزنا هو حاجز أمام نظرة العقل لئلا يتفرس فى الالهيات وايس يظلم الذهن إذا كمل بالفعل فقط بل وإذا ثبت فى الفكر وكانت النفس راضية به وينبغى لنا أن نطهر الذهن أولا وحينئذ تحفظ الاعضاء من الخارج لان الشهوة موضوعة فى الوسط وداخل منها افراز الذهن وخارج

منها النظرة الشهوانية فإن خضعت للذهن قلبها لرتبة الشهوة الروحانية. وإن قبلت من خارج تذكارات وربت آثار القتال وكدرت نقاوة الافكار وكلما يضعف العقل هي تقوى ويقويها الجسدانيات والمحسوسات وحيث ليس قتال فهناك موجود السلام الذى ألقاه الرب فى الإنسان الجديد الذى هو العقل المتدبر بالروح بالحق وبدون ألم الخطية. لان عدم التألم لا يذكر خطيته.

الافكار هى التى دائماً تقبل الذكريات والذكريات تحرك الشهوة وتسجس الافكار. وإذا تسجس الفكر فإنه لا يستطيع النظر إلى الله، فلهذا ينبغى للراهب أن يبتعد عن المناظر والذكريات. جميع أعمال الانسان العتيق تمنع الذهن من الحس بسيرة الإنسان الجديد وخصوصاً ألم الزنا.

إن تدبير سيرة الإنسان الجديد هو حلاوة وفرح وطهر وقداسة وتعفف من كل الشرور وعدم تألم الخطية سلام وحب فليس هناك خطية أخرى تسجس النفس والجسد مثل الزنا ولهذا أظهر صعوبتها موسى اذ قال «رجل يخرج منه زرع يكون نجس إذا لم يتحرك من الإرادة بل من العارض فلنحذر اذن من السقوط فى هذا الالم والذى يتعرى منه بالكلية يرتبط بالكمال بمحبة الروحانيات ولا يقبل احساسات الامور المحركة لهذا الالم. أما أنت ان لم تبلغ بعد لهـــذا فتفكر دائما فيما قلناه أولا وكمله بالفعل واقفل مداخل الشهوة التى هى المناظر والمفاوضات الخارجية وسد ينبوعها الذى هو الألم وصحة الجسد الطبيعية وأقطع الافكار التى توقظها وتحركها فى الاعضاء وسبيل ذلك أن لا تجعل فكرك يهذ بها ولا أعضاءك تتحرك بها ولا يكون لها مدخل من الخارج إلى داخلك فتكون فى سلام بلا تجنيس وتحس بسبب مجيء المسيح الى العالم الذى لا يعرفه جميع الاحياء بالجسد بل

يسمعون صوت كلام على أسراره ولا يحسون قوتها الذى بنعمته نؤهل لقوة أسراره واعمل وحفظ وصاياه الإلهية ولا نخيب من تصور تاوريا الروحانيات والمنظورات بيسوع المسيح الذى أتى لخلاصنا له المجد دائماً وعلينا رحمته الى الابد آمين .

الميمر الثامن

طهـــارة النفس

« إجابة القديس فيلكسينوس على سؤال سأله البطريق القديس الرهاوى عن آلام النفس وعلى كيفية طهارة النفس وكيف نقتنى الطهارة وان كان ينبغى لنا أن نختار مواضع للقتال مقابل الآلام وان هل يليق أن نكمل بالفعل جميـــع وصايا المسيح فنقده القديس ولامه وبين له أنه ليس بترتيب سأل »

اظهرت بالفعل أيها القديس أنك تحبنا كثيراً لان من كثرة محبتك نسيت مقدارنا فكان يليق بنا نحن أن نكتب ونسألك لكى نتعلم منك لو كنا معتنين بحياة نفوسنا ولكن هوذا من أجل محبتك كتبت لنا تسألنا ولعل هذا الامر هو لتعليمنا بواسطة الحكمة الإلهية التى منك بالسؤال متظاهراً انك تريد أن تتعلم منا وبالاخص لان الحال الذى نحن فيه اليوم معدوم منه بالكلية جميـــع الطهارة وسلامة نفوسنا ونحن فى السجس والاضطراب دائماً وليس لنا فراغ ولو قليل لنلتفت فيه وننظر الى ذواتنا الرجل الذى بحاله كهذا كيف تتقدم اليه لتسأله أسئلة لطيفة روحانية التى

منها كيف ينبغي ويجب على المتوحد أن يعمل ويتدبر. طلبت مني أن أعرفك ولكن بطريق نسيت فيه مقداري وأنا أيضاً أنسى ضعفي ولست أفكر في أنه ليس في استطاعتي أن أعمل ما طلبت لكن صلاتك تقدر أن تجعلني أفعل لأنه بمحبتك أنسى منزلتي وكيف وأنت بصلاتك تجاب لك اسئلتك والشيء الذي تريده تناله من عند الله استجابة لصلاتك.

سؤالك الأول في هذه الرسالة هو هل ينبغي لنا أن نكمل وصايا ربنا بالفعل وان كان كذلك ألا يوجد خلاص لمن لا يحفظها. انه حسب رأيي ان هذا الأمر لا يحتاج إلى سؤال فإن كانت هي وصايا فمعلوم انه ينبغي أن تحفظ وان لم يكن كذلك فما كان قد شرعها ربنا. فيسوع ربنا لم يتكلم أو يفعل شيئا لا حاجة اليه وليس علة لاستعماله لأنه قصد مجيئه انما كان لينقي النفس من الشر ويردها لحالتها الأولى فوصاياه هي مثل العقاقير والأدوية أعطاها لنا لتقيه الطبع الروحاني وصحته. لان الوصايا الروحانية تفعل في النفس مثلما تصنع العقاقير في الطبع الجسداني. ومعروف ان الوصايا المختلفة قد أعطت بعد حركة السقطة. فالذي هو مرتفع عن هذه الحركة هو غير محتاج الى عمل الوصايا لانها مطهرة وليس يحتاج اليها الذي هو عائش في النقاوة الكاملة لان الموضع الذي ليس فيه هيلوليه كثيرة ليس فيه موضع للوصايا المطهرة. مثل الملائكة القديسين لانهم لم يسقطوا من تاورية العمل الإلهي فهم ليسوا في حاجة الى هذه الوصايا كي يتطهروا بها. لان عملهم هو روحاني وفوق حركة الميلان لذلك ليست وصايا المسيح هذه لائقة بهم لكنها انما شرعت لنا وهي ان نغسل أرجل الغرباء ونفتقد المرضى ولا نهتم بالغد واذا سخرنا ميلا نسير اثنين والرسل أيضا حفظوا هذه الوصايا أولا وعند ذلك بلغوا للنقاوة لأنهم لم يكملوا

من العمل ولـكن من النعمة . لذلك ينبغى لنا أن نفهم انه يجب علينا أن نحفظ الوصايا .

ما دام الإنسان بهذه الحياة فليحفظ الوصايا على كل حال ويشهد بهذا قول الرب الذى شرعها لأنه طاهر قال إنه ليس أحـد يبلغ للحب ان لم يحفظها . وقال الرب لتلاميذه « الذى عنده وصاياى ويحفظها هو الذى يحبنى والذى يحبنى يحبه أبى وأنا أظهر له ذاتى وأيضاً قال الذى يحبنى يحفظ كلامى ويحبه أبى وإليه نأتى وعنده نصنع منزلا . وأيضاً قال بهذا يعلم العالم انكم تلاميذى إذا كان فيكم حب بعضكم لبعض والحب لا يكون إلا بعد صحة النفس والنفس لا تشفى أو تصح إلا إن حفظت الوصايا لأن حفظ الوصايا هو دون الحب الروحانى لأن حفظها انما يكون من الخوف وليس من الحب وأيضاً قال سيدنا « كى ينظر الناس أعمالكم فيمجدوا اباكم الذى فى السموات وهكذا أيضاً لا يمكن الأعمال الصالحة التى علمها السيد المسيح ان تظهر الا إذا حفظنا الوصايا . فإن ظن أحد انها ثقيلة لذلك لا يستطيع أن يحفظها فليسمع كلمة سيدنا ناقضا ظنه إذ يقول « احملوا نيرى عليكم فنيرى هين وحملى خفيف وأيضا تعالوا الى ياجميع المتعبين وثقيلى الأحمال وأنا أريحكم وان أحد الرسل قال ان وصاياه ليست ثقيلة ولا ينبغى لاحد أن يظن أن حفظ الوصايا هو شىء ليس هاما بل كيفما اتفق يحفظها أو يظن أن ليس حاجة لحفظ الوصايا جميعها لان سيدنا أكد لنا ان نحفظ كل الوصايا لانه قال من ينقض احدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا فانه يدعى صغيرا فى ملكوت السموات أما الذى يعمل ويعلم فانه يدعى عظيما فى ملكوت السموات . وبولس الرسول فى مواضع كثيرة يثبت الوصايا ويؤكدها ويزيد عليها وصايا أخرى كثيرة من عنده يليق بهذا القصد . فبعد هذا كله

لا أستطيع أن أقول انه لا ينبغى ان تحفظ كل الوصايا لانه لا يمكن أبداً للنفس أن تطهر الا بحفظها فهى قد شرعت من أجل هذا التطهير . لانك تعلم أن الشر قد دخل من أجل مخالفة الوصية لذلك فانه يخرج أيضا بحفظها فمن معنى دخول الشر افهم قرب خروجه أيضاً . فلا ينبغى أن نشتهى طهارة النفس مباشرة دون السير أولا فى الطريق الذى يوصلنا اليها .

ان اليهود حينما خرجوا من بابل الى أورشليم مشوا فى طريق مسلوك طبيعى وبعد ذلك دخلوا الى مدينتهم . أما حزقيال بنعمة الاستعلان خطف وجاء الى أورشليم وصار ناظرا جميع الاستعلانات التى تتكون بها وهكذا أيضاً يكون من عادة طهارة النفس ان اناسا يدخلون الى أورشليم بالطرق الشرعية التى بالوصايا وأفراد قليلون يستحقونها من موهبة النعمة ولكننا قد أمرنا الا نطلب تلك التى بالنعمة فنستحق من السيرة والتدابير وأما التى بحفظ الوصايا فقد وضعت لنا بالتأكيد . فذلك الغنى الذى طلب أن يرث الحياة الابدية ظاهراً قال له ربنا احفظ الوصايا وبهذا تنال الحياة ولما سأل أى وصايا هى وصف له من الاول واحدة واحدة وأظهر له أولا الوصايا التى تحرض على البعد من الاعمال الرديئة وبعد ذلك ذكر له الوصايا الطبيعية ولما أراد أن يعلمه التجرد وهو شيء زائد قال له أتريد أن تكون كاملا امض وبع جميع مقتناك واعطه المساكين وأحمل صليبك واتبعنى أعنى مت وبعد ذلك تحيا بى ، اخرج وبعد ذلك تدخل فبقوله احمل صليبك يعنى به الميتوتة من كل شيء فى العالم . وبعد أن يميت بالصليب الإنسان العتيق قال له بعد ذلك أن يتبعه لان الانسان العتيق لا يمكن أن يسير فى طريق المسيح كما قال بولص ان لحماً ودما لا يستطيعان ان يرثا ملكوت الله . وأيضاً قال اخلعوا الإنسان العتيق مع كل تقلباته والبسوا الجديد المتجدد

بالمعرفة بشبه خالقه وأيضاً محبة الجسد هى عـــداوة الله لانها لا تخضع لناموس الله ولا تستطيع ذلك والذين هم فى الجســـد لا يستطيعون أن يرضوا الله . لأن غرض كلمة سيدنا قد أظهرها هنا بولص انه ان لم يخلع العتيق ما يلبس الجديد ولهذا فاليهود الذين كانوا على جانب اريحا لم يستطيوا أن يدخلوا أرض الميعاد إلا بعد أن قبلوا الختان . وذلك بالرمز قطعوا منهم الإنسان العتيق وهذه اظهرها بولص علانية فى كيفية الحرب مع الشياطين لأنه قال أن حربك ليس مع لحم ودم بل مع الأراخنة والسلاطين وضابطى هـــذا العالم المظلم ومع الأرواح النجسة فاليهود بعد ختانهم قاتلوا مع اللحم والدم وان كانت تاوريا القتال تدل على شيء آخر. قال لنا بولص انه ليس جهادكم مع لحم ودم فلا يستطيع الإنسان العتيق أن يحـارب مع الأرواح النجسة أبداً لانك إذا فتشت من آدم إلى حين ظهور المسيح فى جميع الابرار الاولين فانك لا تجد هذا وان كان قد حدث ذلك فى وقت عند اليهود فقد كان رمزاً . لانهم هم أيضاً اختتنوا وبعد ذلك حاربوا لأن الختان هو علامة خلع الانسان العتيق والحرب مع الشعوب هو علامة جهاد الإنسان الجديد مع قوات الظلمة فالانسان العتيق هو خاضع للشياطين وليس محارب معهم . وكما أرانا سيدنا مثال الاستعداد لقتال الإنسان الجديد فى ذاته بعد المعمودية بأنه جاء إلى الاردن وأعتمد وصعد من الماء وأمات الإنسان العتيق وهكذا بسيرة الإنسان الجديد خرج إلى البرية ليحارب مع الشيطان هكذا ينبغى لنا أن نفعل .

محبة الله التى فيك تطلب أن تتعلم طهارة النفس وهذا هو تدبير الانسان الجديد فان كان الامر هكذا فكيف يمكن الا تحفظ الوصايا أو كيف يستطيع الانسان أن يحيا ان لم يحفظها فسيدنا قد قال هذا ظاهراً

ان أردت أن تدخل الحياة احفظ الوصايا التى هى أن يغسل الانسان أرجل الغرباء ويكسى العرايا ويفتقد المرضى . هذه كلها تحت الحمل وأقل من قوله أحمل صليبك واتبعنى . هذه كلها محصورة فى أن تحب قريبك كنفسك لانك إن تعبت تريد أن تخرج أو أن تفتقد فاذا حفظت هذه الوصايا استحققت الحياة الابدية مثلما قال سيدنا ان أردت أن تدخل الحياة احفظ الوصايا وأيضاً بقوله فى موضع آخر تعالوا الى يامباركى أبى رثوا الملك المعد لكم . أظهر أن بهذه الاعمال ينال الانسان ملكوت السماء ووصف بعد ذلك جميع الوصايا التى ينبغى أن تحفظ واحدة واحدة إذ قال جعت فأطعمتمونى ؛ عطشت فسقيتمونى ... الخ . وقال مخلصنا لزكا اليوم حصل الخلاص لهذا البيت وأظهر زكا بجوابه بأى سبب يرث الحياة لانه قال ياسيد هاأنذا أعطى نصف أموالى للمساكين وإن كنت قد وشيت بأحد أرد له أربعة أضعاف . فهناك وصية طبيعية وهناك وصية شرعية فقوله أعطى نصف أموالى للفقراء وقول الرب حب قريبك كنفسك مثال للوصية الطبيعية . من أجل هذا حفظ له النصف وأعطى النصف الآخر لقريبه . أما الاربعة أضعاف التى أعطاها للذى خطف منه فهى حفظ للوصية المكتوبة فى الناموس ان يعطى عوض الثور اربعة وعوض النعجة أربعة نعجات للذى سرق منه مثلما حكم داوود لما جرب من ناثان النبى . وهكذا أكمل زكا هذه الوصايا سريعاً فصارت الحياة له ولاهل بيته كقول سيدنا وبعد ذلك بلغ إلى ما هو أفضل حتى أنه أعطى نصف الذى بقى له المساكين ولم يرث الحياة فقط بل ملك مع المسيح أيضاً . مثلما اظهر لنا سيدنا سر هذا إذ أولا قام من الاموات وورث حياة غير مائتة وبعد اربعين يوماً صعد وملك مع ابيه .

يجب للذى يريد نقاء النفس ان يعمل ثلاثة امور علمها ايانا سيدنا بكلامه مع الكاتب . العمل الاول هو البعد من الاعمال الرديئة بقوله لا تقتل . لا تزن . لا تسرق والعمل الثانى هو حفظ الوصايا الطبيعية بقوله اكرم أباك وأمك وحب قريبك كنفسك والعمل الثالث هو الذى بعده يبدأ الإنسان فى الكمال وهو قوله بع كل مالك واعطه المساكين . وهكذا بعد تتميم هذه الثلاثة أعمال أوعد ان يكون له كنز فى السماء . فلهذا لا يستطيع أن يحيا حسب شرع سيدنا الا ان حفظ هذه الوصايا . أما قوله احمل صليبك واتبعنى فهى بعد أن قال ويكون لك كنز فى السماء وهى تدل على شىء آخر يعنى الملك مع المسيح لأن المسيح قد ملك بالصليب وقال لتلاميذه انى أمضى لأعد لكم مكاناً وآتى آخذكم إلى لكى الموضع الذى أكون فيه تكونوا أنتم أيضاً .

انظر يا أبى القديس كيف قال هذا الكلام وفى أى وقت وإلى من قيل فتعلم ان هذا يورث الحياة فقد قال سيدنا هذا الكلام أمام كل أحد ، أمام التلاميذ وأمام الغرباء . فان كنت تظن ان غسل أرجل الغرباء وما يشابهها هى مبطلة من التاوريا إلى الله فهذا ظن غير صائب . كيف يعطل الطريق الذى رسم لنا الوصول إلى الملكوت الدخول اليه ؟ فان كنت تظن ذلك فبشىء آخر غير الطريق الشرعى حسب رأيك ظننت فهناك قوم من الذين تظن انهم قديسين سواء كانوا من القدماء أو من الذين هم الآن موجودون لم يحفظوا الوصايا وقد بلغوا الطهارة فانا أقول لك إن الذين لم يحفظوا الوصايا ليسوا قديسين فالقديس باسيليوس واغريغوريوس الثاؤلوغس وغيرهم الذين قلت عنهم انهم احبوا القفر ومدحوا السكون فى البرية لم يكونوا مبطلين حفظ الوصايا فى السكون بل قد كانوا يحفظونها

حينما كانوا ساكنين مع الناس حتى أهلوا بعد ذلك لطهارة النفس والأمر ظاهر انهم حين سكناهم فى المدن كانوا يقبلون الغرباء ويفتقدون المرضى ويكسون العرايا ويغسلون الأرجل وكانوا يمشون ميلين معمن كان يسخرهم ميلا لأجل الضرورة وبعد أن حفظوا هذه الوصايا التى تليق مع سكن الناس وبدأت عقولهم تحس بعدم حركتها الاولى أسرعوا وخرجوا للقفر ليكونوا ناظرين التاوريا على الدوام ولم يكونوا متهاونين فى حفظ هذه الوصايا عندما كانت تلجئهم الضرورة أو لسبب يعرض لأنه بدون هذه لا يمكنهم أبداً أن يبلغوا إلى معرفة الروح . وتشهد تعاليمهم انه كانت لهم معرفة الروح هذه لأن القديس باسيليوس فى وقت كان يمدح السكنى مع الأخوة وفى وقت آخر كان يمدح الوحدة فى القفر وقد كان صادقا فى الاثنين . لأنه بالحق توجد الأرباح فى هذين الموضوعين لكل انسان حسب قوته وامكان احرازه ففى وقت يوافق الأقوياء السكنى مع الأخوة وفى وقت آخر يوافق هذا الضعفاء وهكذا يكون الحال فى القفر .فان كان أحد قد بلغ إلى صحة النفس وقد امتزج عقله كله بالروح وصار مائتاً عن جميع التدابير البشرية فإنه لا يؤذى ولا يخسر من السكنى مع الأخوة والتصرف مع الناس ليس لكى ينتفع منهم بل لينفعهم مثل الرسل . ولا ينبغى لانسان أن يخطف لنفسه هـــذا الأمر بارادته إلا إذا دعى من الله . فان كان انسان يقدم على تعليم الناس دون أن يدعى من الله فقد أظهر عظمة وظناً عن نفسه فإن كان يريد أن يفعل هذا محبة فى ربح النـاس فليسأل الله أولا ومنه يأخذ الأذن مثلما حدث بقوم قديسين . فان كان أحد ضعيفا وهو الآن قائم بطقس الطفولة ومحتاج أن يتربى بحليب الوصايا فهذا ينبغى له السكنى مع الأخوة وذلك ليذكروه بالوصايا ويقوموه وليوجدوا له مادة لتكميلها . وكذلك القفر يصلح فى

وقت للهاربين وفى وقت آخر للشجعان لكى يلاقون الحرب مقابل العدو بغير واسطة الآلام ظاهريا . فلذلك لا نستطيع أن نمسك واحدة من كلام القديس باسيليوس ونترك الأخرى لانه بارزا وجد هذين التدبيرين لانه قال ان القفر بالحقيقة ينوم الآلام وليس هذا فقط بل ينبغى الانسان أن ينوم آلامه بل يقطعهم لان السبع ما دام راقداً لابد له أن ينتبه والوجع الخفى إذا وجد مسحه وسبباً فانه يظهر وكذلك الآلام الراقدة ان صادفها سبب يثيرها فانها تستيقظ . وليس فقط القفر يرقد الآلام كما قلنا بل والآلام نفسها فى أوقات كثيرة ترقد بعضها البعض إذ أن ألم المجد الفارغ يرقده شره البطن والعكس بالعكس فى بعض الاوقات . ألم الحزن يرقد الغضب والكسل يرقد ألم العظمة ومحبة العالم وكثرة اهتماماته ترقد كثيراً من هذه فلا ينبغى أن نطلب القفر لترقيد الآلام فقط بل لاجل عمل الانسان الجديد بالاكثر وليكن الانسان ناظراً ذاته فى كل وقت وليحفظ صحته بغير ميالة هذه التى يجدها الإنسان بحفظ الوصايا .

سمعت أحد القديسين يقول انى أريد أن يأخذ كل انسان من كل فضيلة قليل منها والآباء المصريون الذين عرفوا صناعة تدبير الوحدة أكثر من كل الناس كانوا يعلمون أن استعمال فضيلة محبة الغرباء هى أكثر نفعاً من كل شيء وبالاكثر لشفاء الآلام الرديئة من النفس فحينما سئل أحدهم من انسان كلمة قال ثلاثة تتفاضل بها النفس الاولى الجلوس فى السكوت بالقلاية ويذكر الإنسان خطاياه وينوح عليها والثانية العمل باليد لاعطاء المحتاج وقبول الغرباء الذين يأتوا إليه وعدم أخذ شيء من أحد والثالثة عدم إدانة أحد وعدم لوم إنسان يعنى عدم البكاء على ميت الغير فى حين وجود ميت داخل البيت . وآخر لما سئل اجاب سائله قائلا إجلس فى

قلايتك بالسكون وهى تعلمك كل شئ. وهذين الأمرين وجدناهما عند أناس قديسين يعملوهما فى القفر حيث كانوا ساكنين. فبعضهم تتطهروا وأرضوا الله بالسكوت وبعضهم أطفأوا آلامهم بقبول الغرباء وحبهم لهم لأن الشئ الهام هو حفظ الوصايا ان كان الإنسان فى القفر أو فى العمران مع إضاءة الافراز فى حفظها. فإن كان الإنسان يقبل الغرباء ويغسل أرجلهم ويصلح لهم مائدة ويغسل ثيابهم إن كانت تحتاج لأن بمثل هذه يكمل ترتيب المحبة وينبغى له ان يعمل هذه الأمور كلها بإفراز لئلا يتكدر سكون نفسه من الأعمال بل بالأكثر يزداد تطهير نفسه فاذا كانت حاملة ذكر الله فى عملها هذه وتذكر الوصية القائلة ان مهما عملتم مع واحد من هؤلاء الصغار فبى قد عملتم والذى يقبلكم يقبلنى وينظر بعقله إلى الغريب كمثلما إلى المسيح ويخدمه فلا يمكن ان يضطرب سكونه ولا تبطل الثاوريا التى له فان ظن إنسان انه إذا عمل هذه يتكدر فانه لا يعرف ما يعمله ولا من أجل من ولا مع من بل بالعمل فقط وليس عنده فى نظره افراز وأقول الحق ان العمل ليس هو سبب ألمه ولكن الألم الآخر الذى فى داخله خرج وبجسه وذلك يشبه انسان قد هرب من حرارة النار ولذلك لا يستعملها.

إن سيدنا لم يعلمنا ان نحفظ جميع الوصايا بالكلام فقط بل أرانا ذلك بأفعاله أيضاً لأنه مكتوب انه ابتدأ يعمل ويعلم ويكمل جميع الوصايا واحدة واحدة لأ قال لانه تكنزوا لكم كنوزاً فى الأرض ومعلوم انه لم يقتن شيئاً وقال أيضاً لا تقتنوا ثوبين ومعلوم انه كان ذا ثوب واحد وقال لا تهتموا بالغد ونعترف كلنا انه لم يكن يهتم بشئ ولم يكن يحمل تلاميذه معهم قوت عندما كانوا ينتقلون من مكان إلى آخر ونفهم ذلك من ابتياعهم طعاما حينما دخلوا قرية السامريين وعندما قال لهم السيد احذروا من خمير الفريسين والزنادقة

يحزنوا فى ذواتهم انه ليس لهم خبز خلا رغيفاً واحداً . وفى تعليم آخر نفهم انه قال لا تقتنوا ذهبا ولا فضة ولا نحاساً فى أكياسكم وظاهر انه لم يكن يقتنى شيئاً حتى إن صندوق المساكين كان يهوذا يحمله وكان يتدبر من الشيء الذى كان يوضع فيه . وقال احبوا اعداءكم وباركوا لاعنيكم وصلوا من أجل الذين يسيئون اليكم وهذه جميعها أكملها بالفعل لأنه كان يحب اليهود أعداءه ويبارك عليهم وصلى لأبيه قائلا أغفر لهم يا أبتاه وكان يصنع الجميل مع الذين يبغضونه ويشفى أمراضهم والذى جاء ليمسكه فى ساعته أبرأ له أذنه وقال من يسخرك ميلا فسر معه ميلين هذه أيضاً أكملها بالفعل لأنه عندما كان يدعى إلى مكان ليشفى مرضاً كان يمشى مع الذى يدعوه وعندما دعاه رئيس المجمع لشفاء إبنته مضى معه الى بيته وعوض المريض أقام ميتا . ولأجل غسل أرجل اخوتنا لم يغسل هو أرجل اخوته فقط بل أرجل عدوه أيضاً . فجميع الوصايا التى سلمها لنا لكى نحفظها أكملها هو أولا وهكذا صار لنا مثالا لنسير فى أثره ونحفظ جميع وصايا ناموس موسى العتيق ولا نشك فى هذا مثلما علمنا بولص إنه صار من امرأة ودخل تحت شريعة الناموس لكى يبتاع الذين هم تحت الناموس وقال لتلاميذه ان كنتم تحبونى فاحفظوا وصاياى مثلما حفظت أنا وصايا أبى واثبت فى محبته فلا يمكن الإنسان أن يكون محبا إلا إن حفظ الوصايا وإن لم يحفظها جميعها فانه ليس فقط لا يبلغ للتاوريا التى هى الشركة مع المسيح بل أيضاً لا يرث الحياة .

إن داود النبى يعلمنا بروح الله ان الذى يريد أن يهوى الحياة ويرى أياما صالحة فليكفف لسانه عن الشر وشفتاه عن النطق بالغش وليحد عن الشر ويفعل الخير ويطلب السلام ويسعى فى أثره فعمل الصلاح وطلب السلام يحويان جميع الوصايا . فانك تستطيع أن تعرف أن الرحمة حسنة وقبول

الغرباء جيد ليس من كلام سيدنا فقط بل ومن تدبير جميع الأبرار القدماء كما كتب عن ابراهيم انه كان يتدبر بمحبة الغرباء وحسب ظنى ان اسحق ويعقوب قد تسلما منه هـــذه الفضيلة بالوراثة وكانوا يعملون مثل أبيهم ويوسف أيضاً حفظ هذه الوصايا وبها عظم شأنه وموسى أيضاً بحفظه الوصايا تمجد. وإذا سمعت صوت الله فى كل موضع تجد أنه يحرض على وصايا الرحمة ويعلمنا بقوله لا تنظف زيتونتك ولا تلقط اقاط حقلك بل اتركه للمساكين والبائسين الذين معك. ست سنين أزرع واحصد حقلك وفى السنة السابعة ازرعه واتركه للمساكين. لا تكم ثوراً دارساً يعلمنا بذلك الرحمة. لا تطبخ الجدى بلبن أمه هذا يدل أيضاً على الرحمة. لا تأخذ الفراخ مع أمهم عنى بهذا الرحمة. خف من الرب إلهك وأحفظ وصاياه وهكذا كان يكرز فى كل مكان لليهود. وداوُد النبي أيضاً أعطى التطويب للذى يخاف من الرب ويهوى وصاياه فمعروف هذا يا محب الله أن جميع الوصايا الموضوعة من الله سواء كانت بالعتيقة أو بالجديدة لم تشرع لأى شيء آخر إلا لكى يحفظها الناس وليس لكى يعرفنا الله بهذه الوصايا إنه رحوم وبار فقط بل ويريدنا أن نكون نحن أيضاً رحومين وأبراراً. وكما أظهر هو رحمته بالفعل كذلك يريدنا نحن تلاميذه أن نظهر هكذا. وهذا حسب ظنى يقنعون سؤالك الأول ولو أنه لم يكن مفتقراً ولا لأقل من هذا.

أما سؤالك الثانى فهو إن كان يليق أن نبتعد من جميع الأشياء التى تسبب الآلام وان كان هذا الأمر يظن به هرب هو غلبة للنفس لأنها فى هذه الحالة تفر من القتال وتطلب الراحة فجوابنا على هذا باختصار هو أنه يليق بالإنسان أن يهرب بالكلية من جميع الأشياء التى تحركها الآلام الرديئة

فيه ليس فقط من المواضع بل أيضاً من الأمور التى تحرك الآلام ولا ينبغى له أن ينظر الأشياءالتى هى مادة الآلام مثل شره البطن ومحبة الفضة أو المجد الباطل بل بالأكثر يجب عليه أن يهرب من الأشياء التى تربى الألم القريب فلا يترك الإنسان الألم القريب ويحارب البعيد لأن هذه علامة الضعف وعدم المعرفة ويدل على أن للنفس سر مع هذا الألم ولأنها تخجل من قربة تظن أنها تقيم القتال مع البعيد فإن عرض لذاك الآخر أن يدنو منها تخجل أيضاً منه وتمضى إلى الآخر وهكذا تبقى هاربة من جميع الآلام لأنها غلبت من الكل وهى لا تظن أنها مغلوبة ولست أقول أنها غلبت لكنها بالحقيقة انها لم تجاهد فينبغى للإنسان أن يهرب من جميع مواد الآلام ان كان يمكنه ذلك وإن لم يسهل له ذلك فليقاتل معها بحكمة ويخبط الأمور ويزعجها لكى يتصور التاوريا التى فيها ويترك جسدانية الأمور مثلما كان الرسل يصنعون لانهم كانوا غرباء من لذة الجسدانيات المرئية بل كانوا يتناولون تاوريتهم فقط فى كل شىء من أجل أن الامور هى أيضاً مادة إلى الآلام وليس فقط لهذه ان تحرك الآلام بل وتعطل العقل من التاوريا التى فيها ان كان العقل يعرف كيف يجنى ويأخذ منها الزهر التى فيها وكى ابين قولى اكثر اقول هوذا نظر ورائحة المآكل تحرك ألم شره البطن ونظر النساء الدائم ومفاوضتهن يثير ألم الزنا ونظر الذهب والفضة تربى ألم محبة الفضة أما عند العقل هناك طرق أخرى ونظم خاصة بها نكمل هذه كلها ان كان العقل قد أخذ غلبة على الآلام لأنه لا يقدر أن يأخذ تاوريا من الأمور الا إن غلب الآلام المتوسطة بين الهيولى والأمور لأنه ان دنا لإحداهما هذا العقل غالب الآلام فانه ليس بالألم يدنو بل ينظر روحانيا لان هناك تاوريا روحانية بجميع ما فى العالم ان كان بالصغار وان كان بالكبار ولست

أظن أن حكمتك تقاومنا فى هذا لأن الله قد خلق كل شىء بحكمة روحانية وهى الحكمة التى بها اتقنت الخليقة وامتزجت بالأعمال وانما صارت هذه من أجل تدريج العقل لأنه لا يستطيع أن يصادف الحكمة الروحانية عاريا إن لم يكن له مادة محسوسة مثلما تسير الأشياء مع الأطفال . إذ أنهم بدون وساطة الأحرف لا يستطيعون أن يصلوا إلى حكمة الكتب لأن حكمة الكتاب ممزوجة بأحرفه وبهذا يأتى إلى حاسية الحواس أعنى بهذا النظر والسمع والصوت لانه عندما يتعلم الصبى ويتربى بقراءة الأحرف فإنه ليس يتعلم شكل الاحرف وترتيبها فقط بل يأخذ أيضاً تصور المعرفة التى بها مثلما يحدث لك أوقات كثيرة لانك عندما تمسك الكتاب وتتفرس فى أحرفه فإنك بهذه النظرة التى للأحرف تصل إلى روحانية الكلام وكذلك عندما ينظر عقلنا فى جسمانية الأحرف والقراءة فيجنى معرفتها هكذا ينبغى له أن ينظر إلى الأمور المفعولة التى تحرك الآلام فى نظره إلى كل شىء . أعنى إذا نظر إلى امرأة فيعرف ما هو ترتيبها وماذا يدل بهاء حسنها وما هو زى تركيب أعضائها وما هى شركتها مع الرجل وكيف من رتبتين طبيعة ناطقة تكمل خليقة ناطقة بالجسد ومتحركة بالجسد . وأيضاً على تغير المواكيل وعلى الذهب وزيناته ينبغى له أن يضمر الحق الذى فيها ومن كل شىء يأخذ تصور تاوريته التى فيه لانه مثلما ينظر الجسد ويحس ويذوق الجسدانيات كذلك العقل ينظر ويحس ويذوق المعرفة التى فيها عندما يبلغ بتربيته إلى المنزلة التى تصل الغذاء الكامل وإن كان حيا بالروحانية فبالروحانية يتحرك على كل شىء بنفس الشبه .

إن الجسد لا يحس بتصور التاوريا التى فى الامور بل يحس بطعمهم الجسدانى فقط وهكذا العقل الروحانى لا يحس بجسدانيتها بل بالتاوريا

التى فيها فقط . فإن كنت تقول لى متى يصل العقل إلى هذه المنزلة أقول لك يبلغ إليها بحفظ الوصايا والوصايا المقدسة وترتيبات ومواضع مفروزة لعملها فان كان الإنسان قريب لسكنى الناس ويأتى إليه غرباء أو محتاجين فلا يهرب من لقيائهم ولا ينبغى أن يظن أن هذا الهرب جيداً أو يعطيه سكوناً بل عندما ينظرهم يحرك فى ذاته حب ومحبة الغرباء . اذ أولا يقدم لهم السجود الذى لا يليق إلا بالمسيح الذى هو مخفى فى الانسان المنظور وبعد هذا يكمل بحرارة جميع حقوق الحب وترتيب قبول الذى قد أتى وتحرك فى ذاته اشتياق الروح بجميع أفعال المحبة فان حدث عنده كرهاً جسدانياً للذى قد جاء فليبطله ولا يكن قبوله له من أجل شيء ما بل يحركه الحب الالهى بجميع أجزاء نفسه ويكون مملوء بالمحبة للذى قد جاء وينظر فيه صورة الله من أجل الله ولا يظن أن كلامه ومفاوضته معه يجعله يخسر سكون نفسه . لأنك ان سبقت ونظرت فيه صورة الله الطاهرة فكيف تحسب المفاوضة معه خسارة . أما الذى يهرب من مفاوضة الناس وبسبب هذا يقصر فى نياح الغرباء وقبولهم فإنى حسب ظنى أرى أن هذا ليس نياح وسكون بل راحة جسدانية وينصرف عن شيء لشيء فهذه حركة لطيفة من خداع العدو الذى بشكل السكون يغيب الانسان من محبة الغرباء إذ أنه من خارج يدعى السكون أما من الداخل فهو مملوء اضطراباً وسجساً ويعرض له ان ينشأ فيه بغضاً للناس وكراهية بسبب هروبه . هذه التى تكون كباب منه يدخل إليه سجس كلام الآلام ويجعل العقل فاحصاً ودياناً لافعالهم وناظراً أمورهم فيبغضهم ويرذلهم ويتفرس فيهم كأنهم جهال وان ليس فى مفاوضتهم شيء من المنفعة ويظن فى نفسه أنه أرفع منهم بالمعرفة وانه يفر من لقائهم كمن هو قائم فى علو المعرفة والفضائل وان له مفاوضة أخرى ليست

لهم ولهذا يهرب وبهذا الشيء يتباعد من السجس ، وينقض سكونه وعندما يرى إنه لا ينظر وجه . . وه الناس يرى نار الآلام تبيدين بعضاً برذل بعضا ويلوم بعضا ويبكت بعضا وينفر من بعض وعندما يهرب من نظر صورة الله يصير ناظراً جميع الشرور فأين هو سكون هذا الذى قد جعل عقله معبرا لكل الشرور وقد تجمع فيه تذكارات تتحرك مثل الدود فى الحمأة . فإنا نجد أيضاً إن الفلاسفة الخارجين كانوا يفضلون المواضع الهادئة وقد ذكر عن بعضهم ويسمى افلاطون إنه مضى وسكن فى موضع فاسد الهواء وجبل مقفر لكى يضعف جسده برداءة الهواء ولم يعرف الفيلسوف ان مزاج الهواء الفاسد قد أضعف جسده وضعف الجسد عطل شهواته أما العقل فقد ثبت بلا فائدة أعنى ما أحس بنفع من سقم الآمه لأنه ليس العقل بصبره قد أمرض الآلام بل فساد الهواء وضعف الجسد مثل السقماء بالامراض والملقون على الأسرة والامهم لا تزال غير مطفأة فما الفائدة التى تكون للعقل بهذا الوضع لانه طبيعى مع ضعف الجسد يضعف هو أيضا ويكل وينعس ويبطل عن جميع أفعال الطبيعة فلهذا لا ينبغى لنا أن نحب السكون الساذج بل نطلب أولا سبب منفعته ولا نطلب سكوناً من مفاوضة الناس بل سكون من الآلام فان كنا نجرب ان الوحدة تنفعنا فى بعض الأوقات فعندما يأتى الينا غرباء نقبلهم بكل حب وبكل حرارة الروح ولا نسرع المفاوضة والحديث لا بالفضل ولا بشهوة وعندما يأتون الينا لا نطردهم بل ان أحسسنا ان لقيائهم قد صار لنا مادة آلام أو ألم مجد أو طاش ذهننا فلنهرب ولكن ليس مع كل أحد بل مع أولئك الذين يجلبون الينا المجد الباطل بالمفاوضة معهم فانه ينبغى للعقل ان ينظر بلطف فان أحس انه قد تحرك فيه شهوة مفاوضة الكبار والاغنياء والمعروفين

فليهرب من مفاوضتهم لأن العقل نفسه قد اشتهاها فلا تطلب مفاوضة المساكين والغرباء ليس لأجل أن نطيل الكلام معهم ولكن ليكن غرضنا تكميل حفظ الوصية والمحبة ولهذا قلت لك لا تهرب من الحديث مع كل أحد ولا يشتهى الحديث مع كل أحد بل إذا وجدت الاثنين فاختر لك التى تنفع ذهنك ولا تقل لى ان فلاناً يتكلم بحكمة ويفسر الكتب ويفحص معنى الأمور روحانيا فاى حاجة لنا بكلام الحكمة أو بتفسير معانى الأمور روحانياً أو قراءة كتب كثيرة ومعان مختلفة لا توافق الوحدة لأن المتوحد ينبغى أن يكون فعله موافقاً لإسمه وان يكون وحيداً بظاهره وباطنه ولا يكون فيه شيء آخر بل هو وحده والذى هو فيه ساكن أعنى المسيح الذى لا يشاء أن يحل فيه إلا هو وحده لأن داود النبى قال فى المزمور انه يجلس الوحيد فى البيت وأيضاً حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى فانى أكون فى وسطهم أعنى نطقية العقل وشهوته وغضبيته لتكون متحركة وفاعلة بطبيعتها أما النطقية فتفحص المعرفة التى فى الطبائع وهذا من أجل الله وشهوته تشتاق للشركة مع الروحانيات وغضبيته تحارب قبالة الشرور هذه الثلاثة إذا اجتمعت باسم المسيح فانه يسكن فيها حسنا ويربى كل واحدة منها بقوة طبيعتها فاهرب الآن من كل أمر يربى الآلام .

عندما تحس بذهنك إنك طفل قبالة هذه الآلام اهرب من الموضع ومن العشرة والمفاوضة ومن المآكل وأكثر من كل شيء من حركة واضطراب الأفكار ولا تقل إنك إذا هربت تكون قد انهزمت من الجهاد فليس معنى قولى أن تهرب من الجهاد بل من الأسباب التى تساعد أعداءك وتعطيهم قوة كما أن السبع إذا ضعف من قلة الغذاء فانه يغلب كذلك تضعف الآلام بقلة الأسباب التى تغذيها وتلشئها .

انى أضع لك دليلا يحقق ما قلناه بكلام سمعته عن أناس قديسين تعرف فيه من أى المفاوضات كانوا يهربون وأى الأمور كانوا يحبون فانهم كانوا يقبلون الغرباء بمحبة وفرح وكانوا يخدمونهم بإفراز وكانوا يهربون من مفاوضة العظماء فقد قيل عن الأب يمن أن والى البلاد طلب أن ينظره ولكن القديس لم يكن يريد ذلك فمسك أبن اخته وحبسه فى السجن مثل مستحق القتل وانه يريد قتله وقال ان لم يأت أنبا يمن وانظره ويسألنى فلن أطلقه فعندما لم يرض القديس أن يمضى اليه قال الحاكم فليرسل إلى كلاما وأنا أطلقه . وكذلك طلب حاكم آخر أن ينظر وأرسل قدامه من يعلمه بذلك فلما علم القديس بمجيئهم صعد إلى النخلة متظاهراً انه يقلمها فلما جاء الرسول من عند الوالى فسأله عن مكان المتوحد أجاب ان ليس ههنا المتوحد الذى تطلبه . واراد حاكم آخر ان ينظره وقد علم انه إذا عرف بمجيئه يهرب فجاء متنكراً بهدوء بغير ان يعلمه بمجيئه فلما رأى القديس ان الوالى قد وصل اخذ خبزاً وجبناً وبدا يأكل على الباب فلما نظر الحاكم والذين كانوا معه ما عمل ولم يكن يعرف قصده بذلك إزدرى به وذهب واشياء اخرى مكتوبه عنهم منها نستطيع ان نعرف تصرفهم وهذا يكفى الآن .

اما قولك ان النفس تحب راحتها بالهرب من الأمور نقول ان الشهادة على ذلك هى من النية ومن النفس بل هأنذا اعرفك انه ثم هرب يكون من اجل سكون الجسد وراحته وثم هرب يكون من اجل راحة النفس والشهادة على ذلك تجعلها لحكم النية .

وسؤالك الثالث هو ان كان الإنسان يعمل عملا من اجل طهارة النفس وآخرون لا ينتفعون منه بل يشكون فلذلك يجب ابطال هذا الشيء

من أجـــل شك أولئك أم ان يعمل الشيء الذي ينفعه ولو خسر ناظريه؟ فنقول أيضاً فى هذا المعنى ان كان عملنا هذا الشيء بمقتضى الشريعة لأجل تطهير النفس ويكون القصد منه البلوغ إلى نقاوة الذهن وآخرون لا يعرفون القصد فيشكون فليس هناك لوم فى هذا بل يكون اللوم على ذلك الذى يشك لأن الذى يعمل هذا العمل لم يقصد التشكك ولكن يقصد تطهير عقله وأما الآخرون فلأجل لومهم يذنبوا لأنهم غير أكفاء بمعرفة قصده لأجل تهاونهم وأنهم لا يحسون القصد الروحانى وان هـذا الشخص قصد هذا العمل لأنه روحانى لأن بولص الرسول قال كلمة الصليب عند الهالكين جهالة فلذلك هم يظنون العمـــل جهالة لأنهم لا يحسون بقوة الصليب فعلى قولك هذا فليسكت بولص الرسول عن الكرازة ولا يذكر أبداً أمر الصليب لأنه حتى اليوم ذكر الصليب عثرة لليهود وغير المؤمنين فليصمت إذن عن ذكر الصليب لكى لا يعثر هؤلاء فإننا إذا نظرنا إلى بولص الشجاع نجد انه لم يسكت فقط عن ذكر الصليب بل كان يصرخ دائماً ويقول ليس لى افتخار الا بصليب ربنا يسوع المسيح وكان يتلو كلام الصليب لكى يوضح قوة الصليب وعظمته وليس لكى يشكك أما أولئك فبئس مايشكون وليرجع شكهم عليهم . لانه حتى اليوم جميع محبى الباطل والزور يشكون عندما يشنعون نادى بإيماننا ظاهراً فهل ينبغى لنا ان نسكت عن الاعتراف بإيماننا لاجل شك أولئك .

ان هناك كثيرون من محبى الباطل والشرور يلومون ويستشنعون تدبير الله وسياسته ويقولون ان الشيء الفلانى ليس حسناً والشيء الفلانى بالعدل كائن فهل يبطل الله تدبير سياسته من أجل أولئك الذين يلومون ويشكون أوهل بسبب هؤلاء المتشككون فى التدابير نضع المدبر تحت اللوم ويعد شك أولئك

عليه . حسب ما أرى أنه نفاق أن يضمر الإنسان هذا فقد كتب أن سمعان الكاهن لما حمل يسوع على ذراعيه قال عنه ان هذا موضوع لسقوط ونهوض كثيرين من اسرائيل ولعلامة تقاوم فليس أمرى السقوط والقيام هما من يسوع بل الواحدة بإرادته والأخرى بإرادة أولئك الذين سقطوا لأنه كان يريد قيام كل أحد ومن أجل هذا جاء لكى يحيى الكل . وأما أولئك فقد وجدوا الموت بالشيء الذى يعطى الحياة فليست الحياة هى سبب موتهم بل هم من رداءة مشيئتهم جذبوا لأنفسهم الموت . لانه كما أن حدوث الظلام فى عين الاعمى ليس من النور بل من عدم بصر عينه هكذا شك الجهال ليس من تدبير الصالحين بل من عدم معرفة الجهال .

المآكل القوية الصحيحة تضعف المعدة الضعيفة وتحل الجسد الضعيف فليست المآكل هى السبب فى الضرر ولكن المرض والضعف هما السبب فتفرس فى هذه الامور وتأمل أيها القديس واصنع عملك بغرض مستقيم أمام الله وتكون لك الشهادة من نيتك انه ليس من أجل خسارة آخرين وتشكيكهم تفعل ذلك فليس ينبغى لنا أن نهرب من كل شك بل من ذلك الذى يكون بحق وعدل لان الشر يشك فى الصلاح وكذلك الصلاح يشك فى الشر . فبالحقيقة يشك الصلاح فى الشر لانه يرى رداءته أما الشر إذا شك فى الصلاح فلذلك لانه لا يراه صلاحا ولا يعرف أنه حق بل يطغى بالظنون لان الضلالة دائماً لازقة بالشر . فتفهم أيها الحكيم الامور التى تظن انها تشكك وليس بوجوه المشككين وحكم عملك عند نفسك وخذ له شهادة من الكتب ومن فحص النية فإذا فتشت عملك على نور تعاليم الكتب ودينونة افرازك ونظرت انه ليس على هذا العمل لوم فاعمله بثقة بدون ظن ولا شك وصلى من أجل الذين يشكون لكى ينظروا عملك مثلما

تنظره أنت فطوبى للإنسان الذى يطلب طهارة النفس بالحقيقة ويسير إليها بالطريق الشرعى ويصعد إليها كترتيب درجتها ولا يصعد بدرج غريب لا يمكن أن تقتنى به .

نقاوة النفس هى موهبة أولى بطبيعتنا لانها هى صحة النفس التى كانت لها قبل دخول الخطية فان تأهل أحد للبلوغ إليها فقد قبل حاسية تجديده فلا يسمع أنه ابن الله أو أخ المسيح بالقول بل يحس بالموهبه بالفعل .

وأقول أيضاً ان الإنسان الذى يحفظ الوصايا بحسب الشريعة وبقوة يخرج فى اتباع النقاء وليس كيف اتفق ولا يلتفت إلى الوراء بل يسرع فى طلب الصلاح فقط كتعليم السعيد بولص فلا ينبغى له أن يتفرغ لنظر شك آخرين وذلك لان سرعة جريه لا تتركه ينظر ما يصادفه هذه التى تكون أيضاً حينما تجرى جسدانياً فلهذا لا تترك ذهنك يهتم لنظر هؤلاء ولا للسؤال عن أولئك لكى تستطيع التفرغ لما انت سائر فيه .

وقلت ايضاً فى رسالتك ان الذى يطلب ان يحب الله اكثر من كل شىء فليهتم بنقاء النفس . فاجاوبك انه بالصواب قلت هذا ان كان لها فيك كفء وقلت ايضاً ان ليس لنفس دالة لأنها لم تغلب الآلام كما يجب فيظهر لى ان هذين ضدين لانك قلتهما بسذاجة فان كنت لم تغلب بعد الآلام فكيف تهتم بالنقاء فان هذا لا يكون أبداً لأن عدل الروحانيه لا يجعل النفس تطلب ما فوق مقدارها ما دامت لم تغلب آلامها . لا يحب الإنسان الشىء من ظنه انه يشتهيه . بل من الشىء الذى يحب، معلوم أنه هو الذى يشتهيه.

الآلام باب مغلوق أمام الذكاوة فإن لم يفتح الإنسان هـــذا الباب المغلق فانه لا يستطيع أن يدخل إلى بلد نقاء النفس الهادىء . وأما قولك انه

ليس للنفس دالة فقد قلت الحق لان الدالة ليست فوق الآلام فقط بل وفوق النقاء أيضاً لأنه هكذا هو ترتيب هذه السيرة حسب قولى .

الصابر يجاهد مع الآلام والغلبة على الآلام تأتى بالنقاء والنقاء يعطى دالة للنفس واننا بالحقيقة نحسب تحت الملامة إذا طلبنا نقاء النفس والنية فلا ينبغى لنا أن نقول للرب اننا نريد أن نطلب منك فان ذلك هو نوع من العظمة لأن الإنسان فى هذه الحالة يظن عن نفسه أنه شيء بل يجب علينا أن نحزن ونبكى على الدوام على خطايانا بقلب منسحق ونية متواضعة . وفى كل وقت بتوجع نفس ندق على صدورنا ونقول أمام الله كل وقت كلمة العشار يا الله تحنن على لأنى خاطىء ولا تتفرغ لشيء آخر بل طلبة غفران الخطايا لأن المريض يحتمى أولا بعاقبة أوجاعه وبعد أن يشفى يطلب أن يصير غنياً فنقاء النفس هو مملكتها فكيف يطلب من لم يشفى بعد من مرضه ولم يقم من سرير ضعفه الملقى عليه أن يصير ملكا ! لعله ليس لنا أن نقول لله ملكنا واجعلنا اخوتك أو اعطنا تاوريتك بهذه الحياة بل حسب رأيى اقول انه ينبغى لنا ان نختار الأمور الحقيرة ونسرع إلى الموضع الأدنى حسبما علمنا وأما هو لأجل انه دفعة واحدة دعانا فهو يجلسنا فى موضعنا . لأنه واجب جداً للذى دعى ألا يختار لنفسه موضعاً بل ليدع سيده الذى دعاه يختار له الموضع الذى يليق به لأنه يعرف موضعه . وان كان سيدنا بالصلاة التى علمنا أمرنا أن نطلب منه قائلين ليأت ملكوتك فليس ينبغى لنا ان ننسى المقدار الذى نحن فيه لأنه ما اوصانا بهذا لننسى مقدارنا بل ليعرفنا عظم نعمته لأنه جاد علينا ان ندعو الله ابانا عندما نقول ابانا الذى فى السموات يتقدس اسمك ليأت ملكوتك وهذه ليست لائقة بنا بل هى انعام من عنده وان كانت قد اعطت لجميعنا بالنعمة ولكنها اعطت حسب الاستحقاق

للذين تعروا من الإنسان العتيق بالكلية بواسطة الأعمال والضيقات والغلبة على جميع الآلام فلذلك لا يليق بنا ان نقول اننا نطلب نقاء النفس بل ان نذكر كلمة الانجيل إذا صنعتم كل البر فقولوا اننا عبيد بطالون وانما صنعنا ما يجب علينا .

ألعل الذى يوفى دينه أيها الأخ الحكيم يشتهى أن يكون ملكا فقد قلت لك أن نقاء النفس هى المملكة لأن عدم تألم النفس هو مملكتها فتذكر بولص القديس الذى كان يذكر دائما ذنوبه الأولى ويبوح بها ويجعل ذاته فى احط منزلة فقد قال صادقة هى الكلمة ومستحقة كل قبول ان يسوع المسيح انما جاء إلى العالم ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا ومن أجل هذا تحنن على لكى يظهر ربنا يسوع المسيح بى أولا طول اناته . ومعنى هذا القول انه أنا منافق أكثر من كل أحد وخطيتى أعظم من خطايا كل الناس لكى يعرف الناس كثرة تحننه بعظم خطاياى التى غفرها . وأيضاً قال أنا الذى كنت أولا طارداً ومجدفا وشتاما ولكنى رحمت لأنى بغير معرفة كنت أصنع بعدم ايمان . انه قال هذا الكلام بعد جهاداته العظيمة وحروب من أجل البشرى وبعد أن انتشرت بشارة المسيح فى جميع الأرض من ميتات دائمة وضيقات مختلفة قاساها من اليهود والشعوب ومع هذا لم يكن ينظر الا فى أوائله فقط وليس معنى هذا انه لم يصل إلى نقاء النفس بل قال انه غير مستحق ان يسمى تلميذاً ولا ينبغى له أن يسمى رسولا لأنى طاردت بيعة الله وقال أيضاً أنا هو نباذة الرسل وإذ كان قد اقتنى غلبه على الآلام أكثر من كل أحدفلم يكن يظهر عن ذاته هذه الفضيلة بل كان يقول انى اقمع جسدى واستعبده لئلا أنا الذى ناديت لآخرين أكون أنا ذاتى مرفوضاً فان قلت لى انه فى مواضع ذكر العظائم عن نفسه

فمن كلامه يقنعك انه ليس باختياره فعل ذلك وليس من أجل نفسه قالها بل لأجل الكرازة والتعليم بل انه وضع ذاته أيضا فى ذلك الغرض إذ قال « انتم اضطررتمونى ان أكون غبيا بافتخارى وأيضا قال انه ليس حسب الرب أقول هذا بل بغباوة فى جسارة هذا الافتخار »

ان هذا القانون الذى وضعه لنا بولص الرسول لعادل ومستقيم لذلك ينبغى أن نحفظه والا نشيع عن أنفسنا اننا نطلب نقاء النفس لأن بولص لم يطلب الملكوت حتى بعد هذه الحياة بل قال انى اصلى أن أكون أنا ذاتى محروماً من المسيح فكيف نجسر نحن من ههنا أن نطلب الملكوت للنفس ونحن لم تتغلب بعد على الآلام ولا أوفينا الدين الذى علينا وكيف نريد أن نصير أسياد أو سلاطين ؟ فاسألك أيها السيد الا تترك هذا الفكر ابدا يصعد على قلبك بل نطلب دائماً غفران الخطية فقط بجميع انواع الأفكار فوق واسفل بالفكر والفعل .

سمعت احد الشيوخ يقول ان لم يحسب كل انسان انه خاطىء فما تقبل صلاته عند الله لذلك ينبغى لنا أن نصلى أمام الله كخطاة وليس مثل من قد غلب الآلام ونطلب طهارة النفس . فإن كنت تقول لى ان قوماً من الآباء قد كتبوا من أجل هذا أقول لك انهم كتبوا عن أى شىء هى طهارة النفس وصحتها وعدم تألمها وتصور الذهن وكيف هو وما صفته وبماذا يقتنى وليس عن أن نطلب هذه ونشتهيها .

كتب عن أحد القديسين ان الشيطان جاءه ووقف أمامه شبه ملاك وكان يشرق منه نور عظيم وأما القديس فلما نظره أغمض عينيه . فقال له الشيطان افتح عينيك وانظر هذا النور لانى قد جئت خصيصاً لاعرفك هذا أما هو فظل مغمضاً عينيه ولم يرد أن يفتحهما فقال له الشيطان أنا هو

المسيح قد جئت لاظهر لك فقال له أنى لا أريد أن أنظر المسيح ههنا بل فى عالمه . فدلائل هذا القديس تعلمنا الا نطلب نظر العظائم بل ان نحرص على ان نحفظ الوصايا وبعد ذلك كما يشاء الله ويريد فليصنع معنا .

إذا طلب الانسان عظائم الله فهذا يدل على انه لا يحب الله بل يطلب كرامة نفسه ومجدها فلذلك يقول لنا بولص فى كل موضع انه ينبغى لنا ان نفتخر بالضيقات ويعلم كل تلميذ ان يشتهى ضيقات المسيح ومسكنته وشركة آلامه وليس عظائم وارتفاع مملكته واظهر هـــذا بتعييره اهل كورنثوس فقال هوذا نحن جهلاء من اجل المسيح اما انتم حكماء نحن ضعفاء اما انتم فأقوياء . نحن ممقوتون اما انتم ممجدون . إلى هذه الساعة نحن جياع عطاش عراة وليس لنا إقامة . ممقوتون نتعب ونعمل بأيدينــا . . . الخ . فحسب تعليم هذا السليح انه ان طلب شركة الآم المسيح ويشتهيها ويفتخر بها فإنه بالحقيقة يطلب عظائم المسيح . اما انا ايهـا القديس محب الله إلى هذا الوقت لم اطلب ان اكون محبا لله مثلما كتبت انت لأن الذى يشتهى ان يكون محبا لله فليشترك فى آلامه بل انى اصلى لكى يجعلنى ان اكون مستحقا ان اكون له عبداً . وايضاً كتبت لى ان نفسك احبت ان تحب الله وهى لم تبلغ ان تحبه إلى الآن ولكن لها شهوة كثيرة ان تحب ولأجل هذا الوحدة محبوبة عندها كمثل انه قد بدت عندك نقـاء النفس وان ذكر الله يعمل فيك بكثرة . فهذه ان كانت فيك بالحقيقة فانى ارى انه لا ينبغى ان تكتب عنها لأنه ليس لإحداها ترتيب عند الذى يعملهـا لكى يتحدث بها وان كان غرضك السؤال عن شيء آخر فلتسأل عنـــه مباشرة . لأن الذى يقول ان نفسه لم تقتن دالة حتى الآن لأنها لم تغلب الآلام بعد كيف يقدر ان يقول ان نفسه احبت ان تحب الله . لأنه لا

يمكن أن يتحرك حب الله فى النفس إلا ان غلبت الآلام وأنت قلت لى انك إلى الآن لم تغلب نفسك الآلام وأحبت أن تحب الله فهذا قول ليس له ترتيب . فأنا أعرف ماذا أقول ههنا .

انك قلت انك لست تحب الله بل انك أحببت أن تحب الله فهذا أيضاً لا يمكن أن يكون ان لم تقوم النفس بالنقاء ولكنك قلت قولك بسذاجة لأنه لست وحدك تقول هذا بل كل أحد يقول دائماً انى أريد أن أحب الله وليس فقط النصارى بل والذين يؤمنون بغير استقامة أيضاً يقولون انهم يريدون أن يحبوا الله فكل واحد يقول هـــذا الكلام وكل خاطىء يقول أريد أن تغفر خطاياى وأحب الله محركا اللسان فقط بغير حزن إذ أن النفس لم تحس بالذى تقوله . أما إذا كان القول من النفس وتقول الكلام بكل حاسيتها فانه مع كلمتها تكون حركتها لأن حركتها هى عملها بحق لأن هذا هو الطبع الناطق الروحانى ان حركته إنما تكون بالروح لأن خاصيته أن يتحرك بالطبيعة وليس خارجاً عنها وعجبت منك لأنك قلت ان لنفسك شهوة كثيرة ومعروف أنه حيث يكون المرض لا يمكن أن تكون الشهوة لأن شهوة النفس انما تكون بعد صحتها وعافيتها من مرض الآلام لأنه من عافيته تتولد شهوتها لأن النفس هنا تشتهى بالطبيعة . لأن شهوة النفس تتولد طبيعيا من عدم التألم . أما إذا اشتهت خارجاً عن طبعها تكون هذه الشهوة عالمية او أنها تشتهى بعض الآلام التى فيها . وإذا كانت الشهوة طبيعية للنفس فان ذلك يحدث بعد أن تكون قد بلغت لعدم التألم وقامت بصحة من جميع آلام السوء بل تكون قد اقتلعت من ذاتها كل الشرور التى هى بالحقيقة مرضها وسقمها . لأن مرض النفس وموتها هو الشر والضلالة لأنها عندما تمرض بالشر تموت بالطغيان والضلالة ومن

أجل هذا فان هناك كثيرون لا يعرفون انهم مرضى ولا يحسون بالمرض لأن أنفسهم ميته بضلالة عدم الإيمان. لأن عدم الإيمـــان هو الموت بالطغيان وعديم الإيمان ينبغي له أولا أن يحيا وذلك بأن يهتم بصحة نفسه لأن الصحة هي بطالة الشر وقلعه من النفس لأن هذا هو ترتيب الأمور عند النفس هكذا عندما تغلب الآلام وتعتق من جميع الشرور ينبغي لها أن تقوم فى صحة طبعها الذى منه تتولد لها الشهوة أى انها تشتهى ما فوق طبعها ولهذا قلت لك آنفا انها ما دامت مريضة مسقومة فلن تحس بها ولا تشتهيها بالعدل والحق لذلك ينبغي حفظ جميع الوصايا لأنها شفاء لقوات النفس.
فانه لو لم تقبل النفس الشر فما كان لهـا حاجة لعمل الوصايا لـكى تشفيها لأنه بعد أن دخل الشر على النفس دخلت الوصايا عليها أيضاً لتشفيها وتمنع الشر من الظهور بالفعل فبعض الوصايا تمنعه والبعض الآخر تقلعه بالـكلية من النفس. فجميع وصايا الله التى فى العهد القديم هى تقطع فعل الشر ومن أجل هذا قال لا تقتل ولا تزن ولا تسرق أما وصايا المسيح فى العهد الجديد فهى تقلع الشر من النفس بالكلية وهذه لم تصر كيفما اتفق بل أولا أخذ طبعنا جميع التجديد بتجسد المسيح وآلامه وموته. وبعد التجديد دخلت الوصايا الجديدة التى لو فرضت قبل تجديد طبعنا لـكانت تصنع مثل وصايا العهد القديم أعنى ان افعال الشر كانت تقطع وليست تستأصل.
أما الآن ليس هكذا بل أن فعل هذه الوصايا هى حياة إذا حفظتها النفس بالنظر إلى الله بهدوء تشفى جميع اجزائها وكل وصية من هذه الوصايا تشفى جزء خاص فى النفس وبفعل هذه الوصايا يحس الذى يشفى والذى يشفى فقط وأعلم أن جزء النفس المتألم لن يقتنى صحة ويعتق من ان يتألم بكل شيء يلاقيه ان لم يشف. وهذا يكون وقتاً بالنعمة ووقتاً يعطى بالشرع. اما

الذى اقتنى صحة النفس بغلبة الآلام وحفظ الوصايا فانه معلوم انه اقتناها بالشرع ويولد منذ الرأس ويظهر فى بلد انسان الروح ويتعرى من العالم ويعتق منه ويقبل عالما آخر داخلا عن التركيب وتبدأ تتحرك فيه أولا شركة الملائكة المقدسين ثم تاوريا روحانية . جميع الكائنات ثم شركة الثالوث الأقدس مع أمور أخرى . ولكنه لا يحس بهذه كلها ولكنه يشتهيه فقط . والذى يشتهيه هو فوق طبيعة النفس . وهكذا ان كانت نفسك أنت تحب الله فانها تشتهى ذلك بالعدل وهى قائمة بالبلد المتعالى على كل الآلام وليست هى محتاجة لكى تسأل وتتعلم لأنها ليست سائلة بل ناظرة وكمثل بالتجربة كتبت لى ان كان ينبغى أن تحفظ كل الوصايا هذه التى أظن انها زيادة عن السؤال لأن معرفة المسيح لا تعرف بسؤال الكلام ولا من القراءة الكثيرة ولا من طلبة النفس ومحبتها بل نقاء النفس فقط . كما أن حواس الجسد لا تحس بالطبائع المناسبة لها من السؤال والتعليم بل كل واحد منها يحس بكل شىء يدنو إليه ولا يحتاج إلى وساطة التعليم فيما بين الحس للمحسوس وهكذا تكون حواس العقل الروحانية فانها تحس بمعرفة المسيح بالطبع ان كان قد قام بالحقيقة فى صحة طبيعته وصار ناظراً المعرفة وليس سائلا عنها قال بولص الرسول اننا ننظر ههنا كمثل بالمرآة ولكن هناك وجها مقابل وجه .

ان الذين يريدون أن يتعلموا معرفة المسيح بالكلام هم خارجون عن الترتيب . لأن الذين يبحثون عن هذه المعرفة بوساطة السؤال والقراءة الكثيرة لا يتقدمون إلى الامام بل يرجعون إلى الوراء لأن القراءة الكثيرة تصنع معارف كثيرة فى النفس من أجل كثرة الأفهام الموجودة فى القراءات المختلفة وبالضرورة لا بد أن يتحرك العقل بحسب افراز القراءة بغيار

الأفكار وما دامت تتحرك فيه أفكار كثيره فهو ليس فى السكون لأجل أن كثيرين ساكنون فيه ولا يمكن أن يحسب متوحداً وساكناً فى الوحدة لأن الذى هو فى الوحدة يريد أن يكون داخلا من التركيب والزى والأمر ظاهر ان الذى هو داخل التركيب ليس عنده غيارات وكثرة أفكار بل تصور وحيدى فقط فان وجد كثرة أفكار فهى تكون فى التركيب. فمعلوم أن الوحدة هى البساطة وكما ان البساطة تكون داخلة من التركيب كذلك التصور الوحيدى يكون داخل الفكر لأن الذهن يقبل الأشكال مثل الشيء الذى ينظره وحينما ينظر خارجا عن العالم حسب الغيارات والالوان وزى تدابيره فكذلك يقبل منه. وأيضاً الاشكال حسب كثرتها واختلافها تحرك الافكار والافكار إذا تحركت بجست الذهن فان كان ينظر داخلا حيث لا شيء فانه لا يعد شيء شيئاً ولا يفرز تركيب عن تركيب بالغيار ومعروف انه يقبل تصوراً بسيطاً هذا الذى ينعمه ويعطيه لذة مثله لانه غذاء طبيعته وهو أحلى من العسل ومن جميع المذاقات التى فى العالم. وداوود يتكلم عقلياً فيقول ان معرفة الله أحلى من العسل والشهد ومعلوم إنه ليس الشيء الذى يحس بحلاوة العسل هو الذى يحس بحلاوة معرفة الله لان هذه المذاقة هى للذهن لان منه فقط يتغذى ويتقوى أيضاً وهكذا لا يكون غالباً للآلام فقط بل وغير حاس بالالام لان قوة حاسيته بالروحيات لا تتركه يرجع لحس شيء آخر لان الذى يريد أن يحس ليس مضطراً ان يطلب شيئاً آخر ما دام يوجد حساس ومحسوس وحاسية. وعلى هذا حسب ما أرى لا ينبغى المتوحد أن يداوم القراءة الكثيرة لانها لا تعطيه سكوناً بل بجساً وليست تجمع عقله بل تشتته بالطياشة ولكن ان كنت تقول ان أحد القديسين قال ان القراءة تجمع

العقل أقول لك ان هذا حق إذ أنها تجمع العقل الذى التفت إلى العالم الذى هو خارج عن ذاته بالكلية فحينئذ ينبغى للإنسان ان يقرأ فى الكتاب وقتاً قليلا حتى يحس انه قد تجمع ضميره وحينئذ يرده من القراءة إلى طهارة الصلاة . وحتى فى وقت القراءة لا يطلب معرفة الكلام وتفسير معناه ولو وقع له ذلك وألقاه فى الطياشة بل ليطلب التصور الروحانى الذى للكلام فقط . لانه بهذا فقط يتنعم العقل .

ليس كل من يقرأ الكتب يقرأها حسنا وبمعرفة لانه هناك من يقرأ لاجل التلاوة وآخر لاجل التذكار وآخر يريد أن يتعلم التفسير وآخر لاجل دربة المعرفة النفسانية وآخر لاجل المجادلة مع الهراطقة وآخر عندما يتحرك فيه ألم التعليم أعنى المجد الباطل فان قرأ العقل بشىء من هذه الالام او بجميعها فانه ينظر خارجا فانه اى منفعة تكون المتوحد من تفسير الكلمة الفلانية او من معنى الالفاظ . سر إلى الامام وقم فى بلد المعرفة ولا حاجة لك بالسؤال على الكلمة فان سألت عنها فأنت إلى الان غير قائم فى بلدها .

عين الجسد ليست تسأل لكى تنظر الشمس وهكذا عين الذهن لا تغوص لكى تنظر معرفة الروح بل مثل مصادفة العين للشمس واستضاءتها بنظرها اياه ومن أجل هذا قال أحد القديسين انه لا ينبغى المتوحد أن يطلب معرفه الفاظ الكتب إلا إن بلغ لمقدار تلك اللفظة لئلا عندما ينظر الشياطين العقل مشتهياً المعرفة يأخذوه إليهم ويظهروا له أشياء مزورة عوض الحق ليضلوه . فانه يكفى المتوحد لفظ الكتاب يستضىء به فقط وان كانت هى وصيته فليحفظها وان كانت سيرة فليعرفها ومن هو الذى قالها وعن من قيلت ويكفيه هذا . وان كانت هى مثل فلا ينبغى له ان يعطى لنفسه فرصة ليفسرها وان كانت سرا ما يكفيه أن يعرف ولا يظهره .

ان الكتب قد تتكلم عن اللاهوت أو عن الخليقة أو عن العناية أو عن الدينونة أو عن مجيء الرب أو عن سير قوم قديسين أو عن وصايا مشروعة مقابل الشرور . فمن جميع هذه ينبغى للمتوحد أن يتمسك بالوصايا ويعمل بها أما التى على الدينونه والعناية فليلزم السكوت عنها ويهتم بصحة النفس ويلتقط من الكتب كلام تعليم لاجل هذا فقط وليس لمعرفة الأشياء لأن جميع كلام الكتب قد أعطى لسماع الإيمان أما المعرفة فهى تظهر للعقل بعد صحة النفس تلك التى عندما ينظرها يدهش بها ويتنعم بها فقط وأما تلاوتها بالكلام فانه لا يقدر حتى وان أراد ذلك فلا يستطيع من أجل أنها لم تظهر له بالتركيب حتى يمكنه أن يركب كلاما ليظهرها به مثلما بين القديس بولص أنه خطف عقله ونظر الروحيات وأما لما أراد أن يصف ويتكلم عما نظر فانه لم يقدر إذ قال انه نظر وسمع كلاما لا ينطق به . فاترك عنك طلب المعرفة إلى أن تبلغ بلدها وأطلب وأجتهد فى كيفية الدخول إلى بلد المعرفة مثلما علمنا داوُد القديس فهو أرانا كيف نصعد إلى طور التاوريا ولم يعلمنا كيفية التاوريا وما هى لأنه قال من هو الذى يصعد إلى طور الرب أو من يقوم فى موضع قدسه الطاهر اليدين النقى القلب . الذى لم يحمل نفسه إلى الباطل ولم يحلف بالغش . . . الخ

يجب علينا قبل كل شيء أن نهرب من الظنون التى على أنفسنا ونقتنى التواضع والحزن ونتخذ كل وقت الهم بخطايانا التى مضت والتى هى كائنة الآن وننظر بدقة ولطافة ان كانت أنفسنا قد أحست بأوجاعها لان حزنها ودموعها وتنهدها هى شهود حسنة .

كتبت لى ان كثيرين من الذين لهم أعمال يسألونك أن تكتب وتسأل من أجلهم وانه حسب ظنى لا يوافقك هذا ولو أنه جيد أن يكتب

الإنسان ويسأل عوض من هو محتاج لان هذه تليق بمنزلة من هو أحط منك لان هناك من يليق به هذا الترتيب وهناك من يليق به منزلة القائم بها لانه حسن أن يقسم الإنسان من ذهبه ويعطى المحتاجين وليس بسبب هذا يليق أن يقتنى ذهباً للتصدق على المساكين أو أن يمضى الإنسان للسجون ويزور المحبوسين ويفتقد المرضى ويصنع الصلح بين المتغاضبين أو بين الرجل وامرأته ويسمع الشكايات ويقضى بالعدل بين الظالم والمظلوم فهذه جميعها حسنات لكنها لا توافقك أنت أو من هم فى رتبتك ولكن يليق بك جداً ان تقبل الغرباء وتغسل ارجلهم بكل حب وافراز وان لم تعمل هذا فلا يمكنك أن تجد النقاء وهذا هو ما يليق بك أن تفعل اعنى انك تقبل الغرباء الذين يأتون إليك ولكن لا ترسل انت فتأتى بهم من حيث يكونون فتترك مسكنك وتمضى إليهم بل أقول لك عن الذين يرسلون إليك من قبل الرب هؤلاء اقبلهم بكل بشاشة وحب وأنت مصدق ان الرب أرسلهم إليك ولا تفحص امورهم وتدينهم ولا تفحص ان كانوا مستحقين أم لا لانك ما أمرت أن تكون ديانا قاضياً بل قابلا ملتقيا وانك قلت ان هؤلاء يعطلوك عن النظر فى التاوريا أنا اقول لك ضد ما قلت لانك ان لم تفعل هذا فانك تعدم نظر التاوريا. انى لا أظن أن جلوس الإنسان داهشاً فى السكون وحده فى قلايته يجلب له نظر التاوريا بل يحفظ الوصايا كما قلت آنفا. لأن من حفظها يقتنى عدم تألم النفس الذى منها يتولد الحب الذى هو نظر التاوريا.

وسؤالك الثانى هو «أيما أفضل أن يحفظ الإنسان الوصايا أو أن يزدرى جميع المنظورات وإجابة على سؤالك أقول أنه حسب ظنى ان لم يحفظ الإنسان الوصايا فانه لا يعرف أنه قد ازدرى بجميع المنظورات وان لم يزدرى ويترك الانسان كل شيء يرى فان ذلك يدل على انه لم يبدأ بحفظ

وصايا المسيح بعد كما قال لذلك الغنى أمض وبع كل مالك وأعطه للفقراء وعند ذلك اتبعنى فقد عليه أولا أن يرذل العالم ويلقيه بالكلية وبعد ذلك يتبعه ويبدأ بحفظ وصاياه وينبغى لك أن تعرف أن بعض الوصايا تحفظ فى تدبير العالم وبعضها يحفظ خارجاً عن هذا التدبير وبعضها يعمل فى التدبيرين . أما أغسل أرجل الغرباء ومن يسخرك ميلا امض معه اثنين هذه التى ذكرتها لى فى رسالتك وأزيد أنا عليها ما تبقى قوله ومن ضربك على خدك دراله الآخر ومن يرد ان يأخذ ثوبك اعطه ايضاً رداءك وباركوا لاعينكم وطارديكم واصنعوا الحسن مع من يبغضكم وصلوا من اجل الذين يطردونكم هذه الوصايا كلها هى كاملة وليست هى لكل احد لكى يحفظها بل لأولئك الذين بلغوا ووصلوا إلى درجة الكمال ولأجل هذا اعطى سيدنا هذه الوصايا للرسل وكلمن يريد ان يسير فى تلك الطريق العالية يلزم ويليق به حفظ هذه الوصايا وان كان يغفل عن حفظها فانه لا يؤهل لنقاء النفس ولا التاوريا التى هى بعد النقاء .

وينبغى أن أعرفك أيضاً هذا لكى تعلم بتحقيق ما هى التاوريا لتعرف كيف ترتقى إليها فان كنت تشتهى التاوريا فتاوريا الطبائع ثلاثة . اثنتان هما الطبائع الناطقة وغير الناطقة والروحانيون والجسدانيون وأخرى تاوريا الثالوث المقدس . وبعد هذه هناك طقس آخر للتاوريا فان لكل شىء غير مدرك تصور تاوريا معقولة . أعنى بهذا عن خلقه الله وعنايته ودينونته فى الكل ولهذه الوصايا المقدسة التى أمرنا أن نحفظها وللعقل نفسه نصور تاوريا ذاتية ولجميع الكلام الموضوع فى الكتب هذه التى ليست هى وصايا بل أسرار بل وللأسرار المقدسة التى تخدم على يدينا أيضاً تاوريا روحانية مفهومة وجميع ما لا تدركه المعرفة البشرية تقبل منا بالايمان ونحن نقبل المعرفة عليها بالتاوريا تلك التى تحصل بعد نقاء العقل .

ان الله قد وضع في البدء فينا الإيمان كوديعة طبيعية بالعدل لكي نقبل بها الأشياء التي لا يمكن ادراكها بالمعرفة لأن هناك عند الله أمور عظيمة تفوق معرفة البشرية التي لا يمكن للحواس الجسدانية أن تحس بها ولا لنطقية العقل أن تدركها فلهذا أعطانا الله الايمان لكي نعرف به أن هذه الأشياء موجودة وهكذا يتولد فينا الرجاء بهذه الأشياء من الايمان فبالايمان نعترف ان الله كائن وهو سيد وهو خالق ونعرف انه ينبغي لنا أن نخاف منه ونحفظ وصاياه وكمثل من سيد نخافه ونسأل عن الأمور التي يبغضها فنبتعد عنها تلك التي حذرت عنها جميع الوصايا التي تحت الخوف وخصوصاً بقوله لا تفعل بقريبك الشيء الذي تبغضه لنفسك لأن جميع الأفعال الشريرة محدودة بهذا . وقوله وكما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم بهم أيضاً هكذا وجميع البر الطبيعي والشرعي محصور بهذا أيضاً . وهاتين الوصيتين يضطرنا إلى عملها الخوف من الله لأنه إلى الآن نحن قائمين برتبة العبيد فالذي يحفظ هذه الوصايا هو الآن عبد ويحفظها من الخوف وتقتني النفس صحة من حفظ الوصايا وتقوم في محلها الأول ومن هناك ترتقي إلى عدم التألم ومن عدم التألم يتحرك بها الحب الروحاني الذي منه ترتفع إلى التاوريا التي هي معرفة روحانية لكل شيء منظور وغير منظور من جميع الكائنات فكيف تطلب أنت التاوريا وأنت لم تكمل بعد الأشياء التي هي أحط منها وتوصلك إليها . بل ونظن أن العمل بها هو بطالة من التاوريا . لأنك قلت أن وصية من يسخرك ميلا أمض معه ميلين قد قيلت حسناً لكنها لا توصل العقل لرتبة نظر التاوريا ياليتك عرفت ماذا قلت أيها القديس أو لعلك سمعت صوتاً يدعوك فقط . أعلم أنه واجب جداً أن تحفظ وصايا المسيح بل وينبغي لكل إنسان أن يحفظها . وأما وضعك وصية المسيح الكاملة معوقة عن نظر التاوريا فهذا

يقنعك انك ما عرفت بعد ما هى التاوريا الروحانية لأن وصية من يسخرك ميلا ذامش معه ميلين التى قلت عنها آنفا أو من يضربك على خدك قدم له الآخر وما يشبه هذه التى من بعدها قوله لا تهتموا بالغد ولا تقتنوا ثوبين واجحد العالم جميعه بنفسك وأحمل صليبك وتعالى اتبعنى هذه الوصايا جميعها ليس حفظها من الخوف بل من الحب .

كنت قد قلت لك ان هناك وصايا تحفظ من الخوف وهناك وصايا تحفظ من الحب وباختصار نقول أن كل وصايا العهد القديم تحفظ بالخوف ووصايا المسيح التى للعهد الجديد تحفظ بالحب كما قال سيدنا إنى حفظت وصايا أبى وأنا ثابت فى محبته ومعروف ان الابن لا يحفظ وصايا أبيه من الخوف بل من الحب . وقد أمرنا نحن أيضاً أن نحفظ وصاياه من الحب بأن قال ان كنتم تحبونى احفظوا وصاياى وأنا أطلب من أبى معزياً آخر يرسله لكم . أوضح عن مجىء البارقليط تصور تاورية جميع الروحانيات تقبل معرفة الروحانية بقبول الروح القدس وأوعد أن الآب يرسل لهم البارقليط عندما يحفظون وصاياه فهل رأيت انه هكذا من حفظ الوصايا يأتى العقل إلى التاوريا وليس حسب ما ظنت حكمتك أن عمل الوصايا معوق التاوريا . احفظ الآن وصايا الجديدة لأنك تحب وذلك ان أحسست بنفسك انك قد بلغت لعظم الحب وليس من أجل الخوف واذكر بولص الذى كان من ثقته بالحب كان يحتقر كل شىء ما يرى وما لا يرى لأنه كان يجاهد بقوة الحب فوضع أساس تهديده قبالة كل شىء بثقة عظم موهبة الله لأجلنا لأنه قال ان كان الله معنا فمن علينا وان كان لم يشفق على ابنه بل أسلمه من أجلنا كلنا كيف لا يعطينا معه كل شىء . وبعد أن أظهر حب الاب بموهبة ابنه أظهر أيضاً حبه هو انه أوفى عوض هذه العطية التى هى

ان وحيد الله أسلم الموت لأجل حياة كل العالم فقال من يفصلني عن محبة المسيح ضيقه أم حبس أم طرد أم جوع . . . الخ . وبعد هذا القول قال نحن غالبون بسبب الذى أحبنا كمثل من يقول انه يأخذ من حبه لمحبة ومن أجل هذا يتشجع على الالام والضيقات وما كفاه انه يقيم الحرب قبالة تلك الضيقات التى من الناس والشياطين بل زاد ما هو أقوى من ذلك بقوله انى أعلم انه لا موت ولا حياة ولا علو ولا عمق ولا ما بقى مما ذكر تستطيع ان تبعدنى عن محبة الله التى فى المسيح يسوع . وأيضاً لئلا يظن انه يجاهد من أجل انتظاره الأجر كرامة مرتفعة على جميع طقوس الروحانيين قال اصلى أن أكون أنا ذاتى محروما من المسيح من أجل آخرين لكى يحبوا المسيح . هذا الكلام القوى والتهديد الذى هو فائق المقدار قبالة كل ما يرى لم يكن يتحرك فى بولص من الخوف من الله بل من الحب له . ولتعرف تماما انه لم يكن يطلب تاوريا حسب ما اشتهت ابوتك هذه التى كم من وقت أهل لها أناس غير مستحقين وذلك من النعمة .

اسمع أيضا ماذا قال فى موضع آخر ان كنت اتكلم بجميع لغة النـاس والملائكة وليست لى محبة فقد صرت كنحاس يطن أو صنج يرن . وان كانت لى نبوة واعرف جميع الأسرار وكل المعرفة يعنى أسرار التـاوريا الروحانية وكل معرفة الروح وان كان لى الايمان حتى انقل الجبال وليست لى محبة فلست شيئاً . والعقل إذا أراد أن يصل إلى هذه كلها فبطقس مرتب ومنهج شرعى . فانه يبلغ للحب أولا ثم بعد ذلك يستحقها . لأن الحب هو الباب الشرعى إلى هذه كلها حسب قول سيدنا أنا هو الباب أن دخل بى أحد فانه يحيا يدخل ويخرج ويجـــد مرعى أعنى أنه يسير مثل حر لجميع المصاعد والمنحدرات فيدخل ويخرج بسلطة ولا يعوقه شر أو ضلاله . لأن

حياة العقل هي تاوريا الروح وقد قال بولص انه لا يريد هذه من دون الحب وقال أيضا انى لا أشتهيها ان لم أدخل من الباب الشرعى اليها وان اعطت لى انعام التاوريا الروحانية فلست أريدها لأنى لم أدخل اليها من الباب الذى لها الذى هو الحب بل انى أريد أولا ان اقتنى الحب الذى هو تصور التاوريا الأولى التى للثالوث وعند ذلك أكون ناظراً جميع الروحانيات بالطبع من غير انعام فلتفهم هنا حكمة بولص الإلهية إنه ترك جميع المواهب التى من النعمة وطلب طبيعة الأمور مثل من يقول ان موهبة التاوريا قد أعطت لموسى أيضاً . وقد اهل لها البطاركة ابراهيم واسحق ويعقوب ونالها ايليا واخنوخ ولكن ليس على الدوام بل بلمح صغير او باستعلان روحى . فأنا لست اريد ان انال انعاما بالموهبة التى مصيرها تؤخذ منى بل اريد ان اكون طبيعيا بالروحانيات واعرف حقيقة الاشياء كمثل من يقول ان الاشياء الطبيعية لها مناسبة معى وانا متجنس بالروحانية هكذا اريد ان اكون ههنا وليس بقبول حواسنا الحس الذى فى الطبائع المتجسمة جديداً بالموهبة بل ثابتة الحس بها بطبعها هذا ايضاً هناك اريد ان تحس حواس عقلى بكل الروحانيات طبيعيا لانه ليس غرض مجيء الله للعالم ان يعطينا استعلان الروحانيات جزئيا فيعطى فى وقت ويأخذ فى وقت آخر لان الموهبة موضوعة تحت الغيارات لان قابليها ايضا معرضون للتغيير بل انى اريد كبولص الذى اراد ان يكون بعقله تاوريا الروح فاشتهى ان يغرس بوجه مجد الله من الرب الروح وجها لوجه دائماً بثبات ولهذا قال ان كان لى هذه وليس فى حب فلست شيئاً . كمثل من يقول ان الشيء الذى يعطى بموهبة مصيره يؤخذ .

المسيح صنع تجديداً لطبيعتنا بإقنومه وبسر لا ينطق به ركبنا أعضاء

بجسده فإنه لم يرد أن يعطى الحياة لأعضائه بالموهبة فقط بل أراد أن يوصل إليها الحياة طبيعيا كالرأس الجسدانى لبقية الأعضاء .

وان هذا لعجيب أيضاً أن يقول ان كنت أطعم كل شيء المساكين وأسلم جسدى للحريق ولم يكن فى حب فلست شيئاً . لأنى انما أصنع هذه من مخافة الله لأن مخافة سيدى لله انما تقوينى كى أعطى جسدى للحريق لأجله واذا لم أصنع هذا بالحب فليست هى محسوبة شيئاً عندى لأنها عملت بالخوف وهى كانت لأجل الأجرة .

يجسر الإنسان على حريق جسده عندما يقرب إلى الأشياء الوقتية لأنه يتأمل عذاب الجحيم المزمع وحينما يقارن الموت بالموت يختار الجزئى لأجل خوفه من ذلك الأبدى ويفرق أيضاً مقتنياته القليلة المحتاجين كى يأخذ عوضها الأشياء الكثيرة العظيمة أما بولص فقال ان عملت هذه كلها بمخافة العبودية أو من أجل موهبة الأجرة وليس من الحب كما أحبنا هو فليس هذا محسوب عندى شيئاً . فالقديس بولص كان يريد أن يتشبه بالمسيح فى كل الأشياء كما أنه أيضاً أعنى المسيح لم يضع نفسه للموت ولم يصبر على عار الصليب من أجل غنمه من مخافة ابيه ولكن من أجل حبه لأبيه . هكذا أنا ايضاً مثله أريد أن أعمل كل شيء بالحب وليس بالخوف فالحب هو دليل افتقاد الله للعالم والخوف هو دليل خدمتنا لله . فلهذا إذا ما تأملنا بترتيب أصول الأمور نجد أن الخوف يليق بنا وهو من عندنا والحب لله وبه يتحرك . وان ساغ لانسان أن يقول ما هو الله فليعلم أن الله هو حب مثلما قال رسوله ان الله محبة وكل من يحب مولود منه . أفهمت انه إن لم يقوم الإنسان منزلة الحب كقول الرسول يوحنا فانه لا يحس بولادته التى من الله . فلماذا تطلب أنت الثاوريا التى هى فوق من الحب وتشتهى أن تكون خارجاً منها

من الحب تلك الأشياء التى كان يرذلها بولص ان كانت بلا حب فانك تقول ان عمل الوصايا يعيقنى ذلك الشيء الذى يأتى بك إلى الحب الذى يكون منه النظر فى التاوريا فأصبح معروفاً عنك أنك رذلت هذا الحب واشتهيت التاوريا واخترت أن تنظرها فى الموضع الذى لا يمكن أن تنظر فيه فنحن لا نستطيع أن ننظر التاوريا أيها الآب بل التاوريا نفسها هى التى تظهر لنا ذاتها وكما ان النفس تقبل نظر المعرفة واحساسات الأمور التى فى العالم بتربية القامة الطبيعية بمقدار تدريج وصعود فى منازل القامة هكذا ايضاً فى نظر وحس الروحانيات فان العقل يقبلها بمقدار ضميره بالحب الروحانى وسير قامته فيه وهكذا غيار معرفة مصاعد التاوريات . وكمثلها انه فى قامة الجسد لا يقدر الصبى الذى هو ابن سبع سنين ان يكون ناظراً معرفة ابن ثلاثين سنة او ابن خمسين بل حسب نشأته بالقامة قليلا قليلا يزداد معارفة . وهكذا يعرض للعقل انه كلما ينشأ بالحب ويبلغ إلى بلد الروحانيات ينظرها فى بلدها وان اراد ان يغصبها ان تنحدر إليه فانها لا ترضى . وان اراد ان يشخص فيها فى غير وقتها فان نظرته تبهر وتظهر له خيالات عوض الأمور الحقيقية اما تعلم ان العين الممتلئة بالرمس والتى نظرتها مغبشة من زيادة الرطوبة لا تستطيع ان تتفرس فى نقاء النور وان أغصبناها أن تنظر ولم تبلغ بعدللصحة فانها تؤذى أكثر وتظهر لها خيالات فقط وليست طبيعة حقيقية الأمور . فضع هذه كلها فى عقلك أيها الحكيم ولا تطلب التاوريا فى غير وقتها وان كنت تظن انك تنظرها الآن فاعلم انك تنظر فنطسة وليس تاوريا لأن لجميع الأشياء تخيل فنطسة ولجميعها أيضاً نظر حقيقى فاذا نظرت فى الطبائع المركبة فانك تجد لها هذين الأمرين النظرة الحقانية وخيال فنطسة ولكن نظرتها الحقيقية ترى إذا كان نظرها صحيحاً

وموجودا أمامها النور بمقدار قربها له. فان عرض للعين أن بعد عنها الشيء أو قل النور عنها أو ضعف نظرها هي فانها لا تنظر حقيقة الشيء بل بالتخيل لأنها تنظر الماء في موضع ليس فيه مياه وأبنيته معلقة في الجو وهي موضوعة على الأرض وتنظر تركيب الأشياء بنوع مختلف عن تركيبها فهل نستطيع أن نقول أن أمثال هذه نظرات حقيقية للطبائع المركبة أم أليست هي خيالات مغبشة. فهكذا أيضاً خذ لك دلائل من هذه الجسدانيات في أمور الروحانيات. فان لم تتنق نظرة العقل وتصفو بأدوية الوصايا الإلهية ويقتني نور الحب بالتمام ويتربى بقامة تجديده ويتقدم بمقدار طقس الترتيب إلى الطبائع الروحانية فانه لا يقدر أن ينظرها بتحقيق لأن تاوريا تصور الروحانيات يقال أنها نظرها الحقيقي واما إذا ظن العقل شيئاً عوض شيء فانه يقال هذا انه فنطسة أو خيال وليس نظراً حقيقياً. وهذا الشيء يعرض من ذات العقل وليس من طبيعة التاوريا الروحانية لأن طبيعة التاوريا الروحانية لا ترى فنطسة بل ترى نظرها الحقيقي لكل من وصل إليها. أما سبب الخيال في نظرها فهو من ضعف العقل.

وهذه حدثت أيضاً للحكماء الخارجين لأنهم توهموا في نفوسهم انه ثم روحانيات ولم يقبلوا علم ذلك من الله لأنه كيف يمكنهم أن يقبلوا التعليم من الذي لم يعرفوه ولم يؤمنوا به بل ظنوا حسب اختلاج منطقيتهم من حركة افكارهم التي تهدس في كل شيء انه ثم روحانيات تفوق العالم. هذه التي لم يعرفونها بتحقيق العلم ولم ينظروا فيها بنقاء العقل بل توهموا بوجودها من ظنون انفسهم فقط وبهذا التوهم فكروا في كيفيتها لكي يكون لهم الأمرين اى وجود ازليتها وغيار شكلها وخرفوا عليها بظنون غير موافقة وقسموا الله الواحد إلى آلهة كثيرة وتوهموا ايضاً نتيجة لهذه

الكثيرة اشكال واشباح مختلفة كمثل على طبع اللاهوت وحركوا فيها ظنوناً وفنطسات مختلفة وتوهموا كل شيء كما أرادا هم ليس كما هي الأشياء وهكذا شبهوا وتكلموا بخرافة أفكارهم أشياء لم تكن على خلقة الله وعنايته وديئونته وسياسته وتدبيره في الطبع الناطق وغير الناطق وتفكروا أيضاً وتوهموا اموراً كثيرة على الطبائع الروحانية وصورا اشياء لم تكن في الطبيعة من الأفعال المختلفة التي للطبائع المتجسمة ووضعوا على الأمور فنطسة افكارهم حتى انهم صوروها بأيقونات وركبوا صوراً لهذه الفنطسة وكانت صورهم حسبما ظنوا هم بطياشتهم على ما يرى وما لا يرى ودعوها أيضاً تاوريا طبيعية ولم يعلموا انها فنطسة جميع ظنونهم لأنه لم يظهر فيهم الحق ليبكتهم لأنه حينما يظهر الحق يبكت الكذب وما دام الحق بعيداً فانه يظن عن الزور انه حق .

التاوريا الحقيقية التي للطبائع المركبة وغير المركبة والتي للثالوث المقدس والتي للتدابير المختلفة لم تظهر للناس إلا بتجسد المسيح فقط لأنه صنع التجديد أولا بأقنومه لجميع طبائع البشرية ورجع فاعطاه الحرية الأولى والنقاء وصحة عقل النفس ومنع الحركة التي كانت لنا أولا من ذهننا بتجديده لكي نقبل تصور تاوريا جميع الكائنات بتحقيق وبلا فنطسه . وقد أكمل هـــذه كلها بذاته لانه كتب عنه انه كان ينمو في القامة والحكمة والنعمة عند الله والناس . أما بالقامة فقد علمنا تاوريا الطبائع المركبة عند الله وأما بالحكمة فعلمنا التاوريا الغير مركبة وأما بالنعمة فقد علمنا تاوريا الثالوث أما التي عنـــد الناس فتاوريا العناية والديئونة والسياسة التي من عند الله للناس وهذه جميعها أكملها المسيح بذاته وصار مثلنا ناظراً وعارفا بها أعنى بكل التاوريات الروحانية . وأعطى لكل واحد منا طريقة يسير فيها إلى

هذه النظرة التى هى وصاياه المقدسة التى أعطاها لنا لكى نكمل بها عندما نحفظها بإرادة حسنة وبنية جيدة إليه بل ويجب علينا ألا نستند على العمل فقط بسذاجة بل نلصق بكل عمل الإفراز لأن العقل لا يطهر بالأعمال والضيقات وعمل الفضائل فقط بل بإفراز هذه الحسنات . فان كان هناك عمل بلا افراز فان الذهن لا ينتفع منه بل يسبب ضيقة الجسد والعقل يبقى مضطربا كما أن جسمانية الأغذية ليست هى التى تقيت الأعضاء بل قوتها هكذا أيضاً افراز الأعمال ينقى العقل وليست الضيقة بها فقط . وقد ظهر هذا الطريق لنا الآن من المسيح لكى نبلغ به لمقدار قامته ونولد منذ الرأس ونصير ناظرين ملكوته كما أعلمنا بكلامه لنيقوديموس ان لم يولد الإنسان من الماء والروح فانه لا يستطيع أن يعاين ملكوت الله فاذا كنا قد ولدنا مرة واحدة بنعمة الله من الماء والروح فانه يطلب منا مولدا آخر من الرأس الذى هو الحس بميلادنا الأول ويكون لنا هذا عندما نتعرى من الإنسان العتيق وكل تصرفاته كمثلما يشلح الجنين البطن الذى هو لابسها ويخرج إلى هذه الخليقة وغشاوة محجوبة عليه وبحفظ الوصايا الموضوعة له يتعرى أولا من الإنسان العتيق كمثل الغشاوة من الطفل وعندما يطهر بعمله ويقبل تاوريا بإيده ويستنشق الجو المتعالى عن العالم فتكون له هذه التاوريا موضعاً لغذاء العقل ويتنعم فيه وتتغذى وتقوى جميع حواسه الروحانية ليقدر أن يكون أيضاً ناظراً أموراً أخرى أعظم من هذه التى قد نظر لأن التاوريا توصل وتصعد العقل إلى تاوريا أخرى فالأولى تصعد إلى الثانية والثانية إلى الثالثة وكل معرفة إذا ما أشرقت فى الذهن فانها لا تعلن ذاتها فقط للعقل بل تعطيه قوة ليستطيع أن يكون ناظراً الأخرى التى هى أعظم منها وهذا لا يؤهل للذهن وحده بل يكون ذلك بمعونة النعمة لانى سبق أن

قلت ان نظرة التاوريا تعطى للذهن على نوعين فوقت تعطى من النعمة ووقت من النقاء فاما التى من النعمة فهذا ما حدث للرسل القديسين فان عقولهم لم تطهر من عمل الوصايا فاستحقوا لذلك التاوريا لكنهم آمنوا بالمسيح فقط وتبعوه بقلب مستقيم وبلا شك ولا ظنون والتزقوا به كالأطفال لأبيهم وصدقوه كما يصدق الطفل أباه وأنه يقدر على كل شىء ويقدر أن يعطيهم جميع ما يسألوه وهذه ليست من المعرفة بل من بساطه المعرفة فقط وبعد أن أكمل تدبيره أرسل لهم الروح القدس المعزى وطهر عقولهم وأكمله وأمات منهم الانسان العتيق وأحيا فيهم الانسان الجديد وأعطاهم للوقت الاحساس بالأمرين أى موت الأول وتجديد الثانى الجديد

وأيضاً تجدد بولص القديس وقبل التاوريا بعد أن أحس بقوة الأسرار فى كل موضع كان يسير . انه ليس فقط من النعمة بل أدخل ما عنده حسب ما استطاع لكى ينظر هذا الذى يتفكر فيه بالعدل فلهذا قال انى أسرع لكى أدرك الشىء الذى من أجله أدركنى سيدى يسوع المسيح وأيضاً قال أنى أنس ما وراء وأمتد إلى قدام لكى آخذ غرض الغلبة لدعوة الله التى بربنا يسوع المسيح وفى آخر سيره كان يصرخ قائلا جاهدت الجهاد الحسن أكملت السعى حفظت الايمان أخيرا وضع لى إكليل البر الذى يكافئنى به سيدى الذى هو الديان العادل فى ذلك اليوم فها هوذا بولص بعد دعوته كان يجرى ليدرك ولم يتكل على التى من النعمة بالاستعلان حتى قبل التاوريا ولم يكتف أن يثبت عند النعمة فقط بل فى كل أيام حياته بعد ان دعى كان يجاهد حسب الامكان ليوفى حق الشىء الذى دعى إليه وكما قلت سابقا انه كان يريد ان يبلغ إلى عدم التألم بالطريق الشرعى ومنها يصل إلى الحب وكان يريد ان يدخل من الباب لينظر التاوريات التى على الطبائع

المنظورة وغير المنظورة ولما كان ذاهباً إلى دمشق بحدة غيرة الشريعة حاملا رسائل تهديد على يسوع وتلاميذه صادفه يسوع فى نصف النهار وقت الظهيرة فى الطريق حتى أن صعوبة حرارة ذلك الوقت من النهار ليدل على قوة حرارة غضبيته ودعاه يسوع من السماء وسأله قائلا لماذا تطاردنى فقد أهله لسماع صوته انعاماً منه وتكلم معه كمن يتكلم مع ابن بيته لأنه لم ينظر إلى عمله وغيرته بل إلى افرازه وإلى من يغير لأجله فأخذ افرازه الحسن ووضعه على عمله المضاد وجعل العمل المائت يحيا بإفراز الغيرة ولأجل انه لم يكن يستطاع تكميل الجميع فى وسط الطريق قال له قم وأدخل دمشق وهناك يقال لك كل ما ينبغى أن تفعل . فلما دخل دمشق لم يكتب ان يسوع تكلم معه ظاهرا وحنانيا الذى مضى إليه أيضاً لم يقل له شيئاً آخر خارجاً عن ما كتب الذى هو يا اخى شاؤل ربنا يسوع الذى ظهر لك فى الطريق وأنت قادم إلى هنا أرسلنى إليك لكى تفتح عينيك وتمتلىء من الروح القدس . ومن ساعته قام وعمده .

لكى يظهر من هنا ان الذى قال له فى الطريق هناك يتكلم معك لم يتكلم معه على يد حنانيا ولا على يد تلميذ آخر ولا هو أيضاً تكلم معه بصوت جسدانى من السماء ولكنه بالروح تكلم معه على جميع الأسرار واستعلنت له الخفيات مثلما عمل مع الرسل عند قوله لهم ان لى أشياء كثيرة أريد أن أقولها لكم لكنكم لا تستطيعون أن تحتملونها الآن لكن إذا جاء روح الحق فهو يخبركم جميع الحق . وتلك الثلاثة أيام التى كتبت عنه انه فى اثنائها كل ملقى على الأرض كان عقله يطوف فى الأماكن التى فوق السماء وظهرت له هناك الأشياء التى لا تستطيع أعين الجسد أن تنظرها وتكلم معه هناك على جميع ما ينبغى له أن يصنع وسمع كلاماً لا ينطق به ونظر

نظرة لم تر لجسد لأنه كان ينظر فى اختلاف تاوريات القوات المقدسة والرتب الروحانية الأشياء التى لا يستطيع الذهن غير النقى أن يشتهيها وكان ينظر إليها وجهاً لوجه وكل هذه ظهرت له بالنعمة ولم تصعد إلى عقله هناك صعوداً شرعياً بل اختطف اختطافاً وهذا الاستعلان اخبر به بولص بعد أربعة عشر سنه بالرسالة التى كتبت إلى أهل كورنثوس لأنهم يوعدون بفنطسات أفكار ويدعونها تاوريات روحانية هذه التى حدثت عند كثيرين من أرباب البدع أعنى بهذا عن والنطس ومرقيان ومانى ويوحنا المصرى وكثيرون مثل هؤلاء الهراطقة بدأوا فى الظهور من أيام الرسل إلى وقتنا هذا ووجدوا فى مواضع كثيرة وكانوا يهذوا هذيانا كثيراً بسبب الخيالات التى من الشياطين . اناسا قد أفسدوا تعليم الرسل فى ذلك الوقت فاغتصب الرسول القديس أن ينقض افتخار أولئك المنافقين المفتخرين بالفناطس أراد أن يخبر هو عن التاوريات الروحانية ويصنعها باتضاع وخوف وكان يحيلها على وجه غيره قال أعرف انساناً بالمسيح قبل أربعة عشر سنة فى الجسد أم خارج الجسد لست أعلم الله يعلم وذكر انه نظر تاوريات وقال انه سمع كلاما وأما ما هو الكلام وكيف شكل التاوريات فلم يستطع أن يكتب لانه قال شيئاً لا ينطق به وليس له سلطان أن ينعته لان العقل لما نظرها فى بلدها لم يأخذ اذنا ان يتكلم بها فى غير بلدها وان كان يريد أن يتكلم بها فانه لم يكن يستطيع ذلك . لانه لم ينظرها بالحواس الجسدية لأن العقل إذا قبل شيئاً بالحواس الجسدانية فإنه يمكنه أن يصفه بالحواس ايضاً . أما إذا لم ينظر بهذه الاحساسات الجسدانية بل يحس به فى بلد الروح فانه انما يحس به روحانياً فعندما يرجع إلى الجسد ينساه ولا يعد يعرف إلا ذكر انه نظر وسمع وهكذا فلتتبكت جميع كتب الزور التى يسميها الضالين مكاشفات وضعها قوم صاروا ارباب بدع وخرفوا بها فنطسات عالمية وبدع سمائية

ملكية باختلاف مواضع مفرزة بالديونة وأشكال مختلفة للقوات المتعالية التى هى أمور خيالية وفطسات العقل المضطرب من الآلام وأفعال الشياطين فالرسول بولص أغلق الباب فى وجه جميع التاوريات الروحانية بكلمة واحدة وقال لا يمكن أن ينطق بها فى بلد الجسدانيين ولا يستطيع العقل لذلك وان كان يقدر فانه لا يعطى اذن ان يشهرها . فلهذا ينبغى لعفتك ان تذكر هذا وتحترس من الفاطسة التى تحدث خصوصاً المتوحدين . فيقال عن إنسان يدعى أدلف كان فى مدينة الرها وصار مبدعا لهرطقة المصلين فقد كان هذا متدبراً بسيرة قشفة وأعمال كثيرة ونسك صعب وكان أولا تلميذاً للقديس يوليانا المدعو الشيخ ومكث عنده زمانا ومضى معه إلى طورسينا وإلى مصر ونظر الآباء الكبار والطوبانى انطونيوس وسمع منهم كلاما على طهارة العقل وعلى خلاص النفوس ومسائل دقيقة قبالة الآلام حسبما كان من عادة أولئك أن يفسروا وأيضاً سمعهم يقولون انه ثم تاوريات للعقل بعد تطهيره وان النفس تستطيع أن تؤهل بنعمة الله إلى عدم التألم عندما تتعرى من جميع آلامها القديمة وتقوم فى صحة طبيعتها التى كانت لها أولا وتبقى كأنها فى ملكوت السموات وهى لا تزال متقلبة فى هذه الحياة . ولما سمع أدلف هذا الكلام الروحانى وانه يمكن للنفس أن تقبل صحة طبيعتها التى كانت لها أولا وهى كائنة فى الجسد وكان بعد شابا اشتهى هذا الأمر كمثل عادة الإنسان انه يشتهى العظائم فلما جاء إلى مدينة الرها اختار له سكناً فريداً وأسلم نفسه لأعمال عظيمة وضيقات صعبة وصلوات دائمة وكان يضطرم فيه ألم المجد الباطل وقد كان أمله كما قد سمع أن يقبل التاوريا عندما ينقى عقله وجعل كل غرضه لهذا الشيء . ولم يقتن صناعة العمل قبالة الأعداء ولا عرف مكر المحاربين معه بل استند على التدابير والأعمال

والتجرد والوحدة ولم يقتن مع هذه التواضع ولم يذكر كلمة الإنجيل انه إذا عملتم كل البر فقولوا انا عبيد بطالون بل كانت تضطرم فيه شهوة العظائم بظنون متشامخة على نفسه فبعد زمان كثير من أعماله وجده الشيطان فارغا من معرفة عمله فظهر له وأراه ذاته كمثل نور وقال له أنا هو البارقليط وارسلت اليك من المسيح لأجل أجر أعمالك لكى أجعلك تنظر التاوريات وأعطيك عدم التألم وراحة من أتعابك وطلب منه عوض هذا ان يسجد له . أما ذلك الأحمق غير المدرب فى صناعة القتال ما تعقل ليقول له كلام ذلك المتوحد الذى ذكرناه انى لا أريد انظر المسيح ههنا بل انى اصلى ان أنظره فى عالمه واضمحل الشيطان فى الحال من قدامه وبطل طغيانه . بل ضرب بشهوة العظائم وخر ساجداً له وتسلط عليه منذ هذه الساعة وملأه بالخيالات الشيطانية عوض التاوريات الإلهية وجعله يبطل جميع أعماله الأولى القديمة وعلقه برجاء عدم التألم كمثل إنه ما عاد يحتاج لأعمال الجسد وقمعه والحرب مع الشهوات وأصبح رئيس بدعة المصلين الذين عندما كثروا وصاروا مجمعاً كبيراً من الرهبان ظهر غشهم للأسقف فبطل تعليمهم وطردهم وهم الآن فى أديرة بلاد ايقانون . وانت عارف أيضاً ياسونا الذى كان فى الرها كان هذا يشتهى أن يعمل مثل ذاك وضله الشيطان واخرجه من قلايته وأقامه على الجبل المدعو إسكاهين وأظهر له شبه مركبة وخيول وقال له ان الله قد ارسل لينقلك كمثل ايليا بالمركبة ولما ضل بعدم معرفته وصعد وقام فوقا منها انحلت الفنطسة جميعها ووقع هو من ذلك العلو الكبير ومات ميته سيئة وصار اضحوكة . وآخرون كثيرون فى تدبير الوحدة هذا عرض لهم مثل هذه الأشياء وذلك لعدم معرفتهم بحيل العدو الشيطان . وانى لست أذكر هذه الأمور ههنا كيفما اتفق بل لنعرف جيداً انه لا

يلبغى لنا إن نشتهى نظر التاوريا أو الروحانيات أو الظنون بعدم تألم النفس أو تطهير العقل مثلما بلغنى عن صبيان مبتدئين مضطربين من جميع الآلام ويتكلمون على عدم التألم ويتكلمون بالتعليم المخوف الذى هو متداخل عن الجسد وهم يحسبونه مثل بقية الأخبار . وإنى أقول ان هـــذا ليس خطأ صغيرا بل نقمه كثيرة عليه . فلذا قال أحد القديسين انه لا ينبغى لنا أن نتكلم عن عناية الله وديونته أمام الشباب والمبتدئين لأنه يجعل فيهم الرخاوة سريعاً . وقال هذا القديس ان الناس الممتلئين الآما ويفحصون على كلام المتجسمين والغير متجسمين يشبهون المرضى الذين يتكلمون عن العـافية . والقديس بولص لما أحس بقوم من التلاميذ فى ذلك الزمان انهم تغافلوا وتهاونوا عن حفظ الوصايا وهم يشتهون سعادة التاوريا قال تعروا أولا من الإنسان العتيق بجميع تقاليد والبسوا الجديد الذى يتجرد بزيادة المعرفة شبه خالقه ولا تشتهوا الأمر الذى حدث لى أنا والرسل بالنعمة فان هذا لا يصير لكل أحد لأن الرب يرحم من يشاء ويقسو على من يشاء ومن هو الذى يقوم قبالة ارادته . فهناك وقت يعطى فيه مجـاناً وهناك وقت يطلب فيه أعمالا وبعد ذلك يعطى وهناك وقت لا يعطى فيه حتى بعد الأعمال بل يحفظها لنا ليعطيها فى وقتها وفى بلدها . فجد أيها القديس أن المسيح لا يصنع اختلافات فى الذين هم من خواصه فى التاوريا فقط بل وفى الأشياء التى هى أحط من التاوريا أيضاً لأنه بالمعمودية يغفر مجاناً ولا يطلب شيئاً غـــير الايمان فقط وأما بالتوبة التى تكون عن الخطية التى تفعل بعد المعمودية فيطلب أعمالا ولا يغفر كيفما اتفق بل بعد ضيقات وأحزان وتنهد ودموع وبعدها يغفر . وليس هذا فى مدة قليلة بل بعد صبر كثير وثبات فى القانون وعدم تغير زماناً كبيرا .

هوذا نجد اللص بالصلب غفر له مجانا وكفاه انه اعترف به بكلامه والزانية طلب منها ايماناً ودموعاً وهذه أيضاً غفر لها مجاناً والذى كان مخلعاً ملقى على سريره فلم يغفر له خطاياه وأعطاه الشفاء لأجل إيمانه بل لأجل إيمان أولئك الذين كانوا يحملونه ولكى يؤمن آخرون . وآخر أعطاه صحة الجسد وصحة النفس وآخر كان ملقى على سرير ثمان وثلاثين سنة أراد أن يسمع منه فقط ان كان يريد أن يشفى ومن ساعته شفاه وغفر له خطاياه بانه قال له لا تعد تخطىء . فأشار بهذا ان خطاياه كانت سبب مرضه وقال له لا تعد تخطىء لئلا يصير لك أشر من الأول فان مداومة مرضك شفع فى كثرة خطاياك وهوذا قد غفرت لك فلا تعد تخطىء لئلا يصيبك أشر من الأول .

والقائد الذى قال له لست مستحقا أن تدخل تحت سقف بيتى فمن أجل هذه الكلمة المملوءة ايماناً ومعرفة مدحه وأعطى العافية لابنه . والكنعانية بكلمة واحدة ضربت له المثل واظهرت الاتضاع وحقارتها وعظمة الذى تسأله ففى الوقت أمر الشيطان وخرج من ابنتها ومدح عظيم ايمانها وآخر كان فى ابنه شيطان فغصبه جداً أن يؤمن ووبخه وغير قلة ايمانه ومن قوة كلامه وصعوبة الضيقة التى ابنه فيها تحرك فيه الإيمان وهذا أيضاً لم يتركه خائباً بل أتم شفاء ابنه للوقت . ويايرس أيضاً رئيس الجماعة لما سأله أن يمضى ويشفى ابنه ولما سمع من أهل بيته أن ابنته قد ماتت فلا تتعب المعلم وطلب أن يمضى منعه ربنا يسوع وقال له اثبت آمن فقط فتحيا ابنتك . ونازفة الدم عند دنوها من طرف ثوبه فقط أعطاها العافية . وتجد فى الإنجيل اموراً كثيرة مثل هذه قد فعل الرب من أجل غفران الخطية ومن أجل صحة الجسد فقد كان هذا الأمر يسير فى ذلك الزمان أما فى هذا

الوقت فانه لا يغفر خطايا كيفما اتفق وكذلك لا يمنح شفاء لكنه يطلب توبة طويلة وحمل قوانين بمقدار الخطية . وأما عن شفاء الجسد فانه يريد أعمالا وتدابير صعبة سنين كثيرة وميتوته من جميع ما فى العالم وبعد ذلك بالجهد يعطى أو لا يعطى سلطاناً لقوم أن يصنعوا الشفاء . ونحن لا نلوم ارادته ونحاكمه لماذا كان بالأمس غير اليوم . فالمؤمنون الأول كانوا فى حال عمادهم وقبولهم الروح القدس يظهر فعله بهم بأنواع مختلفة بعمل العجائب ولم يكن يظهر عملهم فى آخرين فقط بل كان يظهر فعل الروح القدس فى أنفسهم فمنهم من كان يتكلم باللسان ومنهم من كان يتنبأ وآخرون كانوا يظهرون أفكار الناس وسرائرهم كمثل ما قال بولص القديس ان أنواع المواهب كثيرة ولكن واحد هو الفاعل فى الكل وفى كل أحد فثم من يعطى كلام حكمة وآخر كلام معرفة بالروح ولآخر افراز الأرواح . وآخر أنواع الألسن وهكذا . . كل هذه كانت تكون عند المعلمين القدماء فى حال عمادهم وأما اليوم فان الروح القدس يعطى للذين يعتمدون وينالونه بتحقيق مثل الأولين ولكنه لا يظهر فعله فيهم فى الحال بل هو مخفى فيهم . وان لم يخرج الإنسان من العالم ويبدأ بطريق السيرة الروحانية ويحفظ جميع الوصايا المشروعة من ربنا يسوع . ويسير بحرص ويتجلد بالطريق المضغطة الضيقة التى للإنجيل فلن يظهر فيه فعل الروح الذى ناله من المعمودية وهكذا نرى أن كل الأشياء قد تغيرت تماما عن الأيام الأولى ان كان غفران خطايا أو شفاء الأجساد او اختلاف مواهب تظهر فى الذين يعتمدون وان كان التاوريا الروحانية التى يقبلها العقل وذهن الذين يقبلون الروح القدس .

ان سبب تغيير هذه الأشياء معروف ومفهوم لكل فهيم خفياً وظاهراً

وليس لنا مجال فى هذا الميمر ان نظهر هذه الأسباب فإنه لم يكن ذلك فى العهد الجديد فقط بل وايضاً فى العهد القديم فان الأنبياء والصديقين الذين فى الاجيال المتتالية بعد موسى ويشوع لم يصنعوا العجائب التى كانت فى أيامهما وايضا استعلانات وكلام الله مع البشر ليس كالقديم لان فى ذلك الزمان لم يتكلم الله مع الصديقين والانبياء فقط بل قد تكلم فى اوقات كثيرة مع اناس خطاة أيضاً . فقد تكلم مع آدم بعد مخالفته الوصية وتكلم مع قايين القاتل قبل وبعد جرمه وتكلم مع ذاك الجيل الزانى اى قوم نوح وتكلم مع ابيمالك بالحلم وقال رد امرأة الرجل إلى زوجها لانه نبي . وبعد هؤلاء ظهر وتكلم مع انبياء وقوم ابرار . فاما اليوم فلا يعد يتكلم ولا مع هؤلاء بل ان اتفق ان انسانا من الروحانيين بعد أن تنق عقله يكون مؤهلا لقبول نظرة الله بتاوريا روحانية وأما جسدانيا فلم يعد يظهر بعد لانه أرانا نعمته دفعة واحدة ووضع فينا موهبة روحه القدوس خفيا وأمرنا أن نطلب استعلانه فى داخلنا مثل قوله لليهود هوذا ملكوت الله داخلكم .

ان تصور التاوريا الروحانية ليست لإرادتنا ان نؤهل لها أو لا نؤهل بل هى موهبة نعمته وأما أن نحفظ وصاياه فهى لإرادتنا ولاجل حفظها وضعها فى جميع الكتب المقدسة وحرضنا على ذلك . ولكننا لم نجد فقط فى أى موضع من الكتب أن نطلب من الله نظر التاوريا الروحانية والتطريات التى أعطاها هى أيضا وصاياه وعرفنا بقوله طوبى للنقية قلوبهم لانهم يعاينون الله وعلمنا بالكلام ماذا يحصل للإنسان من حفظ وصاياه فانه يحصل على نقاء القلب الذى يقود إلى نظرة الله . فقد عرفنا حدوث الامر ولكن ان نطلب هذا الامر فلم يأذن لنا لان بولص القديس لم

يفتخر بعد أن ذكر استعلانه انه اختطف إلى الفردوس وإلى السماء الثالثة فقد أحاله على وجه غيره وقال من جهة هذا افتخر وأما عن نفسى فليس لى أن أفتخر بل بالامراض والضيقات التى لاجل المسيح كان يصبر عليها وقال ان هذه هى خاصة له لانها تكمل بإرادته وحبه أما الاستعلان فيكون من موهبة النعمة وعطيتها .

فليعظم فى أعيننا اكثر من كل شىء ان نحفظ الوصايا ونطلب المعونة من الله فى كل وقت لاجل حفظها وان قلنا انها عسرة وصعبة فقد اظهر لنا هذا لامر اولا لئلا نظن انه صادفنا شيئاً جديداً قال ادخلوا من الباب الضيق فقد نادى لنا فى بشارته ان الباب لطيف والطريق التى توصل إلى الحياة ضغطه ولا يجب ان نفسر الوصايا خارجا عن معانيها كما فسرها تادرس الجاهل ابن عم نسطور ومن يشبهه .

سمعنا انه قال لا تقتنوا ثوبين ولا تهتموا بالغد ومن يضربك على خدك قدم له الآخر ومن يسخرك ميلا امض معه ميلين فحسبما قالها هو أعنى الوصايا كذلك ينبغى أن نحفظها ولا نجعل لها تفاسير مضادة بل تفسيرها هو عملها وليس يجب ان نفسرها بالكلام بل بالعمل . كما ان الأسرار التى فى الطبائع والكتب لا تفسر بالكلام والترجمة بل تفسيرها يكون بتصور تاوريتها ضوئياً وهكذا أيضاً الوصايا ليس تفسيرها بالكلام بل بالعمل . فتمام جميع الآلام وضيقات البشر هو الموت الطبيعى وهذه الحقيقة قد وضعت لنا بالوصية لأنه قال كل من لا يحمل صليبه ويتبعنى فلا يستحقنى ومن يريد أن يخلص نفسه فليهلكها . وإن لم يجحد الإنسان كل شىء يرى ونفسه أيضاً فما يستحقنى وأيضاً بعد أن ذكر جميع الضيقات التى هى مزمعة أن تأتى على تلاميذه فى كل حين قال من يصبر إلى

المنتهى فهذا يخلص . وفى كل موضع من كتبه المقدسة يقول لنا أن نموت لأجله ونحتمل الضيقات والعذاب من أجل اسمه . وبولص صفيه يصرخ انه يموت كل يوم وبطرس مقدم رسله صلب منكساً ومحبه يوحنا قطع لسانه ويعقوب ابن زبدى اخوه قطع رأسه ويعقوب الصديق أخو الرب رجم بالحجارة ويوحنا المعمدان من أجل تبكيت هيرودس قطع رأسه . وبقية الرسل الإثنى عشر والسبعون ماتوا ميتات مختلفة وبوليكربوس تلميذ يوحنا احترق بالنار واغناطيوس اكلته الوحوش وهكذا خرج كل أولئك بهذا الحال من العالم . وكذلك الشهداء القديسون انتقلوا من هذه الحياة بالطرد والعذاب بأنواع مختلفة من الضيقات وميتات شتى . وعندما بطل اضطهاد الحنفاء للآباء القديسين معلمى الأرثوذكسية قاسوا شدائداً ونفيا وسجونا وعذابات مختلفة من أرباب البدع وجاهدوا فى بلاد غريبة والقديسون النساك خرجوا للقفر والبرارى وصاروا فى الجبال بالجوع والعطش والعرى والتجلد على العوز ومسكنة ليس لها حد وكانوا يعملون بأيديهم وبعد جهد يجدون قوتهم وجاهدوا للهدم بالمصاف قبالة الخطية وحاربوا مع شهوات الجسد ومع آلام النفس وكانوا يقتلون الإنسان العتيق بكل شيء . الذى ومن أجل هؤلاء وأمثالهم قال بولص طافوا وهم لابسون جلود الخرفان والمعزى محتاجين متضايقين ومضنوكين وهم لم يكن العالم مستحقا لهم . والينا أيضا صرخ قائلا أميتوا أعضائكم التى على الأرض وأيضا قال انه بضيقات كثيرة ينبغى لنا الدخول لملكوت السموات وبضيقاتنا نفتخر نحن . وهكذا أيضا أنبياء وابرار الشريعة قد قاسوا هم أيضا الضيقات المختلفة وصبروا على رباطات السجون وميتات ورجم وهكذا انتقلوا من العالم . وشارع هذا الطريق أى طريق الملكوت

ومؤسسها يسوع المسيح ربنا بالمسكنة والعوز والصوم الصعب أربعون يوماً متوالية بالجوع والعطش والعناء والتعب والاحتقار والجلد والشتائم والتعيير لأجل تعليمه المقدس وفى الآخر موت الصليب الذى هو أكثر الكل عاراً إذ تعلق عارياً بموت خلاصى تحمل تدبيره .

وحبك مع هذا كله تسأل ان كان ينبغى للإنسان أن يحفظ جميع الوصايا وأظهرت بسؤالك انها وضعت بلا فائده وأسأت الظن فى الآباء الكبار القديسين أولئك الذين كانوا يموتون كل يوم من الحنفاء وأرباب البدع وكانوا يتألمون بإرادتهم كل يوم .

أما سمعت من ربنا يسوع كيف شبه من يسمع كلامه ويعمل به وأى مثال أتى للذى يسمع ولا يعمل ؟ فهذا المعنى يعرفنا الأمر بلا تفسير وعندما سأله واحد من تلاميذه ائذن لى أن أدفن أبى ثم اتبعك فمع انه كان غرضه أن يحفظ الوصية منعه الا يمضى وقال له دع الموتى يدفنون موتاهم والآخر قال له ليس أحد يبنى برجاً ولا يجلس أولا ويحسب النفقة إن كان له ما يكمله وان لم يكن له فلا ينبغى أن يبدأ فى البنيان . أما نعلم أن البرج الذى جعله ربنا مثالا لجميع فضائل البر وتدبير الفضائل انما تجمع من حفظ الوصايا وكيف يمكننا الا نحفظ الوصايا جميعها تلك التى شرعت لنا . اذكر كلمة الرسول أيها الآب ليست الأشياء التى لك هى التى توافق بل الشيء الذى يجعل كثيرون يخلصون أعنى لا تعمل الشيء الذى يرضيك بل الذى هو حسب الوصايا الالهية وينفع كثيرين ويرضى كل واحد منا قريبه للبنيان ولا ينبغى للإنسان أن يهتم بما يخصه بل بما يخص وينفع رفيقه .

إن كنت تريد أن تكون فى السكون يليق بك أن تقبل الغرباء إذا جاءوا إليك وتغسل أرجلهم ولا تعمل الشيء الذى يرضيك بل الشيء الذى

لا تريده وأغصب نفسك وأعمله لأجل محبة المسيح كمثل أحد الآباء عندما سأله الأب مقاريوس قائلا ما هو عمل المتوحد أجابه قائلا . عمل المتوحد أن يغصب الإنسان ذاته فى كل شىء . وقد سلم لنا الآباء انه بطريقين ينق العقل بالرحمة إلى المحتاجين وبالحزن والدموع وباختصار انى رسمت لك حسب ما أدركت ليس انى أريد أن أكون لك معلماً بل لمعرفتى انك دعوتنى لهذا لمحبة المسيح سيدنا بإننا نعرف أن أساس التدابير هو الإيمان المستقيم ذلك الذى بدونه لا يقدر الانسان أن يدنو لحفظ الوصايا كما قال أحد القديسين أن اعمال الوصايا وحدها لا تستطيع أن تطهر قوات النفس ان لم يقترن معها الايمان الصحيح الموافق للوصايا .

كنت أريد أيضاً أن أرسم لك باختصار غرض الايمان وأرسله إليك لانى إذا صنعت هذا يكون ذلك نعمة دائمة لنفس إذ إن ذكر حقارتى يكون موجوداً عندك دائماً بسبب كتابتى ولربنا المجد دائماً أبدياً آمين .

رسالة للقديس أنبا فلكسينوس
كتبها لبعض تلاميذه من أجل رتب الرهبنة الثلاثة
الجسدانية والنفسانية والروحانية

يا أخى الحبيب الروحانى . ان للتجار الحكماء الماهرين فى صنعة التجارة عادة انه إذا جاءت تجارتهم باضعاف كثيرة فلأنهم لا يودون أن يتعبوا ويثقل عليهم أتعاب هموم التجارة إذ يتبدد عقلهم فى حساب العدد وكثرة الكلف فيكون ذلك خسارة فى رأس المال فانهم يختاروا الشىء الفاخر منها الذى يكون صغيراً فى حجمه كبيراً فى ثمنه مثل الجوهرة التى تسمى شمهيراير التى هى صغيرة فى ذاتها خفيفة الحمل وربحها عظيم بأضعاف كثيرة

ويتركوا ثقل كثرة الأمتعة المعروفة فى التجارة كما قال سيدنا المسيح محيينا فى الإنجيل المقدس . يشبه ملكوت السموات رجلا تاجراً كان يطلب الجواهر الكريمة فلما وجد جوهرة نفيسة الثمن مضى وباع كل ماله واشتراها . فانا يا حبيب وخليل نفسى لما تأملت مسألتك ، منها ء' ت قصد ضميرك وان كان غنى تجارتك يأتى بأضعاف كثيرة فأنت مثل تاجر حكيم طلبت منى شيئاً صغيراً فى ذاته وكثيراً فى ربحه لأنك قلت اكتب لى رسالة مختصرة على هذه المواضيع أعنى على الهدوء وعلى الجلوس فى القلاية وعلى افتقاد النعمة تعطى من رحمة الله مع اشياء أخرى ذكرتها لى يا حبيب نفسى لأكتبها اليك باختصار ولكن لتعلم يا أخى ان كنا تكلمنا على هـــذه المواضيع واحدة واحدة ولكنها كانت مجملة فى وسط الأخبار فى الرأس الذى على المعرفة فى الكتاب الأول فان الكلام على الهدوء والجلوس المتعب فى القلاية والتجارب التى تكون مع المتوحدين العمالين فى طريق هذه الفضيلة وعلى الزيارات التى تكون لهم من النعمة فى حفظ الهدوء الدائم وعلى الرتب وعلى اجزاء وقوى النفس قد أخذ منا دراسة كثيرة وقيل منا فيه ما هو كاف جداً فى كتاب الرءوس أما عن غيار حركات العقل من الرتبة الجسدانية إلى النفسانية ومن النفسانية إلى الروحانية فقد تكلمنا عليها فى الجزء الثانى من الكتاب الأول بما يكفى مثلما الهمنا الروح القدس وأظن يا أخى المحبوب انى ما تركت شيئاً يليق بالتجارة الإلهية لتملأ به سفن الأنفس الطاهرة الا ان وضعناه فى الجزئين الأولين وفى تفسير رؤوس الطوبانى وغريس الذى من قبل الروح بواسطتنا فسروا كما وأن خوف الله الذى فيك عارف بهذه ولكن من أجل انك طلبت منا هذا الصنف الصغير فى ذاته الكبير فى ارباحه لأنك قلت لى باستتار انى قد تكلمت على هذه الأنواع فى الموضع الأول

حيث لا ينتفع الكل منها الا الخيرين فقط والضعفاء جعلتهم يقفون خارج قدس القدس ثم أمرتنى يا محب الفضيلة ان أضع هذه الأنواع فى رسالة مختصرة من الربح الذى يكون لكل المنازل وأنا لما نظرت فى غلوة محبتك الإلهية وكم هى مشتهية للفضيلة طاوعت محبتك الإلهية .

أولا قبل كل شىء يجب علينا أن نضع أساساً لكلمتنا وان كنت لم تطلب هذا أى خروجنا من العالم وعلى العمل الذى فى المجمع . فحينئذ أريد الآن توضيح هذا وبعد ذلك نتكلم على الأشياء التى طلبت وترتيبهم واحداً بعد الآخر بمعونة ربنا حتى ندخل لذلك البحر العظيم الذى ليس منه عبور ونوضح تجارة كل منزلة وافتقادات النعمة التابعة لها . وأى تاوريات تتبع العقل فى كل منزلة يكون فيها .

الحركة الأولى الخروج من العالم : هذه هى النية الطبيعية الحسنة التى زرعت فى طبيعة خلقتنا من الله . ولأجل انها دائماً تتحرك فينا إذا وجدت هوى قليلا يميل نحو الحسنى فانها فى لحظة تعطى موضعا لملاك الحفظ ليتقدم إلى النفس فإذا قرب منها الملاك تكون هذه الحركة الأولى التى فيها يرى خوف الله ورعب تلك الديونة العتيدة . فيصور قدام عين النفس نعيم الصديقين وعذاب الخطاة فإذا قامت النفس فى هاتين الحالتين وهى فى حين يعذبها الخوف وفى حين آخر ينقض هذا العذاب الفرح حينئذ يحرك ملاك الحفظ فيها حركة أخرى وهى أكثر كل الحركات تحفزاً لمعرفة الوجع فتقدمها للتوبة . أعنى يصور للنفس جميع الزلات والسقطات والنقائص التى صنعت فكلما نظرت زلاتها تبغض العالم وكل أوجاعه وكل شهواته وكلما اشتد بغضها للعالم تتقوى حركات النبتة الطبيعية وبقدر ما يحمى نار الزرع الطبيعى قوى النفس تقوى تلك الحركة الملائكية ويعزيها على ذلك تجديد قيامة الموتى وتحفظ فى ذهن النفس والعقل تلك

الحالتين التى إحداهما العذاب والأخرى النعيم الذى يكون فى القيامة ومن هذا الذكر يستيقظ فى النفس حركة الخروج من العالم ومثلما تذهب الظلمة من أمام النور هكذا تذهب محبة العالم من قدام هذه الحركة التى قلت . وأيضاً ترمى فى الانسان فقرامن المقتنيات فيعطى كل ماله براً المساكين والأرامل والأيتام وهكذا تتسلط فيه هذه الحركة حتى إنها تحوجه بأن لا يبقى له قوت يوم ككلمة ربنا الذى قالها للغنى ان كنت تشاء أن تكون كاملا امض وبع كل مالك وأعطه المساكين وأحمل صليبك واتبعنى وأيضاً قوله له المجد لا تهتموا للغد فالغد يهتم بشأنه وأيضاً لا يستطيع العبد أن يخدم ربين وأنتم لا تستطيعون أن تعبدوا الله والمال وبهذا الكلام يشعل ملاك الحفظ فى الانسان محبة خالقه ومن أجل انه يشاء أن يفقره بالكل من المقتنيات فانه يطرح فيه فكر الخروج إلى البرية والسكنى مع الحيوان ثم يحضر إلى فكره اناساً كثيرين فرقوا مقتنياتهم وحملوا صليب الرب وخرجوا إلى القفر من أجل محبتهم فيه . وصار قوتهم عقاقير وعشب الأرض . لأنه لا يمكن لإنسان فى فكره خوف الله ان يخرج من العالم ان لم تتحرك فيه هذه الحركات لأنه ان لم تقع هذه الحركات فى فكر الإنسان فانه لا يستطيع أن يحل من رباطات العالم التى قد ارتبط بها كشبه سلسلة لأن ربنا له المجد لما نظر إلى الناس وكيف هم مرتبطون بالعالم ومكتفون بمقتناه قال ما أعسر دخول ذوى المقتنيات إلى ملكوت السموات وانه يسهل دخول جمل من ثقب إبرة من ان يدخل غنى إلى ملكوت الله . علم ربنا يسوع المسيح ان هذه الحركات التى ذكرت آنفا إذا وقعت فى النفس فانها تكون مثل النار التى تأكل وتبيد الحشائش وهكذا بها تقطع جميع رباطات العالم من النفس وترى العالم وجميع خيراته مثل بيت سجن مظلم وفى هذا الموضع يحارب مع الإنسان

فكر شيطان محبة الذات وكما أن حركات الندم تبرد محبة العالم من النفس هكذا فكر محبة الذات تغلبها بمحبة متاع هـــذا العالم وتصور أمام عيني الإنسان جميع نياح وشهوات ومجد وسلطان هذا العالم مثلما صنع مع ربنا حين أراه جميع ممالك العالم ومجدها في فترة من الزمان . ويصور قدامه أيضاً عار ومسكنة وغربة طريق الرهبنة ويزرع فيه أفكاراً مثل هذه . ويقول له انظر انك اليوم عظيم الشأن ورب مقتنيات كثيرة ولك مجد وسلطان وان كنت تشاء أن تعمل البر فيسهل عليك ذلك وأنت في العالم ويذكر له أيضاً أناساً صديقين كانوا في العالم وعملوا البر مثل ابراهيم واسحـــق ويعقوب والكاهن ملشيصادق وأيوب الجبار وداوود الملك والنبي ويوسوس له ويقول ألم يعمل هؤلاء البر وكان لهم في العالم مجد وسلطان وكانوا مكرمين عند الله وأنت اليوم تهوى أن تهرب من هذا العالم الذي ينعم الذين يقتنونه بكل تطويب . اثبت الآن أنت في العالم وتدبر فيه بالحق مثل أولئك الناس الصديقين الأول الذين ورثوا هذا العالم وصاروا أيضا بصدقاتهم وارثين العالم الجديد . فتشبه الآن باولئك واعمل البر أنت أيضا في العالم ولا تترك العالم وتمضي وتكون عارا وهزءا للناس الذين لم يكونوا مستحقين أن تتكلم معهم . الآن أنت تمضي وتكون لهم خادما لأن تدبير الرهبنة يطلب هذا منك ويلقي فيه الخوف ويقول من يقدر أن يكمل هذا الطريق الصعب الذي للرهبنة لأنها لا تكمل الا بالموت لأن ربنا قطع بموت الصليب على كل من يسلكها لأنها ضيقة وصعبة وقليلون هم الذين يجدونها مثل كلمة ربنا ومن السهل لك أن تثبت في العالم وتعمل البر الذي عمله الصديقون الأولون اجدى من ان تبدأ في هذا الطريق الشاق ولا تستطيع ان تكمله فتكون ضحكة لمن يراك لكن اجلس بينك وبين نفسك واحسب مراحل ونفقات

هذا الطريق وحينئذ تبدأ فيها مثلما أوصاك ربك قائلا من أراد ان يبنى برجا الا يجلس أولا ويحسب النفقة ان كان له ما يكمله لكيلا إذا ابتدأ ولم يقدر ان يكمل يكون ضحكة لكل عابرى الطريق فيستهزؤون به ويقولون ان هذا الرجل ابتدأ يبنى ولم يقدر أن يكمل وأنت كنت تخرج من العالم ولا تكمل أعمال الرهبنة فانك تقبل لعنة من الله كما قال أرميا انه ملعون من يعمل عمل الله بتهاون . انظر الآن ان لعنه قد وضعت على من يبتدأ فى هذا الطريق ولم يكملها . ويزرعون أيضافيه أفكاراً أخرىقائلين انظر الأعداء الذين فى بنى جنسك كيف ينتظرون أن تصنع هذا لكيما يرثون حقولك وغناك . فاذا امتلأ قلب الإنسان من هذه الأفكار حينئذ يقع فىقطع الرجاء وفى أفكار الشك ويقع عليه خوف كثير ويقف بين الشكوك لأنه لا يعلم أى هذين الأمرين يعمل وأى الأفكار يكمل الأولى أم الثانية .

خروج الإنسان من العالم كخروج بنى اسرائيل من مصر لأن مصر هى مثال هذا العالم مثل كلمة الآباء ومثلما أن بنى اسرائيل لما بشرهم موسى الطوبانى بخروجهم من أرض مصر امتلئوا أولا فرحاً بعتقهم من عبودية المصريين التى هى مثال رباطات هذا العالم ومن شر فرعون الذى هو مثال اركون الشر وبعد ذلك ملك عليهم خوف قطع الرجاء من كلام فرعون ومن التعب بالطين واللبن الذى كان المصريون يستعملونهم فى عمله .

من أجل انهم سمعوا أن الله عتقاً يعتقهم من عبوديتهم المرة . هكذا هو الخروج من العالم انه إذا بشر العقل الذى هو موسى من ملاك الحفظ وينبه فيه تلك الحركات التى ذكرت آنفا حينئذ يملك عليه فرح وإذا أحست الشياطين بما يشاء أن يصنع فانهم يخلعون عليه أفكاراً ثقيلة مثل فرعون والمصريين . إذ أنهم لما أحسوا أن بنى اسرائيل يريدون الخروج من مصر

جعلوا عليهم ثقل الطوب بالأكثر ولم يكونوا يدفعون لهم تبناً كما قال فرعون ليصعب العمل على الرجال ليهتموا به ولا يهتمون بالكلام الفارغ فإذا وقع الانسان فى عمق هذه الأفكار يقع عليه الخوف وقطع الرجاء وحينئذ تتحرك فيه بغتة تلك الحركة الأولى التى ذكرت آنفا أعنى خوف الدينونة العتيدة وكما أن ذلك الملاك الذى عبر فى مصر قتل كل أبكار المصريين هكذا أيضاً الحركة التى من ملاك الحفظ تزرع فى الانسان فى ذلك الوقت فمن ساعته يقتل جميع الأفكار الشريرة التى أولها فكر محبة الذات ومن ذلك الوقت يتقوى العقل من ملاك الحفظ حتى يخرج من العالم وكما أن الطوباني موسى أوصى بنى اسرائيل أن لا يأخذوا معهم من خمير المصريين شيئاً هكذا والذين يخرجون من العالم يجب عليهم الا يأخذوا شيئاً من مقتنيات هذا العالم معهم . وكما أنه كان لفرعون والمصريين سلطان أن يخرجوا خلف بنى اسرائيل إلى البحر كذلك فكر محبة الذات مع الأفكار التى قلت آنفا أن يبدد مقتنياته ويعطيها المساكين حتى لا يكون لها عليه سلطاناً وكما أن بنى اسرائيل شعب الرب لم يذهب منهم الخوف حتى رفع موسى العصا التى بيده وضرب بها البحر فانشق وعبر بنوا اسرائيل وغرق فيه المصريون هكذا الإنسان الذى أعد فكره للخروج من العالم لا يعتق من الخوف ومن أفكار الشكوك حتى يفتقر من غنى ومقتنيات هذا العالم ان كان ذلك فى الخروج الجسدانى أو الخروج المعقول

ان للإنسان خرجتين من العالم وبعدها يبدأ فى طريق الرهبنة الطاهرة لأنه ليس كل من خرج من العالم قد عتق من تدبيره لأن كثيرين خرجوا من العالم بالزى الخارجى وهم يتقلبون فى تدابيره ومن أجل هذا قلت أن الخروج من العالم يكون على دفعتين . لأنك تجد الخارجين من العالم

كثيرون وواحد من الف منهم قد عتقوا من تدابيره لذلك خروج بنى اسرائيل من مصر يصور لنا مثال الخرجتين وكما ان العامود كان قائماً بين المصريين والاسرائيليين فكان يعطى نوراً لبنى اسرائيل ويسكب ظلاماً على المصريين هكذا ايضا ملاك الحفظ يلقى النور على العقل ويسكب الظلام على اركون الشر وعلى جميــــع افـكاره التى تولد منه . لأنه كلما استنارت عينا النفس فى الخروج من العالم كذلك تذهب من النفس محبة الذات وهكذا إلى ههنا ينتهى حد الخروج المحسوس من العالم الذى هو مثال مصر ونبدأ الدخول فى المجمع الذى هو مثال التعب الذى فى البرية وقبول الشكل الوديع الذى للرهبانية التى هى المجمع .

ان مثال المنزلة الجسدانية هو تعب البرية . لأن كثيرون يقولون بغير معرفة ان المنزلة الجسدانية هى مثال العمل التعب الذى للعالم ولم يعرفوا ماذا يقولون ولا أى شىء يمارون عليه . لأن المنزلة الجسدانية هى الطهارة التى يكمل فيها حفظ الوصايا التى هى شبه تعب بنى اسرائيل فى البرية وهذا هو أول ما يجب عمله فى بدء خروجنا لتدبير الرهبنة وكما أن الذى لم يأخذ بعد شكل الرهبانية الطاهرة لا يدعى راهبا بل علمانيا هكذا الذى لم يبتدىء للآن فى تدبير الفضيلة لا يقال له انه ابتدأ فى الدرجة الجسدانية وكما أن بنى اسرائيل مدة مقامهم فى مصر لم يكن عمل المصريين المتعب يدعهم ينظرون نحو الله وهكذا الذين هم فى دهشة هذا العالم لا تدعهم مشاغلهم الغالمية يرفعون عيونهم وينظرون نحو الله فيبتدئون بالمنزلة الجسدانية كما قال الله للطوبانى موسى أمض قل لفرعون ليرسل شعبى ليخدمنى فى البرية . فلو علم الله ان بنى اسرائيل يقدرون أن يفعلوا هذا فى مصر ما كان قد قال لموسى الطوبانى أمض اخرج لى هذا الشعب إلى البرية ليخدمنى هناك فان

كان هذا الأمر هكذا فلا يمكن للعالم بأتعابه أن يجعلنا ننظر نحو الله ونبتدىء بالمنزلة الجسدانية التى هى المجمع التى يتبعها الطهارة التى هى دون موضع النقاوة . ومن اجل أن قدسك يعلم ياسيدى اننا قد أفرزنا بين الطهارة وبين النقاوة وكيفيتها فى أخبار كثيرة مسكنا عن هذا ونحن قبالة الذين يقولون ان المنزلة الجسدانية التى فيها يقتنى الطهارة هى منزلة تعب هذا العالم الذى ذكرناه يكفى .

فلنعد الآن إلى النص الأول ونبتدىء بعمل البرية التى هى شبه عمل المجمع فالفضيلة الأولى التى تجب على الذين يقبلون هذا الشكل الطاهر هى الاتضاع الذى منه تولد الطاعة التى هى أثمار الروح كما قال السليح التى منها يتولد جميع الحسنات أن الطاعة تولد من الاتضاع كما قال الرسول بولص الطوبانى ان ربنا وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب . وكما أن الموت قد دخل بواسطة قلة طاعة آدم وهكذا دخلت الخطية على جنس البشر هكذا ان طاعة الحق تعد لمن يقتنيها جميع الأفراح والنعيم الروحانى والطاعة التى هى بنت الاتضاع ليست ان يصنع الإنسان ما يشاء ولكن هى بالحقيقة عمل الذين يعملون فى المجمع وهى أن يقطع الإنسان جميع هوى نفسه ويعمل هوى الذى ائتمنه على نفسه يعنى الآب الروحانى دفعة واحدة وان كان القلب لا يشاء من أجل كثرة أهوية الجسد التابعة له . فان كنت تصنع الذى تهواه ولا تصنع الذى يصعب عليك عمله فلست بذلك ترى طاعة ولكنك تعمل هواك . فخذ لك مثالا للطاعة الحقيقية أيها الأخ الذى تعمل فى برية المجمع وتهوى أن ترث أرض الميعاد التى تنبع العسل واللبن لساكنيها كما صنع يشوع بن نون وكالب بن يفنيا اللذان أطاعا الطوبانى موسى العظيم ومضيا كأمره وجسا أرض الميعاد ومن أجل طاعتها

الحقيقية ورثا وحدهما أرض الميعاد من دون ستمائة ألف رجل خرجوا على يد موسى من مصر واولئك الذين لم يطيعوا هلكوا هناك فى البرية وتبددت جثثهم . انظر الآن ايها الأخ المطيع العمال فى فلاحة المجمع الذى يشاء ان يتزود البركات والصلوات من اخوته الروحانيين ويخرج ويسكن فى القلاية التى هى شبه ارض الميعاد . تشبه بيشوع ابن نون الذى أطاع الطوباني موسى . وكما غار شعب بنى لاوى وطهروا ايديهم للرب كل انسان بأخيه وابن قبيلته لما اخطأ اسرائيل وترك عبادة الله ربه وسجدوا للعجل . انظر ايها الأخ المطيع إلى الطاعة الكاملة التى لم تغلب قط حتى من الرحمة الطبيعية لكن كان كل انسان يقتل اباه وابنه واخاه بالرمح الذى بيده ومن اجل هذه الطاعة الحقيقية سمعوا ذلك الصوت الممتلىء بهجة انكم اليوم طهرتم ايديكم للرب . ومن اجل هذا رفع الرب غضبه عن شعبه . هكذا وانت ايها الأخ المطيع ان كنت ترى طاعة وانبساطا لآبائك واخوتك الروحانيين دائماً فانك عوض ان تسمع ذلك الصوت المحسوس القائل انكم اليوم طهرتم ايديكم للرب فانك تسمع الصوت غير المحسوس وهو يطهر نفسك بحلول الروح القدس وكما ان بيت قورح وداثان وابيروم من اجل أنهم لم يطيعوا موسى واغاروا لجماعة الرب على موسى عبده فتحت الأرض فاها وابتلعتهم وصاروا خوفا لكل جماعة الرب . هكذا ايضاً كل الذين يبتدئون بعمل المجمع وليس فيهم الطاعة التى هى بنت الاتضاع تفتح ارض الرغبة المقفولة فاها وتبتلعهم ويكونون خوفاً ورهبة لكل الذين يعملون الفضائل ويظهروا الطاعة لآبائهم واخوتهم الروحانيين .

ان جميع الذين لا يطيعون لا بد أن يتسلط عليهم وجع الرغبة ومحبة الملذات من أجل مولد جميع الفواحش ويتسلط عليهم بالأكثر الكسل

اعنى الذين لا يقطعون هواهم من أجل الله . لأن اقامة الهوى هى علة جميع الأوجاع السمجة كما قال الآب اشعياء ان جميع ما يكرهه الله يسكن فى قلب المجاوب والممارى وغير المطيع .

ان للطاعة اكليل مضاعف فانظر أيها الأخ المطيع ان الشياطين يحسدونك ليردوك إلى مصر ويزرعون فيك أفكاراً شريرة اعنى اللوم الذى يطرحونه فى قلبك على ذلك الذى تظهر له الطاعة مثل جماعة اسرائيل التى كانت تصنع اللوم والقمقمة على صفى الله الطوبانى موسى لما كانوا يرذلون أكل المن ويشتهون الأكل الحقير الذى للمصريين أعنى الثوم والبصل وقدور اللحم التى فى مصر . كذلك أنت يا أخى الحبيب المطيع الذى فى المجمع احترس لأن أفكار قلة الطاعة الرديئة تحارب معك وتريد أن تمنعك من ذلك الفرح الذى يولد لك من الطاعة التى هى شبه المن الذى أكل منه بنو اسرائيل فى البرية الذى منه تتقوت نفوس الاخوة المطيعين الحقيقيين اعلم وانظر واحترس يا اخانا الذى يعمل فى برية المجمع ان حيات كثيرة فى البرية تلك التى تلدغ أفكارك اعنى بذلك الشتم والعار والهزء والقمقمة والخصومة والنميمة التى تلقى عليك الظن السيء والظلم من الشياطين ومن بنى جنسك . يجب عليك أن تحتمل ثقل عمل المجمع . فإن شئت ان تتخلص من تلك الحيات التى تلسع عمالى المجمع فاعمل كما عمل بنو اسرائيل اولئك الذين اطاعوا الطوبانى موسى وكان كل من تلسعه الحية كان يقوم فى باب مضربه وينظر إلى الحية التى صلبها موسى على رأس الجبل وكل من كان يكمل الطاعة وينظر اليها كان يشفى من مرارة لدغ الحيات . وانت أيضاً يا أخى المطيع أن لسعتك إحدى الحيات التى قلت عنها آنفا فاشخص بنظر ضميرك إلى ربنا يسوع المسيح وهو معلق على عود الصليب من أجل طاعة

وبذلك تشفى من مرارة الحيات العقلية الملقاة فى قلبك كما قال الطوباوى الرسول السليح . لننظر إلى رئيس ايماننا ومكملنا يسوع إذ انه من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصلب وجسر على الفضيحة وجلس عن يمين كرسى الله . أرأيت كيف قال أولا انه احتمل الصلب وحينئذ ارتفع إلى مجد العظمة وأعطاك بهذا شبها ان كنت لا تحمل لسع الحيات الرديئة فانك لا تستحق ان تدخل أرض الميعاد وأما كيف يجب لك أن تنظر اليه إذا لسعت من الحيات فاسمع باختصار .

إذا شتمت فانظر واعلم انه أيضاً شُتم من أجلك ودعى مجنوناً وسامرياً وان كانوا يعيرونك ويستهزئون بك فانظر إلى مخلص الكل كيف كانوا يستهزئون به ويعيرونه ويتفلون على وجهه ويسقونه الخل والمرارة وكانوا يقرعون رأسه بقصبة فان كان يلسعك فكر المجد الباطل من أجل فضيلة عملك فاذكر الكلمة التى قالها انه إذا عملتم جميع ما أمرتم به فقولوا إننا عبيد بطالون انما عملنا ما يجب علينا وان كان أخوك يصغر فى عينيك من أجل مناقصة انظر اليه كيف كان يحرص على الخطاة والعشارين ليردهم إلى معرفة الله أكثر من الصديقين غير المحتاجين إلى الرجوع . وان كانت تغصبك الأوجاع الطبيعية والشياطين فانظر اليه وهو ممتد على الصليب ويداه ورجلاه مسمرتان بالمسامير ورأسه منخفض على الصليب وبهاء وجهه متغير بصفرة الموت فادرس هذه فى قلبك فتبرد منك مرارة سم الحياة لأن يسوع قريب لك بصليبه اكثر من حية النحاس للعبرانيين لانه مساكن فى قلبك ويضىء فى مثوى نفسك الخفية بنور وجهه البهى وكلما أظهرت أنت الطاعة بعمل الفضائل يظهر هو حسنه لنفسك ويملك عليك الفرح والبهجة وإذا توانيت عن عمل الفضائل فانه يحجب نور حسن وجهه البهى من مسكن قلبك الخفى

ولا تتنعم نفسك باسراره الحسنة . احذر لا تثبت فى ملاجحة اقامة الهوى وتبقى مرارة لسع الحيات العقلية داخل قلبك وتموت موتاً عقليا من الحياة الحقيقية مثل اولئك الذين ماتوا فى البرية الذين هزئوا بكلمة الطوبانى موسى ولم يطيعوه لينظروا إلى حية النحاس .

ويجب على الاخوة الذين فى المجمع ان يضيفوا على الطاعة والاتضاع اقتناء هذه الفضائل : الصمت وحفظ اللسان من الكلام السمج ونظر منخفض ومشية مرتبة وتهوين بالذات وثوب واحد حقير والفقر حتى لا يكون لهم إلا ما يستر عورة الجسد فقط مثل كلمة ربنا القائل لا تقتنوا ذهبا ولا فضة ولا ثوبين ولكن يكفيكم واحدة لحاجة الجسد وافضل من كل شيء فلتكن لكم المحبة الخالصة لتقتنوا بها انفسكم بالأكثر وتتخلصوا من البغضة والحسد بعضكم لبعض لأن هذه تحفظ الشاب من بعد الله من خوف عماليق الذى يشاء أن يصنع الحرب مع اسرائيل ويردهم إلى مصر . بل أعدوا انفسكم أيها البنون الأحباء وحصنوها بالصوم والسهر الدائم والامتناع من المآكل المختلفة والنسك الذى هو ام الفضائل ولا يذهب عقلكم من مسكن ذكر الله مثل يشوع خادم موسى الذى لم يكن يتغيب من مسكن قبة الزمان وإذا حاربكم عماليق ولم يدعكم تدخلوا ارض الميعاد بعد موسى فاتخذوا المسيح فى عقلكم ويشوع بن نون بعده أى روح القدس فتقلبون العدو المقاتل لكم بقوة ومعونة انبساط يدى موسى اعنى صلاة الأب الروحانى فتردونه إلى موضعه المظلم وتعبرون الأردن وترثون مدينة النخيل .

فيجب على الذين هم بعد قائمون فى حرارة الشباب وفى المجمع الذين يعملون فى كور التجربة التى فيه تصنع فضائل الرتبة الجسدانية انهم إذا

أرادوا النوم لا يضطجعوا على الأرض بل إذا أرادوا أن يخطفوا قليلا من النوم فليناموا وهم جلوس أو قيام على أرجليهم ولا يعطوا موضعاً للنوم ليأتى عليهم بكثرة وليذكروا نسك الطوبانى مقاريوس القديس أنه مدة عشرين سنة لم يشبع خبزاً ولا نوما مثل ما قال ان خبزى كنت آكله بميزان ومائى كنت أشربه بالكيل وكنت أخطف قليلا من النوم وظهرى مسنود إلى الحائط وهكذا كنت أستيقظ وأى أجر صار للطوبانى مقاريوس من هذا النسك الصعب أعنى أنه صار إلهاً ثانياً على الأرض بين الناس لأنه مثلما ان الله يظلل على الشعب هكذا كان هو أيضاً محتملا نقائص وضعف البشر وأنا أيضاً أعرف أخاً واحداً أنه فى حين اثنتى عشرة سنة كان يعمل فى حفظ الرتبة الجسدانية انه لم ينم على أحد جنبيه ما خلا فى علة مرض الذى لا يوضع عليه قانون صعوبة . وأنتم أيضاً أيها الأخوة الذين يهوون أن يقتنوا الطهارة التى هى كمال المجمع وأثمار الرتبة الجسدانية احفظوا هذه جميعها تلك التى قلتها سابقاً واصنعوها بحذر ولتثبت عندكم ولا تشكوا فيها .

انكم متى تحفظتم هذا الاحتفاظ وأنتم بعد فى المجمع فان ربنا يضىء بنور معرفته فى قلوبكم ويكشف لكم أسرار وأفهام معرفته وان كان جسدانياً . وكما أن بنى اسرائيل الذين تقلبوا فى البرية أربعين سنة بالرغم من خطاياهم لم يمنع الله عنهم حراسته وكلامه الدائم معهم على يد عبده موسى وتارة يخرج لهم ماء من الصخرة وتارة يصنع لهم مناً من العلاء وفى حين آخر كان يرسل إليهم طيوراً من البحر وحينما كانوا يخطئون كان يؤدبهم بالضربات المختلفة أعنى بذلك الشعوب التى كانت تحارب معهم والحيات التى كانت تتسلط عليهم والنار التى كانت تخرج وتحرق المعاندين مثل أولئك الذين قدموا النار الغريبة فخرجت النار من مباخرهم وأحرقتهم

ومثلما صار لقورح وداثان وأبيروم هؤلاء الذين فتحت الأرض فاها وابتلعتهم . ومثل الموت الذى تسلط عليهم من أجل خطية زمرى ابن سالوا الذى قتله فنحاس بن هارون مع بقية الضربات الأخرى التى كان يؤدبهم بها الله حينما كانوا يخطئون . كذلك أولئك الذين يعملون أعمال المجمع وبحرص يحفظون الوصايا التى ذكرتها التى هى فلاحة الرتبة الجسدانية يفتقدهم الله دائماً بنعمته أعنى يفرحهم بفلاحة أعمالهم وتارة ينعمهم بفهم المعرفة الموضوعة فى الكتب وتارة يفرحهم بثقة غفران خطاياهم وفى حين بموهبة الدموع إذ يعطيها لهم بلا كيل ولكن ليست هذه التى يسميها آباؤنا أرض الميعاد لان تلك تعطى للذين هم قيام فى الرتبة النفسانية ونحن مزمعون أن نتكلم عنها إذا وصلنا موضعها .

ان هذه الدموع التى تعطى فى الرتبة الجسدانية هى تلك التى قال عنها القديس امونيوس وهو يدعوها الحرارة الأولى لأنها دموع مخبلة . هذه تكون يا حبيب نفسى مع المبتدئين فى الرتبة الجسدانية ولكنها لا تثبت كثيراً مع الاخ ففى حين يكون فيها الفرح وفى حين آخر تعود إلى الحزن لأنها تتحرك من هذه العلة أعنى تتولد من فرح الاعمال وتلد سبحاً باطلا أو من ذكر الخطايا المتقدمة فتلد الكآبة ومن اجل هذا دعا القديس امونيوس هذه الحرارة الأولى المختلفة بالمخبلة لأن فرحها يولد سبحا باطلا وحزنها قطعا للرجاء .

ولهذا وفى هذا الموضع ينبغى ان يكون هناك مهد حكيم ليرتب فرحة هذه المبتدئ بالاتضاع ولحزنها القاطع الرجاء بمواعيد الرجاء التى بالتوبة نحو غفران الخطايا . لانه اذا لم يكن للأخ مرشد فى هذه الحالة فالشياطين تحوله بالسبح الباطل او يفسدون عقله بالخيالات التى يصورونها امامه

او يرمونه بالحزن والكآبة وقطع الرجاء ويردونه إلى مصر الشر .

انى اقول لكم يا احبائى المبتدئين الذين يعملون فى المجمع فى الرتبة الجسدانية كل واحد منكم إذا ما اعترته إحدى هذه الغيارات فليسرع إلى مرشده ان كان يعلم أنه حكيم وليقل أمامه جميع أفكاره وتغييراته لكى يعطيه مشورة حسنة ليسلك بترتيب فى تلك الطريق وليحذر أن يعدل عن مشورته يميناً أو شمالا لئلا تفتح أرض قلة الطاعة فاها وتبتلعه مثل أولئك الأوقاح الذين لم يطيعوا الطوبانى موسى ففتحت الأرض فاها وابتلعتهم . وأنتم أيضاً يا اخوتى الذين اؤتمنتم على هــــداية اخوتكم انظروا إذا أتاكم انسان من أولئك الذين فى هذه المنزلة واستحقوا هذه الغلوة المخبلة انظروا أية مشورة تعطونها له لكيلا تقولون له شيئاً يضادد مرضه بقلة معرفتكم وهكذا بمشورتكم يعود إلى مصر الشر وتبتلعه أرض قطع الرجاء ويطلب الله دم نفسه من أنفسكم مثلما طلب دم نابوت اليزرعيلى من آخاب وسفك دم ازابل بدله . ولكن أنتم أيها الأولاد الذين اؤتمنتم على هذه الخدمة والتدبير الروحانى إذا أتاكم احد الأخوة العمالين الذين فى هـــذه الرتبة وذكر امامكم احد هذه التغييرات التى ذكرتها فى البدء اعرفوا اى مشورة تدفعون له عنهــا . فان كان ذلك هو غيار غلوة الفرح فاقمعوهم بالاتضاع وزيدوهم تعب الصوم الدائم والتقشف وسهر الليل مع سجدات متضعه امام كل احد وهم يسبقون بتأدية السلام لكل انسان مثلما تكلم اباؤنا الروحانيون . وإذا اعطيتموهم هذه المشورة الحسنة علموهم ان يخفوا ما يظهر لهم ولا يكشفوا اسرار الفرح التى تكون عندهم امام كل احد فيجعلوا عثرة للآخرين وبذلك يجعلوا المجرب يجربهم قبل ان يقبلوا القوة من العلاء تلك التى تحارب عن العمالين مع القوات المضادة . بل ما داموا

فى هذا التغيير ازرع فى قلوبهم كلام الاتضاع والطاعة والخضوع مع المحبة والخيرية لأن من يحفظ هذه تحفظه نعمة ربنا والذين يتهاونون بها يقبلون دينونة بقلة طاعتهم ويقعون فى تجارب عظيمة وانتم تخلصون من اللوم . بل انظروا اياكم الا تعلموهم الحق من اجل العلل الغير واجبة فتعاقبون من ربنا القائل قد كان يجب ان تضع درهمى على مائدة وانا كنت آتى وآخذ مالى مع ربا . وهكذا يكفى ما قلته على تغيير حرارة الفرح الذى فى هذه المنزلة .

ولنقل الآن على تلك التى تكون من دموع الكآبة . فانه إذا صار تغيير هذا الفرح مع الإنسان زمانا ما حينئذ يأتى بعده تغيير وجع دموع الكآبة التى تجفف النفس وتجعلها مثل الحجر ولو لم تقصر تلك الأيام التى تكون فيها هذه لم يكن يعيش كل ذى جسد . كما قال الحكيم ان الرجل الحزين تيبس عظامه . وأنتم يا مرشدى الأخوة إذا أتاكم أخ عمال ومعه هذا التغيير اعلموا انه إذا ثبت معه كثيراً فهو يقوده إلى قطع الرجاء لذلك يجب علينا نحن الذين استحققنا هداية الاخوة ان ندفع لمن يسألنا على هذا مشورة مريحة أعنى أن نزرع فى قلوب اخوتنا الآتيين الينا من أجل رجاء التوبة والمواعيد التى وعد بها ربنا فى بشارته على غفران الخطايا انه إذا أخطأ الانسان سبعون مرة سبعة مرات فى اليوم فان الله يغفرها له برحمته وذلك بفكر واحد من ندامة النفس . وامـلأوا قلوبهم فرحا بمواعيد الله على رجوع الخطاه وباليمين الذى حلف الله على يد حزقيال انه لا يشاء موت الخاطىء بل ليتوب عن ضلالته ويحيا . لأنه بعد ابتدال هذا الحزن يكون عند النفس افتقاد النعمة . أعنى بذلك ان نار محبة الله تشتعل فى قلب الإنسان فيصلب نفسه ليلا ونهاراً بأعمال الفضيلة أعنى الصوم والسجود الدائم أمام

الصليب وإلى هنا يصل إلى نار محبة الفضائل حتى انه يهوى أن يتدبر فوق جميع طبيعة الجسد بل انتم أيها المرشدون اجعلوا لهم قانون التدبير بقياس مدينه لكيلا يكثروا ويسرقوا فتبرد حرارة محبتهم واذكروا بنى اسرائيل إنه من كان يتعدى وصية الطوباني موسى وكان يجمع له فاضلا من المن فى البرية كان ينتن وينفس من الدود وأما الذى كان يحفظ كلمة الرب التى كانت تقال على يد الطوباني موسى ويجعل له قوت يوم فانه كان يتقوت منه كذلك انتم أيها الاخوة المطيعون الذين يعملون فى هذه الخدمة الروحانية احفظوا كلمة فم الرب التى تقال لكم على أفواه ابائكم الروحانيين ولا تتعدوا وصيتهم وتجمعون لكم حسنات زائدة فتنتن نفوسكم بوجع السبح الباطل بل كل ما يقوله لكم المرشد الذى ائتمنتموه على انفسكم فلتؤمنوا انكم تسمعونه من فم الله فتعينكم نعمة الله . أما تلك الحرارة الأولى التى هى المسجسة المخبلة فهى مشاركة مع وجع الزنا ويجب علينا ان نقول كيف ذلك .

إنه إذا صار تغيير هذه الحرارة مع العمال ولم يكن له دليل حكيم وتبطىء عنده زمانا كبيراً فحينئذ يقبل أفكار السبح الباطل ويعمى افراز عقله وحينئذ تتغير حرارة محبته للفضائل بحرارة شهوة الزنا فيبدأ يحترق قلب العمال كما بالنار ولأن وجع الزنا يخفى نفسه بشبه آخر ولم يظهر نفسه علانية من أجل ان الشهوة اختلطت بالشهوة والحرارة بالحرارة والمحبة بالمحبة وهكذا لا يعرف العمال ان يفرز بين محبة الفضائل والمحبة الأخرى التى اخفت نفسها بشبه الفضيلة وأوجدت نفسه فى لجة الحيرة . ولم تحسن افراز ذاتها لأنها أخذت شبه الخراف الوديعة وهى بالحقيقة ذئب خاطف ومن أجل هذا دعيت هذه الحرارة مسجسة مخبلة .

آه ما أصعب افراز هذا الموضع فهنا يظهر ثبات معرفة المعلم الحكيم فانى قد ابصرت كثيرين ظنوا انهم فهماء وحكماء وعثروا فى هذا الموضع عثرة صعبة ووقعوا وقعة بلا قيام وبقلة معرفتهم أيضاً أهلكوا انفس كثيرين من معرفة الحق من أجل انهم لم يعرفوا كيف يفرزون بين الحق والضلالة وإذا أتى اليهم إنسان من العمالين الذين معهم غبار هذه الحرارة فانهم يرفعونه إلى فوق وينفخوه بالسبح الباطل ويقولون له انك من الآن قد وصلت إلى الرتبة الروحانية أو يفرقوه بعمق قطع الرجاء قائلين له انك ضال من الشياطين وهذه الحرارة أى حرارة الفضائل هى من الشياطين لأنه كم من مرة من فعل حرارة تغير هذه الحرارة يكون مع الأخ سيلان المنى فى نوم الليالى بلا ذكر وجع الزنا وكما يشهد إنسان من الآباء القديسين قائلا ان الباب الذى يدخل فيه محبوا الطهارة هو اشتعال شهوة الزنا من غير وجع القتال من يفهم فليفهم . يعرف هذا القديس انه ان كان للمرشد افراز فيفرز بين الشهوة والشهوة وفى هـــذه الحرارة يصل العمالون إلى الطهارة التى هى كمال الرتبة الجسدانية ويعطى للعقل نظر ذاته ولأجل هذا قال المعلم الحقيق ان هذه الحرارة هى الباب الذى فيه يدخل العمالون إلى الطهارة . ويعلم انه لا يقدر كل أحد أن يفرز هذا الموضع كالذى قال من يقدر ان يكمل فليحل بدل قوله من كان يفهم فليفهم . ليفرز بين شهوة الزرع الطبيعى لشهوة الزنا بلا وجع القتال من أجل فعل هذه الحرارة بجعل الانسان ان يشاء التدبر فوق طبيعة الجسد كما قلت .

انه قد كتب عن ابى محس القصير انه لما وصل إلى هذه الحرارة قال لأخيه كنت أهوى ان أكون بلاهم مثل ملائكة الله الذين ليس لهم هم واحد من هذه الهموم التى على الأرض وفى هذه الحرارة لم يطع مرشده

بل ألقى ثيابه عنه وخرج إلى البرية ولما لم يستطع ان يصنع غير المقدور عليه رجع إلى أخيه .

ان الشيطان يطغى كثيرين فى هـــذه الحرارة فيخرجهم ليجلسوا فى الوحدة حتى إذا أطاعوه وخرجوا من أجل قلة سمعهم لآبائهم تنطفىء منهم تلك الحرارة التى من الزرع الطبيعى وتتسلط عليهم حرارة شهوة الزنا ومن أجل هذا قلت فى البدء أنه يجب على التلاميذ ان يطيعوا معلميهم الروحانيين ان كانوا حكماء بالمعرفة وأبطال فى افراز الطريقين ولـكن الويل المعلمين غير الحكماء بافراز الطريقين ويخرجوا عليهم اسم الابوة ويكونون مرشدين لاخرين قبل ان يعدلوا أوجاع انفسهم لـكى انهم نظروا ضياء قليلا فى انفسهم فانتفخوا بالسبح الباطل والظن وابتـــدأوا أن يـكونوا مرشدين لآخرين . الويل لهم لأنهم يطالبون من ربنا ويأخذون نقمة وحكما عادلا على قلة معرفتهم ودمار أنفس تلاميذهم . وكذلك التلاميذ غير الطائعين فانهم يأخذون نقمة من ربنا لقلة طاعتهم وبطلان كلام معلميهم لـكن طوبى الرشد الحكيم الذى يحفظ الرتبة حتى يأذن له الروح لهداية آخرين ان يقبل من ربنا اجرة عمله تلك الطوبى التى قالها محيينا أيها العبد الصالح والأمين كنت امينا على القليل انا اقيمك على الـكثير ادخل إلى فرح سيدك والطوبى الأخرى التى قالها ربنا طوبى للعبد الذى يأتى سيده يجده يصنع هكذا . امين أقول لـكم انه يقيمه على جميع أعماله .

طوبى ايضا الإنسان المطيع انه يقبل أجر طاعته أى البركات والصلوات من آبائه الروحانيين كمثل يعقوب الذى أطاع والدته وقبل البركات من ابيه وألبسه سلاح الدعاء والبركات ثم أرسله إلى حاران بعصاته وكسائه وقارورة زيت فقط ومن أجل طاعته استراحت بركة أبيه على رأسه وعاد

إليه بقبيلتين وغنى كثير . وهكذا أيضاً يوسف الذى صار مطيعا لأبيه قد قبل البركات وصار كملك فى أرض مصر واعطى نصيباً زائدا فى أرض الميعاد أكثر من اخوته من أجل طاعته .

كذلك انتم ايضا ايها الاخوة أظهروا الطاعة لآبائكم الروحانيين فتقبلون البركات وتلبسون سلاح الصلاة منهم مثل يشوع بن نون الذى أطاع الطوباني موسى ودخل وارثاً أرض الميعـــاد التى تنبع اللبن والعسل للذين يرثونها .

ومثلما أن يشوع بن نون وكالب بن يفنيا قد كان لهما نصيباً فى دخـول أرض الميعاد وحدهما من دون ستمائة الف رجل وذلك من أجل طاعتهما لانهما حفظا كلمة موسى وكملاها كقول الرب وكذلك كل ذلك الشعب اضمحل فى البرية من أجل قلة طاعتهم الطوباني موسى . هكذا الذين يكونون غير طائعين فانهم يكونون غرباء عن الهدوء والراحة التى لجلوس القلاية تلك التى هى مثال أرض الميعاد والرتبة النفسانية التى فيها يقتل العقل سبعة الاوجاع التى كانت متملكة أرض الميعاد قبل أن يعبر اسرائيل الاردن . ولكن أنتم أيضاً يا اخوة إظهروا الطاعة والنشاط فى عمل المجمع التعب لكى إذا ما تعبتم فى البرية وأظهرتم الطاعة الحقانية وقطعتم كل اهويتكم فان كل الافكار الشريرة تموت من قلوبكم تلك التى تريد ان ترجعكم إلى مصر الشر . فإن كنتم تظهرون الطاعة الحقيقية فى عمل المجمع فانكم تعبرون الاردن وترثون ارض الميعاد التى هى الطهارة وان كنتم لم تظهروا طاعة ساذجة بغير فحص تموتون من معرفة الله مثل ذلك الشعب الذى كان يغضب الله إذ اشتهى خضروات مصر ولم يطع وصية الله فمات كلـــه فى البرية ولم يدخل لارض الميعاد . وهكذا انتم ايضا يا اخوتى الذين يعملون فى المجمع

اميتوا جميع الافكار التى دخلت معكم من مصر إلى البرية عمـــل الرتبة الجسدانية . حتى إذا ماتت تلك الافكار التى من العالم وتبيد وتضمحل من انفسكم فانه يولد بدلها افكار مستقيمة التى هى من الزرع الطبيعى وهى اثمار الطهارة وحينئذ ينتقل موسى الذى هو العقل من هذا العالم الى عند الرب اعنى من النظر المحسوس ومن الذى يفهم الاشياء الروحانية محسوسة لان هذا هو زمان فيه يعبر شعب الرب الاردن ويحارب مع الشعوب الغرباء السكان فى ارض الميعاد . اعنى بذلك انه قد كمل زمان عمل المجمع فيخرج ويجلس بالوحدة فى القلاية التى تصور شبه ارض الميعاد ويتحارب مع السبع قبائل السكان فيهـا حتى يصل الى النقاوة التى هى كمال الرتبة النفسانيـــة .

الأوجاع التى تقاتل الذين هم فى المجمع هى هذه : المماراة . إقامة الهوى قلة الطاعة ـ الكسل ـ الكلام الفارغ ـ قلة الحياء ـ الكذب ـ الحواس غير المرتبة ـ الاهتمام الزائد عن حاجة الجسد ـ التهاون ـ العين الحسودة كثرة النوم بلا قدر . وأشر من جميع الأوجاع التى ذكرت هو المزاح والضحك غير المرتب واتساع البطن ووجع الزنا الذى يفسد شعاع أنفس الذين يطاوعونه كل هـذه الأوجاع تحارب الذين يتعبون فى برية المجمع ويتمنون أن يقطفوا ثمرة الطهارة التى هى كمال الرتبة الجسدانية ويتحاربون مع الشعوب القريبة حتى إذا غلبوهم بقوة ومعونة ربنا يقبلون البركات والصلوات من آبائهم مثل يشوع بن نون الذى قبـل الروح بوضع يد الطوبانى موسى وعبر الأردن ودخل وورث أرض الميعاد . كذلك أيضاً التلاميذ الحقيقيون الذين يعملون عمل مخافة الله فى المجمع يقبلون البركات والصلوات من آبائهم ويعبرون الأردن الذى هو حد الرتبة النفسانية

ويرثون أرض الميعاد ويقتاتون من خيراتها التى هى أفهام وأسرار المنزلة النفسانية ويستحقون الجلوس التعب وهدوء القلاية الذى يصور مثال أرض الميعاد التى بها يعطى الهال فهم وأسرار العوالم التى كانت والتى تكون وفيها يقبل الأسرار والاستعلانات على الكل .

والآن ياحبيب إذ قد وصلنا عبر الأردن الذى هو الخروج من المجمع والجلوس فى القلاية بترتيب المنازل أى العبور من الرتبة الجسدانية إلى النفسانية وقد واصلنا القول من ابتداء خروج الإنسان من العالم إلى انتهاء عمل المجمع الفاضل وأفرزنا بين الذين يقومون فى الرتبة الجسدانية وبين الذين لم يقيموا فيها إلى الآن من أجل علة الناس القائلين بقلة معرفتهم ان جميع بنى العالم هم قيام فى الرتبة الجسدانية والآن أعود إلى طلبتك منى أيها الحبيب عن الجلوس فى القلاية وعلى تدبير العمل التعب الذى فيها وأى فضائل يجب أن تكون على الذين يجلسون فى القلاية هذه التى بغير توان يكملونها وأى اتقادات تكون لهم من النعمة وأى أسرار من المعرفة تظهر لهم وما هى الأوجاع التى تحارب معهم فى صبر هدوء القلاية وأى حروب صعبة من الشياطين تكون معهم وبعد صبرهم على الأوجاع والحروب لأى رتبة يصلون وقلت أيضاً أن افرزلك بين منزلة ومنزلة وأجعل فيها علامات وآتى لها ببراهين من الكتب المقدسة هذه جميعها طلبت منى أيها الحبيب فمن أجل انى نظرت نفسك خارجة فى طلب اصابات جدد فى محبة الله هوذا ابتدىء فى تكميل طلبة محبتك بمعونة ربنا آمين .

هذا هو الزمان الذى نعبر فيه الأردن وندخل أرض الميعاد ونحارب سبعة الشعوب السكان فيها ونربط ملوكهم بسيور من حديد ونرث مدنهم وقلاعهم ونتقوت من خيرات هذه الأرض أعنى اللبن والعسل الذى هو

نظر التاوريات ومعرفتها لأن بنى اسرائيل عبروا الاردن مرتين وحينئذ دخلوا أرض الميعاد لانه فى المرة الأولى عبروا الأردن مثل جميع الناس ولم تظهر قدامهم آية ولا أعجوبة من أجل أن الطوبانى موسى كان يدبر الشعب هناك .

كان عماليق يحارب مع اسرائيل فى ذلك المعبر وكان يهوى أن يرد إلى البرية لـكيلا يدخل ويرث أرض العمالقة وهكذا العبور الاول يصور مثال الرتبة الجسدانية التى لم يظهر فيها آية ولا أعجوبة والتى فيها لا يفرز العمال من جميع الناس وان كانت تدابيره مفرزة مثل الشعب الاسرائيلى الذى كانت تدابير نواميسه مفرزة من كل الشعوب لـكن معرفته مساوية لـكل الناس . كذلك كل الذين هم فى الرتبة الجسدانية وان كانت تدابيرهم مفرزة من كل الناس لـكن معرفتهم هى جسدانية مثل كل الناس . أما هذا العبور الثانى للأردن الذى عبره بنى اسرائيل الذى فيه ظهرت الآية العجيبة التى بها دخلوا أرض الميعاد فهى تصور مثال الرتبة النفسانية هذه التى بها تفرز معرفة العقل من الناس .

فلندع الآن التـكلم عن الرتبة النفسانية يا حبيب نفسى ونتكلم أولا على الجلوس فى القلاية كما قد وعدنا محبتك وحينئذ نمسك رتبة المنازل ونتكلم عنها كما ينبغى .

إذا كمل الراهب العمال عمل المجمع التعب باتضاع وطاعة وصبر على كل ملامة تأتى عليه من قوم آخرين وكمل قانون المجمع كما يجب حينئذ يؤذن له من آبائه بالروح أن يخرج إلى القلاية التى هى الجلوس التعب فى الهدوء ويفرز يوماً واحداً ويجعله عيداً روحانياً لجميع آبائه واخوته الروحانيين لـكيما يلبسونه سلاحاً روحانياً بصلواتهم ويحارب مع الشعوب الغرباء

السكان فى أرض الميعاد . مثلما ان الطوبانى يشوع بن نون من أجل طاعته للطوبانى موسى جعل الأخير يده على رأسه وباركه لكيما يدخل ويرث أرض الميعاد . كذلك أيضاً كل الذين يعملون فى المجمع عمل الاتضاع والطاعة تحل عليهم قوة إلهية بالطلبات والصلوات التى تكون عليهم من كل المجمع الطاهر الذين هم أباؤهم واخوتهم الروحانيون فى اليوم الذى يصنعون فيه عيد تقديس القلاية . وكما أن يشوع بن نون لما عبر الشعب الأردن قال الله له لتعمل يوم لعيد الختان لكيما بختان اللحم تختن قلوبهم من كل فكر العمل التعب الذى كان فى مصر . وتلبسهم قوة إلهية لكيما يتحاربون مع الشعوب السكان بأرض الميعاد . كذلك أيضاً كل الذين يخرجون حديثاً ليجلسوا فى القلاية بعد كمال المجمع يتناولون تلك الذبيحة الحية التى هى جسد المسيح ودمه الذى يقرب عنهم . فيلبسون القوة الإلهية ويحاربون أوجاع الخطية .

لا يظن انسان من أولئك الكسالى الملتويين أنه من أجل سهر التقديس الذى يصنعه الأخ فى القلاية يجد راحة فيها دون أن يتمم خدمة المجمع بالكمال باتضاع وطاعة لأبيه واخوته الروحانيين . حاشا أن توجد راحة فى القلاية دون ان تتم خدمة المجمع وليذكر من يقول هذا عاكر الذى اختتن مثل جميع اسرائيل ولم ينفعه ختانه شيئاً لأنه لم يحفظ كلمة فم الرب وصار آية ورعبة لجميع بنى اسرائيل وكذلك الذين يعملون فى المجمع ولا يتمونه كما ينبغى اذا خرجوا إلى القلاية فانه تجمع عليهم تل حجارة افكار شريرة وتطرحهم القلاية خارجا منها ويكونون غرباء لجميع تدابير الروحانية وجميع خيراتها .

يجب على الذى يخرج جديداً ليجلس فى القلايه أن يحفظ السكون الدائم والا يكون له دالة بالجملة مع إنسان وان يبعد من الجنس والقرابة

ولا ينظر فى النهار خارجا عن باب قلايته ما خلا من صعوبة أو مرض هذه التى ليس عليها ناموس . والذى يهوى أن يذوق الأثمار الحلوة التى للهدوء فى السنة الأولى التى يجلس فيها فى القلاية لا يخرج خارجا عنها ويكون صومه وسهره برتبة وقياس أعنى صوم إلى المساء ويسهر فى الليل نصفه والنصف الآخر لراحة جسده مثل كلمة الطوباني انبا اشعياء .

لا تشره على الاعمال الصالحة أيها الأخ الخارج مستجداً إلى القلاية لئلا تضحك بك الشياطين لأنها كثيراً ما ترفع الراهب الذى يخرج إلى القلاية فى السنة الأولى لأنها تعلم إنه إذا طاوعهم الاخ فى السنة الاولى ويصنع هواهم بأعمال زائدة فانهم يفسدون جسده ونفسه . أما جسده فبالامراض وأما نفسه بأوجاع السبح الباطل ويوقعونها فى هوة وجع الزنا لان الجسد اذا لم يقتن تربية بالاعمال يوما فيوما فإنه يفسد وتلتابه الاجاوع والامراض حتى يقع فى يد أولاد جالينوس وتعمل فيه الشياطين كل اهوائهم الشريرة من أجل ذلك قلت ان الصوم والسهر والقراءة تكون فى السنة الاولى برتبة وقياس لانه اذا زادت هذه الاعمال فان الجسد يفسد ويضعف قبل أن يتدرب بها لان الصوم يضر المعدة والكبد والطحال والسهر يجعل الالم بالساقات والكلى والقراءة بغير قياس تفسد العقل وتسبب الالم فى العينين لان وعاء الفخار متى صنع إذا لم يوضع فى النار ويطرح فيه الماء فهو يفسد أما اذا شبع من حمو التجربة التى للنار فان وضعت فيه أى شىء فانه لا يفسد ان كان ماء أو خمراً أو زيتاً . وهكذا الجسد اذا أنت وضعت عليه اعمالا فى البدء قبل ان يتعود أتون القلاية فى السنة الاولى كلها فانه يفسد ولا يصلح للأعمال . فاذا تعود فى الاعمال زده كلما تطلب ان كان صوم الاسابيع أو سهر الليالى أو قراءة

بغير انقطاع ليلا ونهاراً فان الجسد لا يمرض لانه تعود على ذلك . لان المعدة قد تعودت والمخ قد رق من الحمية الزائدة والعينان قد استنارتا والكبد والطحال قد اقتنيا عادة بشرب الماء ولا يتعبا من عدم الدم لان طرق الدم قد رقت وتطلب بقياس فقط والكلى قد اقتنت حرارتها الطبيعية ولا تطلب حرارة أزيد والساقان قد نقص بلغمهما ومن اجل خفة الجسد فانهما لا يتعبان ولا يتألمان من السهر الزائد . طوبى للذين يفلحون بالمعرفة فى السنة الاولى والوسطى والاخيرة لانهم كلما يريدون اعمال الفضيلة فان جسدهم يطلب زيادة وكلما صنعوا الاعمال فان عقولهم تستنير وتصبح اكثر دقة ونفوسهم تتسع . والويل لقلة المعرفة لانها اذا ازهرت بأعمال ذبلت واذا طلبت ان تفرح يتبع فرحها الحزن والكآبة وقطع الرجاء واذا ظن المرتبط بقلة المعرفة ان عقله يضىء بالنور ونفسه تتسع بأعماله فان عقله قد كثف وغلظ ويمتلىء قلبه ظلاما وتصغر نفسه ويعمى افرازها من السبح الباطل الذى يملؤها أفكاراً شريرة . لأن المعرفة هى كلها نور وقلة المعرفة هى ظلام . فان اقتنى الجسد ترتيبه بالأعمال فليس هناك مانع من أن يقيم مدة أيام بلا قوت لأن الجسد إذا عصر بأعمال النسك زماناً كبيراً فإن الاوجاع والامراض لا تتسلط عليه الا ان كان يخلى من الله بيد الشياطين المردة مثلما صنع الشيطان بالطوبانى أيوب لانه لما لم يجد فيه موضعاً للشر ضرب جسده من قدم رجليه إلى رأسه ولم يترك فى جسده موضعاً صحيحاً وقد ثبت هذا الطوبانى بوداعة وبلا استرخاء من صبره ومحبته لله .

وهكذا ياحبيب نفسى الذين يسلكون فى الطريق المستقيم ويعملون وصايا محيينا وتعبت اجسامهم بأعمال النسك فانها لا تمرض من الأعمال

حتى زمن الشيخوخة التى لا بد منها . فالطريق الخفيف إلى الملكوت التى سلمها إلينا آباؤنا هى الصوم من المساء إلى المساء بحيث لا يملأ الإنسان بطنه لأن البطن الممتلئة يتبعها أمراضاً وأوجاعا وثقل النوم ذلك الذى يتبعه احلاما ومناظر مخيفة قذرة التى يسير وراءها شيطان الطياشة وأشر من هذه جميعها قطع الرجاء والكآبة والحزن . هذه التى تفسد رتبة العقل وتعمى إفراز النفس . وإن صام الانسان بعد أن يتعود بالأعمال يومين يومين أو ثلاثة ثلاثة أو الأسبوع كله فانه لا يوضع عليها ناموساً بل كل إنسان فليدبر نفسه وحياته كما يشاء . ولكنه يجب أن يعمل ذلك بمعرفة وبمشورة المعلمين لأن كل من يعمل بغير مشورة فهو يلاكم الهواء ويكون عمله كله بغير ثمرة كما قال الكتاب ان الحكيم يستشير ويعمل والجاهل يمض على وجهه . لأن كل فضيلة لا تعمل بمشورة العلماء تشبه خابية مثقوبة كلما يسكب فيها يعود إلى الهلاك . فطوبى لمن يستشير ويعمل لأنه قبل أن يعمل الفضيلة يتنعم عقله بثمار معرفتها .

فى السنة الاولى التى يجلس الاخ فيها فى القلاية ليكمل بين الليل والنهار مزامير داود ولا يزيد ولا ينقص منها وبعد ذلك فله الحرية أن يزيد أو ينقص كما يشاء على قدر العلل التى تصادف الاخ . ويجب علينا ان نقول كيف يخدم . وإن كان الآباء القديسون قد ذكروا ذلك .

إذا جاء الصباح فليغسل يديه ويصنع سجدة أمام الصليب ليجمع أفكاره من الطياشة ويحمى قلبه بنار محبة ربنا ويتخشع لربنا بدموع وحرقة ويقول « يا الله اجعلنى مستحقاً أن يتنعم ذهنى بأفهام أسرار ابنك الحبيب الوحيد يا ربنا اكشف غطاء الأوجاع المسدول على وجه عقلى وأشرق نورك الطاهر فى قلبى ليدخل ذهنى داخلا من الجسد المادى الظاهر وانظر بعين نفسى النيرة

الأسرار الطاهرة المخفية فى بشارتك . غطيني يارب بنعمتك واجعلنى مستحقا برحمتك أن لا يذهب ذكرك من قلبي ليلا أو نهاراً .

فإذا اجتمعت أفكارك أيها الأخ العمال بخشوع وتعب وطلبة من أجل هذا قبل الصليب وخذ الانجيل بيديك وأجعله على عينيك ومر به على قلبك وقف أمام الصليب على رجليك ولا تجلس على الارض . وكل اصحاح تقرأ فيه اجعله الوسادة وتمرغ أمامه عشرة مرات وأنت ترفع الشكر إلى الذي جعلك مستحقا ان تدرس وتقرأ فى السر الذى كان مخفياً من الاجيال ومن كل القبائل كـكلمة الإلهى بولص . ومن هذه السجدة المعقولة والشكر الذي لا يستطيع ان ينطق به ذو لسان كما هو مكتوب طوبى لمن استحق تلك الاثنين المبهجتين وتلك الفضيلتين فإن عملل قد صار مع ميخائيل وغبريال .

بالحقيقة انى اعرف انسانا من الاخوة انه فى بعض الايام بينما هو متمرغا امام الانجيل المسجود له ويداه وعيناه مرفوعة نحو السماء إذ بقلبه يفتح بغتة ويمتلىء نوراً لا ينطق به واستحق تلك السجدة المعقولة وذلك الشكر . وكان ذلك الاخ يقول امامى انى اقمت يومين ولم آخذ قوتاً ولا نمت نوما وسبي فكرى من العالم ومن جميع ما فيه وكان يقول انى علمت ان ذهنى ارتفع فقط وانى اعلم انى نظرت وسمعت واما ماذا نظرت وماذا سمعت فلا يسوغ لى ان اقوله امامك لانها اسرار لا ينطق بها لسان لحم ولا يكتب بقلم ولا بمداد لانها عربون تلك الطوبى التى لا ينطق بها التى يعطيها الله رب الـكل بعد قيامة الاموات تلك التى كان الطوبانى بولص يتعجب وينظر اليها ويقول ما لم تره عين وما لم تسمع به اذن وما لم يخطر على قلب بشر ما اعده الله للذين يحبونه . فاذا قرأت فى الانجيل أيها الاخ

العمال وتأخذ منه تلك البركة التى تطهر نفسك والروح القدس المخفى فى كلام ربنا يسوع المسيح المحيي حينئذ أقرأ فى رسائل بولص الرسول وأعمال الرسل حتى تأتى الساعة الثالثة وأنت تصنع كما صنعت فى سجدة الإنجيل لأنه كم من مرة من قراءة هذه توجد لك تلك الجوهرة الممتلئة حياة التى ذكرتها قبلا فإذا بلغت الساعة الثالثة فقف أمام الصليب واجمع أفكارك من فهم القراءة التى قرأت وأصنع مطانية وتخشع لربنا بوجع ودموع ليعطيك فهم تزمير الطوبانى داؤد وإذا ابتدأت بالمزمور فلا تتعجل على كثرة المزامير بل على فحص الفهم المخفى فيها. إذ ليس فى هـــذا خسارة ان اشتغل العقل بكلمة واحدة سبعة أيام وسبعة ليال لأنه قد قيل لآبائنا القديسين ان كلمة واحدة فى القرب أخير من ألف كلمة فى البعد فانظر يا أخى إذا خدمت فاجعل عقلك يرتل بفهم المزامير وفمك ينطق حسيا لأن الترتيل المحسوس باطل دون ذلك المعقول لأن المحسوس ما هو إلا علة للمعقول وكما أن الجسد هو علة النفس وهو سابق لها فى الخلقة كذلك الترتيل المحسوس هو علة لذلك الترتيل المعقول. لأن هنـاك حكماء يدعون أنفسهم بالمصلين يقولون بقلة معرفتهم اننا لا نحتاج إلى ذلك الترتيل المحسوس لأن لنا ترتيل معقول واننا نرتل بالقلب وبالفهم وقد قالوا ذلك لأنهم ضربوا بسموم ريح السبح الباطل وقد كان يجب على هؤلاء الحـكماء البله ان كانت النفس تستطيع أن تحيا بدون الجسد أو ان كان للإنسان قدرة على القيـام بجزء واحد فقط. فإن كان هذا غير مستطاع فان هؤلاء الأشقياء لا يستطيعون أن يرتلوا بذلك التقديس المعقول دون الترتيل المحسوس. فان كان الإنسان لا يستطيع أن يتقوم بدون جسد ونفس سواء كان فى هذا العالم أو فى العتيد فكيف يقولون هم بهواهم أن لهم ترتيلا معقولا دون الترتيل

المحسوس ولكن ما حاجتنا الآن الى مقاومة هذيان أولئك ونضع الكلام من أجله فلنصمت الآن .

فإذا اكملت أيها الأخ صلاة الساعة الثالثة مثل القانون والعادة التى وضعها لنا آباؤنا خذ كتاب الآباء واقرأ فيه إلى الساعة السادسة وإياك ان تبطل ذهنك من هذيذ الأفهام المعقولة ولا تعطى موضعاً للسانك المحسوس ليسبق بقراءته لقراءة لسان ذهنك المعقول . بل رتب الاثنان ليمشيا بمساواة واحدة ويكون لك القانون الأول من لحظة إلى لحظة فتضع الكتاب وتقع أمام الصلب وتنظر إلى ربنا وتقبل رجليه الطاهرتين فى علامة الصليب . افهم ماذا أقول لك فانى لست أقول عن ذلك النظر الممجد الذى هو ليس محتاجا إلى الحيل وإلى علامات لأن الوحدانية بغير واسطة تضىء فى قلب قابلها ولكن انما أنا اتدرج مع الضعفاء لكيما بصليب ربنا يستحقون تلك النظرة الممجدة التى ليس لهـا شبه .

من الساعة السادسة الى الساعة التاسعة اعمل عمل يديك ان كان عندك ولا تترك قانون المطانية واياك ان تتشره على عمل اليدين وتترك ذاك لكن كمل قانون المطانية مع العمل لأن آباؤنا الروحانيون يحسبون عمل اليدين الذى يعمله الاخ بمخافة الله فى القلاية كمثل أحد الفضائل بحيث لا يتشره عليها تلك التى هى أم جميع الشرور . وإن كان آباء آخرون قالوا انه لا ينبغى عمل الأيادى فلم يقصدوا بذلك ان يحلوا نواميس الذين تقدموهم لكن من أجل وقوع اولئك الذين من أجل عمل اليدين كانوا يكملون وجع شرهم . لأن آباءنا الروحانيين جعلوا عمل اليدين مثل قانون محدود وحسبوه كأحد الفضائل اسببين الأول لأنه يخفف عن الأخ الثقل إذا جاء عليه فى القلاية مثل ما حدث للطوباني مار انطونيوس فى البرية إذ لما ضاقت به من أفكار الملل

أتاه صوت من السماء قائلا « انطونيوس اخرج إلى الخارج فخرج» ونظر رجلا يشبهه وهو يضفر الخوص وكان يضعه ويقوم ليصلى ثم يجلس ثانية ويضفر وقال له ذلك الذى دعاه اصنع هكذا فتحيا . والعلة الثانية التى من أجلها ينبغى الأخ عمل اليدين هى انه من عمل يديه يعد قوته ويعطى أيضاً منه صدقة لآخرين لئلا يجد مجالا الخروج من قلايته بسبب العوز فيسبب له ذلك اقتناء الدالة مع العلمانيين فيمتنع من الجلوس فى هدوء القلاية فيكون له من هذا سقطة ليس لها قيام . لأن الشيطان أطغى كثيرين بفخ هـــذا الموت المهلك وذلك لأنهم لما لم يعملوا بأيديهم جعلوا موضعاً لدخول وخروج العلمانيين عندهم وليس الرجال فقط بل والنساء أيضا ومن أجل هذا مُنعوا من تنعم هدوء القلاية ذلك الذى يصور شبه العالم الجديد . فسخرت بهم الشياطين وتعبدوا لأربعة أوجاع شريرة التى هى وجع الزنا ووجع الشره والسبح الباطل والحسد . وقد وجدت هذه الأوجاع كلها عند الذين تركوا الوصية التى وضعها آباؤنا بالروح القدس ومضوا خلف اهويتهم الشريرة . أما أنا فمثل ضميرى اشير على من يطيعنى بمحبة ان تجعل لك عمل اليدين الذى تتممه بين الساعة السادسة والتاسعة مثل قانون محدود ولست أقول لك أن تصنع هذا من أجل الشره حاشا بل لتمنع عن نفسك تلك الشرور التى ذكرتها قبل . تلك التى تتولد من البطالة . وانى لست أضع ناموساً للكاملين هؤلاء الذين عملهم هو فوق حفظ الناموس بل أقول لاولئك الذين هم دون الـكل الذين فى الرتبة الجسدانية والنفسانية اذ ينبغى لهؤلاء أن يهتموا بعمل اليدين لأن اولئك الذين وصلوا إلى الرتبة الروحانية لا يحتاجون إلى هذا فانهم لا يضرهم ان كان قوتهم من قوم آخرين .

من الساعه التاسعه إلى المساء فليهتم بقوته كما قال آباؤنا الروحانيون بذكر الله من كل القلب مع قانون المطانية التى ذكرت من قبل . فاذا بلغ وقت المساء فقم باهتمام قلب ويقظة أفكار تامه وارفع الشكر لله على حسن انعامه الذى معك طول النهار . وليكن لك تحفظ بافكارك فى هذه الساعه أكثر من كل الساعات الاخرى لأن محرقة المساء التامة كانت مقبولة عند الله أكثر من كل ذبائح الناموس كما وان داوود الطوبانى قال ان رفع يدى ليقبل أمامك كقربان المساء لأن الله قد خصص هذا القربان فى الناموس من اجل خوف الليل لأنه هو الذى يحفظ الإنسان من خوف الاعداء طول الليل وأنت أيضا يا أخانا العمال قاتل أفكارك لترفع هذا القربان أمام الله بطهارة لتلبس منه سلاحا لا يغلب قبالة الاعداء طيلة الليل . وإذا خدمت المساء مثل العادة فضع المائدة امام الصليب وارفع الشكر لله وليأخذ جسدك قوتاً محسوسا ولتتقوت نفسك قوتاً روحانيا . وانظر لئلا تمنع نفسك من قوت الروح بسبب القوت المحسوس وتكون مائدتك مثل الحيوان لا يصعد منها شكر الله . فالإنسان الذى يقيت جسده ونفسه ممنوعـــه من الغذاء الروحانى لا تفرز من البهيمة . وليكن قوتك متضعا غير مصنوع بأطمة كثيرة . واذا جلست على المائدة فاذكر اعداء الليل فيمتنع فكرك من زيادة الاطعمة . ولا تعطى جسدك قوتا زائدا بل لا تعطه حتى كفافه ايضا . لان آباءنا يقولون ان أتون بابل ليس أشر علينا من الجسد اذا أخذ غذاء زائدا ولكن اقعه بمأكول حقير وبشرب الماء . لكيما اذا ابتدأ البابليون بان يقيدوا نار أتون الجسد بالاوجاع الطبيعية تقوم من أجل يقظة الصوم حنانيا وعزاريا وميصائيل أعنى بذلك العقل والفهم والضمير الذاتى الملقين بأتون الجسد فيصلون لإله ابائهم ايرش ندى سهولته أعنى ان قوة

معونته الإلهيه تحل على الجسد والنفس فتطفىء نار الاوجاع الطبيعية البابلية وبذلك يشرق على شدراخ وميشاخ وعبدناغو نور قدس محبـــة مخلصنـا ويمتلئوا فرحا وبهجة من أجل انهم لم يتركوا عنهم عبادة إله ابائهم ويسجدوا للصنم الذى صنعه بختنصر الذى هو اركون الشره .

واذا أخذت القوت مثل العادة فكمل القانون الذى بعد المائدة مثلما وضع الآباء القديسون وقانون القراءة والمطانيةمن الصباح الى المساء يكون مثلما ذكرنا قبلا واجز الليـــل كله بسهر ويقظة الجسد والنفس ولتقسمة ثلاثة أجزاء واحد للمزامير والسجود والثانى للقراءة والثالث لهذيذ الفهم والأصوات الموضوعة الشجية الحلوة والتسبيحات الموضوعة بالروح القدس لتكون لك تعزية طول الليل فالراهب الذى يسهر من العشاء الى الصباح بيقظة الضمير يشبه ملائكة النور أولئك الذين يقدسون دائماً بسر التقديس المثلث الذى للعالم الجديد فطوبى للراهب الذى استحق لتلك التطويبات التى لا ينطق بها التى تعطى للذين دعوا انفسهم لتجارة سهر الليالى لانه ليس راهب يعمل الليل كله بالسهر ولا تكون افكاره فى النهار سابحة فى خيرات العالم الجديدلأن سهر الليل يقمع اوجاع الجسدو يدقق حركات النفس ويملأ مخادع العقل الداخلية نوراً ويجعل شيطان الزنا والرجز تحت رجليه . وكل من له سهر فى الليل فليس له قتال مع الشياطين فى النهار لانه غلبهم بيقظة سهره فى الليل ومن ليس له سهر فى الليل يكون معه حروب وقتال من شيطان الطياشة فى النهار لان ربنا يسوع لكى يكون لنا مثالا فى كل شىء اخبرنا عنه الرسول انه كان يقضى الليل كله فى الصلاة لله لاجل خلاص جنسنا وقد كتب عن بولص الرسول انه كان يجلس من المساء الى الصباح متكلما بكلمة الله مع المؤمنين وقيل ايضاً عن ذلك البطل الشجاع

انطونيوس انه كان يقضى ليال كثيرة الى الصباح بلا نوم وقال بلاديوس من اجل ارسانيوس انه كان يجعل الشمس ورائه ويمد يديه الى السماء وهو يصلى حتى كانت الشمس تشرق فى وجهه لان جميع الآباء القديسين تعروا من الانسان العتيق ولبسوا الجديد الذى كله نور بهيج ينظر مخلصنا والطوبانى داؤد كان فى كل ليلة يحم سريره بدموعه متضرعا من اجل خطيته كما قال انى فى الليل كله احم سريرى وبدموعى ابل فراشى . انظر ايها الاخ العمال لا تبطل من تلك السبعة صلوات الموضوعة بواسطة آبائنا القديسين .

من أجل حفظ حياتنا إلا بسبب المرض الغير موضوع تحت القانون لئلا تسلم فى أيدى الشياطين يتركهم لأن ملازمة جلوس القلاية يطلب منك كال الساعات . لأن من يتهاون بخدمة الساعات فباطل جلوسه فى القلاية إذ أنه يعمل لأوجاعه فى الليل والنهار والذى يهتم باكمال صلواته فإن الله يهتم به ويحفظه من الشياطين ويعطيه تنعم خيرات راحة القلاية .

انظر يا أخى لئلا يأتى عليك الملل فتبطل ساعاتك وذلك من أجل كثرة المزامير لأنه ليس من الحكمة أن تتعبد لنواميس العبودية وتضع على نفسك قطعية كثرة المزامير . فيلحقك الملل ولا يدعك تقوم وتتوانى عن خدمتك وذلك من أجل عظم الثقل . بل قد أعطيت الإرادة بإذن الروح القدس حتى مزمور واحد وترتيل واحد أعنى انك لا تخليه ولا تهمل ساعاتك . وان عرض لك شيطان الملل ولا يدعك تقوم أغصب نفسك من أجل الله وقم على رجليك وقل سبحوا الله يا جميع الأمم إلى آخره وقل المجد للآب والابن والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين وقل قدوس الله اصنع مطانية قدام الصليب فتقبل ذبيحتك أمام الله . لأنها

دين عليك فاذا دفعت ديناراً قبل منك واذا دفعت درهما واحــدا أخذه منك بفرح وإذا دفعت فلسا فى وقته يفرح به مثل دينار كامل لكن احرس أن توفيـه ولو القليـل من دينه وهو لا يحاكمك على النقص والزيادة . لأنه اذا لم يجد فيك توان فانه يعطى الأجرواحداً وهو بغزارة محبته الواحدة التى ليس فيها أخذ بالوجوه أظهر لنا هذا المثال بنفسه اذ أعطى اجرة كرمه الطاهر لذلك الذى دخــل كرمه فى الساعة الحادية عشر كمثل ذلك الذى فلح فيه من الصباح الى المساء وحمل ثقل النهار وحره لأنه ان كان العملان يتفاوت أحدهما عن الآخر إلا انهمامتساويان باستعداد الرغبة وليس على قدر العمل لأن ثم من يعمل من الصباح الى المساء ولكن ضمير عمله لا يوافق هوى رب الكرم مثل الذين طردهم من مسكنه قائلا لماذا تدعونى يارب يارب وانتم لا تصنعون ما أقوله . وشبههم أيضاً برجل جاهل بنى بيته على الرمل . فينبغى لك أيها الاخ أن تهتم بالصغار بلا توان ولا بالكبار بدون رغبة مستقيمة وهوذا أنا أيضاً أقول لك قصة حدثنى بها أحد العلماء اذ أنه قبلها بذاته عن تجربة ولم يقبلها من آخرين . لانه قال هكذا : انى فى بعض الزمان وأنا جالس فى القلاية قام على شيطان الانحلال الملعون ولم يدعنى أصلى لا فى الليل ولا فى النهار واقمت سبعة أيام وأنا ملقى على الارض من شدة الثقل الموضوع على حتى انه لم يدع ذكر الله يطلع على قلبى ولم اكن اعلم شيئاً سوى كثرة الافكار الباطلة المنتنة فلما اقمت هذه الايام فى ذلك العمل التعب قطعت رجاء حياتى وكنت اقول لفكرى ان الاصلح لى المضى الى العالم من ان أظل على شكل الرهبان وليس لى شىء اصنعه سوى الكسل والافكار الباطلة وقطعت رجاء حياتى وعلمت من كل فكرى ان المضى الى العالم ينفعنى اكثر من ثباتى فى الدير فلما عزمت على جمع حاجيات قلايتى سمعت صوتاً يكلمنى مهتدياً وقال لى

لا تمضى الى العالم بل اثبت فى قلايتك وصلى بكل صلاة بهذا المزمور سبحوا الرب ياجميع الامم . ولما وقع هذا الصوت فى اذنى قمت وصليت كمثل العادة . وابتدأت بقراءة هذا المزمور ثلاثة أيام ولم اكن اشبع من قراءته لا ليلا ولا نهاراً . وانى سمعت هذا من ذلك الطوبانى وقاله أمامى وكان يقول لى ان هذا القتال يأتى من الله كأنه تخلية لكيما يجرب ميول الإرادة فينبغى الآن للذى يكون معه هذا القتال ألا يترك قلايته وينتقل منها . بل يثبت فيها ولا يخرج منها ولا يبطل إحدى تلك الصلوات السبعة الموضوعة بالروح القدس على يد آبائنا الطوباويين المجتمعين بنيقية وبواسطة ذلك اليسير الذى يغصب الأخ نفسه ويصلى به يفتح ربنا أمامه ذلك الكنز الذى ليس لموهبته كيل لأن القتال الأول الذى يكون مع الأخ فى القلاية هو شيطان الملل والرخاوة فإذا غلب من هذين الشيطانين فانهما يسلمانه إلى يد ثلاثة شياطين أخر أولئك الذين يضعونه فى قرار جحيم قلة المعرفة أعنى أولا شيطان التنقل الذى يطيش فكر الراهب من مسكن إلى مسكن ومن دير إلى دير ومن جبل إلى جبل . هـــذا هو الشيطان الذى قال عنه مار أوغريس الذى يحوط بالنفس من الساعة الثالثة إلى الساعة العاشرة ولو لم تقصر أيام هذا لم يحيا كل ذى جسد . وإذا طاف بعقل الراهب هذه المواضع كلها حينئذ يسلمه إلى شيطان كبر البطن ويشير عليه أن يأكل للشبع لكيما يقوى على سفر الطريق . فاذا أكثر الغذاء فان شيطان الانحلال يأتى عليه بثقل كثير ويغرقه بنوم ثقيل وإذا دخل الأكل إلى المعدة فانه يعطى رائحة كرائحة القبر ومن هذه اللحظة يسلمه شيطان كبر البطن وشيطان الانحلال إلى شيطان الزنا حيث يمثل أمامه خيالات سمجة حتى ينجس جسده بالسيلان الذى يسيل منه من علة الشم الكثير الذى فى الجسد من ثقل الأغذية

الكثيرة فيفسد رتبة العقل بمثالات المناظر والخيلات المخيفة وإذا استيقظ يصور أمامه المناظر والخيالات والفنطسات المنتنة التى أراها له فى الحلم فاذا كمل عمله كله فانه لا يدع الأخ أن يدنو إلى مزمور واحد ولا إلى قراءة ولا حتى ذكر الله لأنه يأخذ ويعطى مع المثالات الوثنية التى يصورها أمامه فإذا أكمل كل عمله هذا حينئذ يتقدم إليه شيطان الرجز الملعون ويملأه بالرجز ويقيده بالغضب قبالة كل الأخوة الذين فى المسكن وقبالة المدبرين من انهم لا يدبرون بالحق وانهم انما يصنعون كل شيء بأخذ الوجوه وليس من أجل الله . ويقول ما الحاجة فى أن يحتمل الإنسان هـــذه الخسارة الشريرة بل يلتقل من ههنا من أجل أنه لا يوجد ههنا انسان صادق المحبة مع صاحبه ولكن جميعهم يقومون بالمكر مع بعضهم البعض وإذا نظر شيطان الرجز الملعون ان الأخ قد تعبد لهذه كلها فانه يبتعد عنه ويتقدم اليه شيطان التنقل ذلك الذى ذكرته من قبل ويكمل فيه كل هواه ويطوف به جميع المواضع التى كان قد أظهرها فى أفكاره من قبل وفى هذه الدورات الكثيرة يضع شيطان الزنا أمامه عثرات كثيرة وان كان للأخ قوة كلام الحكمة فان شيطان السبح الباطل يكمل فيه كل شهوة هواه وان كان من اولئك الساذجين بالكلام فانه يخرج عليه اسم البر وفى هـذا يكمل فيه جميع شهواته الشريرة .

ويعذب الأخ فى دوران هذا الطريق شيطانان هما شيطان الزنا وشيطان السبح الباطل وإذا توهه شيطان الدوران فى كل موضع ولم يجد له نياحا مثل رجاه حينئذ يبعد عنه هذا الشيطان ويقبل اليه شيطان الحزن والكآبة ويعذباه حتى يصل اختناق النفس ويذكراه بجميع العثرات والواقعات التى نالته ويسلمه هذان الشيطانان إلى يد شيطان قطع الرجاء فإذا أتعبه هذا كما

يشاء حينئذ يشير عليه بافكاره قائلا انك لست تحصل من الرهبنة الا اسماً كاذباً فقط ذلك الذى يؤدى بالذين يقتنونه إلى البوار لكن عد إلى العالم. فان طاوعه الأخ ورجع الى العالم حينئذ يبغض تدبير الرهبانية ويرده الشيطان فى مرار كثيرة من ايمان الحق الى ضلالة قلة المعرفة.

انظر يا أخى من اين ابتدأ التهاون القليل الذى لشيطان الملل والى أين أخذ الكال برخاوة الهوى ومن أجل هذا قلت فى البدء انه ينبغى للذين يكونون معهم تقال الملل هذا ان يغصبوا إنفسهم من أجل الله تعالى ويقولون ولو مزموراً واحداً ويسبحون ذلك الإسم المحبوب الذى للآب والإبن والروح القدس ثلاثة مرات ويقولون قدوس الله بكمالها ويصنعون السجدة للطلبة فاذا صنعوا هكذا فان هذا القتال يعبر عنهم بمعونة ربنا وان قوى عليك هذا القتال أيها الأخ وسد فمك ولم يدعك تصلى ولا مثلما قلت فى البدء. اغصبْ نفسك وقم على رجليك وتمشى فى القلاية وانت تقبل الصليب وتصنع أمامه مطانية وربنا يعبره عنك بنعمته.

سمعت أيضاً يا أخى من ذلك الفم الصادق الذى لا يكذب انه قال لى انه فى بعض الأيام قام على شيطان الملل هذا وقبض لسانى ولم يدعنى اصلى لأنه وضع رأس حملا ثقيلا وثقل جميع اعضائى بالمرض ولما كنت فى هذه الصعوبة عصبت نفسى وقمت وأنا غير قادر على الصلاة لأنه لم يمكننى من ذلك لكنى كنت اقبل الصليب واصنع أمامه مطانية ولما ثبت على ذلك لحظة بسيطة زجر بقوة الصليب وترك لسانى وابتدأت امجـد الله وكنت أتلو كلمة كلمة من مزامير داوُد. وكلما كنت احتمل تلك الصعوبات الشاقة الموضوعة على كان يذهب ويضمحل أمامى. ونظرت بغتة شبه راحة يد قد أخذت من رأس شبه حجر ثقيل وفى تلك الساعة خف عنى ذلك الثقل

وامتلأت فرحا وبهجة لا ينطق بها وصار جسدى مع نفسى نوراً ساطعاً ذلك الذى لا يستطيع أن يصفه ذو لسان لحمى ودمت اثنين وثلاثين يوما فى فرح وزيادة ذلك النور الطاهر ولم أكن أجلسْ على الأرض لا فى الليل ولا فى النهار لأنى لم أكن أعلم ان كنت فى هذا العالم ام لا وكنت قائماً مثل السكران . هــــذا قل سمعته من ذلك الفم الصادق وقاله أمامى وقال لى ما دام معك شيطان الملل هذا فلا تخرج من قلايتك ولا تترك ساعاتك ولو كنت تقوم على رجليك فقط أو كنت تصلى فقط بقلبك فالله الذى يرى صبرك يرسل لك قوة ويملأ قلبك فرحا . وهوذا أنا يا حبيب نفسى قد هذا فى الرسالة كما طلبت منى لـكيما إذا كان معك هذا الحرب تثبت داخل قلايتك ولا تخرج منها خارجا وأيضاً كل الذين يقفون على هذه الرسالة فليحذروا من شر هذا الشيطان لأنه ابتداء كل الحروب وهو يفتح باباً لـكل الشياطين رفقته . فان كنت تعبر يا أخى داخل القلايه فى الوقت الذى يحاربك فيه هـذا الشيطان فأنت تغلبه بقوة ومعونة ربنـا لأن اباءنا الروحانيين لما اجتمعوا بالروح القدس اقروا جميعهم انه ليس قتال أقوى من أن يترك الإنسان قلايته وينتقل من أمام جنون الملل فاذا ما غلب هذا فكل البقية تضعف بسهولة وأما الذى لا يقتنى صبراً مثل حجر المـاس أمام هذا الشيطان بل يتركه وينتقل من قلايته فكل وجع يقاتله يغلب أمامه .

وهناك شيطان آخر يقاتل مع الأخ فى جلوس القلاية الهـادىء الذى يلقبه العلماء مركب المغنى وهذا يقاتل الأخ العمال بطريقتين فالقتال الاول هو انه يركب الاغانى التى للضلالة تلك التى تدرج لوجع الزنا وهكذا يخطف نفس الاخ بــــلذة نغماته حتى ان النفس تكاد تترك الجسد الذى هو بيت

مسكنها و تنتقل منه لو لم تسندها قوة الله . فأى كلام سمج ينبه نار الزنا ولم يركبه هذا الشيطان الملعون فى اغانيه الذى اذا وقع فى اذان الاخ يشتعل قلبه كمثل نار بوجع الزنا . يا ربنا يسوع المسيح برحمتك بطل وهج هذا الشيطان الملعون من عابديك . وهذا الملعون كلما ركب هذا المغنى يتقدم الى لمس الجسد ويشعله. آه ما أصعب هذه الساعة وما أقوى وما أكرب مصاف هذا الحرب المحيط بالاخ فى تلك الساعة . هذا هو الوقت الذى يكلل فيه العمالين باكليل الشهادة وبالحقيقة يا حبيبى صدقنى فيما أقول لك ان هذه الساعة تصعب ويمض وجعها أكثر من النار ومن كل أنواع العذاب التى يعذب بها الجسد بأوجاع الشهادة من أجل المسيح فطوبى لمن اسلم نفسه للموت من أجل المسيح واحتمل هذه الساعة ولم يعط موضعا للرخاوة وينتقل من بيت القتال لانه بعد هذا الوجع الصعب يوضع على رأسه اكليل العفة الذى يضىء كله بنور عدم الاوجاع الذى يسميه اباؤنا نظر حسن ذات العقل الذى يشرق عليه شمس البر العظيم أعنى بذلك نظر نور ربنا .

إن هذا القتال لا تجعله نعمة الله يثبت كثيراً والا كان يذهب نفس الأخ ويجعل ألماً فى كليتيه من كثرة الحرارة المضطرمة من وجعه وفى أحيان كثيرة يتصاعد من هذا الحرب أبخرة تصنع ألماً فى المخ . وأما الأدوية التى تشفى هذا الحرب هى صوم الأسابيع وسهر الليالى بدون انقطاع والامتناع عن كل أكل ما خلا الخبز الساذج والامتناع من نظر النساء والحديث معهن وقراءة دائمة ومطانيات بغير انقطاع ليلا ونهاراً . وأنا أشير برأيى على من معه هذا الحرب انه مهما قاتلك لا تخرج خارجاً عن قلايتك ولا تدع آخرين يدخلون عندك فى وقت هذا القتال وأكثر من قراءة المزامير والقراءة فى أوجاع الشهداء والمطانية أمام الصليب فاذا عملت هذا فأنت

تغلبه بقوة ومعونة ربنا وتأخذ منه ذلك الميراث الذى كان قد أخذه منك أعنى بذلك العفة والطهارة.هذان هما الطابعان المضيئان بنور الثالوث المقدس

وتظهر الشياطين أيضاً فى وقت الصلاة شبه كوكب كثير النور . فبعد محاربة هذا القتال يعطى للعقل نظر ذاته وفهم نظر طبائع المخلوقات وتمتلىء النفس دائماً بفرح مخلوط فيه وجع الدموع وهذا الملعون وان كان يلجم وهيجه لكنه لا يبطل حربه مع العمال وبمقدار العمل الذى تعمل فيه النفس هكذا يغير تجاربه . فإذا نظر أن النفس لا تطيع شهوة الزنا حينئذ يضع حيلة أخرى أشر من كل الحيل والمكائد التى عملها أمام النفس فاسمع كيف ذلك.

إذا غُلب الملعون من التجربة الأولى واستحق العقل لموهبة الفهم حينئذ يغير هو أيضاً شكل محاربته مع العمال ويطرح فى الأخ أفهاماً عجيبة مستعجبة التى إذا زرعت فى قلب الراهب تجذب العقل وتخرجه من موضع النقاء الذى كان فيه ويأتى للأخ بعلامات من الكتب المقدسة فى تلك الساعة وكلما بذر زرعه الشرير يهرب ويختفى فى مخادع القلب الخفية فيمتلىء القلب خوفاً وانقباضاً ههنا يلزم الدليل الحكيم الذى يفرز الغش من الحق وان لم يكن هناك دليل وليس للعقل افراز الأرواح فسيرجع إلى مصر الشر لأنه إذا كان للنفس مجد وفهم فهو يركب أيضاً مثلهما حتى إذا استدرج النفس وأخرجها من موضع النقاء التى هى فيه حينئذ يحرك ويمد له أفكار الظن ويزعم أنه ينبغى لك أن تنفع بمعرفتك لآخرين فإذا طاوعه الأخ فى هذا فتعالى وانظر من الآن آيات وجرائح وعجائب وأفهام ليس لها ثبات تلك التى تتشبه بالحق فههنا يتفق هذا الشيطان مع شيطان السبح الباطل حتى انه إذا بذر هذا زريعته الشريرة فى الأفهام يدرج ذلك الذى للسبح الباطل لكثيرين ان يمدحونه ويمجدونه وهذا هو الذى قال الطوبانى أوغريس أن

سبح الباطل يدعو بالـكهنوت وكأن الذين يطلبونه قيام على الباب وكثيراً ما يطغى هذا الشيطان بالاحلام ويركب الاغانى للأخ الذى يتحارب معه فان كان لا يطيع السبح الباطل فانه لا يغلب منه ولـكن إذا طاوعه تبعد منه تلك القوة الالهية التى كانت تابعة له فى قتاله معهم . وإذا أبعدت منه فحينئذ تمتلىء النفس بكل نوع من الافـكار وبالاكثر فكرة الحسد تعذب النفس لانها لا تستطيع أن تسمع تسبيح الناس وان استطاع ولا تمجيد الله رب الـكل وإذا عرفت هذه الشياطين ان النفس وصلت إلى هذا الضعف حينئذ يبتعدان عنها شيطان السبح الباطل وشيطان الحسد ويبتدىء مركب الاغانى بصفته الاولى فيركب أغانيه الفاحشة تلك التى تيقظ وجع الزنا وتشتعل النفس بنار بوجع الزنا وتترك النفس بيديه ويكمل فيها كل هواه الشرير ولـكن أنت ايها الاخ العمال ان كان لك دليل حكيم نخر وتمرغ قدامه لـكيما يعلمك الطريق القويم لتسلك فيها وان لم يكن لك دليل ولم تقتن افراز الارواح بعد فاجعل لك هذه العلامة التى اقولها لك فى قلبك حتى كلما تقدم إليك هذا المجرب تعرفه لان هذا الموضع صعب جداً وبدون ان يأخذ الانسان تجربة فى ذاته فان قليلا من الناس العلماء يستطيعون افرازها . لانها اخذت شكل الخراف الودعاء من خارجها واما داخلها فممتلئة من مراة الذئاب الخاطفة ولـكن الرب قد قال انه من ثمارهم تعرفونهم فاسمع ما هى ثمارهم .

ان ابتدأت الأفهام تتحرك فى قلبك فهذه العلامة تـكون لك . اجعل بين الأفهام التى نقاء الأفـكار أو من ملاك الحفظ أو من نعمة الروح القدس أو من مواظبة القراءة أو من تلك الزروع الطبيعية تشرق فى قلبك لتلك الأفهام التى من ذلك الشيطان الملعون يزرع فيك . اعلم انه إذا ابتدأت

كل الأفهام أن تتحرك فى قلبك عند اجتماع الأفكار فيجيدون ذهنك ويملأون نفسك بالفرح ووجع الدموع ويغرقون عقلك بالإتضاع والسهولة واليقظة فاعرف انها من الجانب الأيمن . وكلما فاض ينبوع قلبك منها فاعطها موضعاً للوجهة وأربط جميع أبواب قلايتك وادخل إلى القلاية الداخلية وأجلس فى الظلام فى موضع لا يسمع فيه صوت عصفور . وان أتى وقت الصلاة فلا تقم بالكلية لكيما لا تكون مثل الطفل الذى يبدل بقلة معرفته ربوة ذهب بحبتين من التين لتحلية فمه ساعة واحدة ولكن كن كالتاجر الحكيم الذى إذا صادفته الجوهرة الكثيرة الثمن فانه لا يبدلها بالأشياء الحقيرة التى فى كل حين موضوعة أمامه . وتكون آخرتك مثل ذلك الشعب الذى خرج من مصر فانه ترك أكل المن الروحانى وكان يشتهى أكل المصريين القذر . ولكن أنت أيها الأخ العمال فادخل الموضع الذى هو داخلك واشخص نظر ذهنك لذلك النور البهى الذى من زيادة الافهام الذى من النعمة يضىء فيك واغتذى منها ما دام ربنا يعطيك موضعاً فاذا خرجت من هناك فاهتم بقوانين القلاية جيداً ولا تتوانى فى صلواتك لان الراهب إذا توانى فيها بعد خروجه يسلم بيد الشياطين مثل كلمة الآباء . فهذا هو الموضع الذى لا يتعبد للنواميس المكتوبة لان عمله هو فوق احتفاظ الناموس . وما دام الراهب مقيم هناك فليس له أن يتعبد لواحد من النواميس الموضوعة لان هذا هو الموضع الذى قال عنه الرسول انه ليس عبد ولا حر ولا ختان ولا غرلة لكن الكل وفى الكل المسيح . وان الذهن لا يستطيع أن يحتمل حرارة هذه الافهام وإليك الافراز الذى من افهام اليمين كلها فنتكلم أولا من أجل تلك التى من الزرع الطبيعى لانها هى أول زرع يزرع فى النفس . فإذا ابتدأ يقع فى قلب الانسان وجع وندامة

ويذكر احسان تدبير الله لديه فى كل حين وكم أكرم الله جنسنا برحمته ويهتم بنا فى كل حين فى أوانه وكم تكون ظلامتنا له من اننا لسنا لا نحفظ وصاياه فقط بل نغضبه بأعمالنا الشريرة ولما أغضبناه ونحن هكذا صنع معنا هو هذه الخيرات هكذا فمع هذه الافهام تأتى الدموع من العينين بلا كيل فاما علة الزرع الطبيعى فهى تكون من قراءة الكتب المقدسة . وفى حين زيارة أفهام الزرع الطبيعى إذا رقد الراهب فى الليل كان أو فى النهار فان ذهنه لا يبطل من درس المزامير والهذيذ فى الكتب المقدسة وهذه هى علامة هيجان الزرع الطبيعى فى النفس وذلك إذا ابتدأت النفس تصل إلى موضع النقاء أعنى بذلك فى أول الرتبة النفسانية . وأما محبة الفضائل التى من أجل الله فانها تكون فى زيادة أفهام الزرع الطبيعى فلو كان مستطاعا لا يترك الانسان تدبيرا ما إلا ويكمله فى ذاته .

أما علامة تحريك الافهام التى تكون من ملاك الحفظ فى النفس فان ناراً تقع فى قلب الانسان ويحترق ويشتعل بها الليل والنهار لان علة هذه الافهام التى تكون فى النفس من ملاك الحفظ تكون من تاوريا المحسوسات . فيحسن ملاك الحفظ للعقل التعجب على خلقة الله فى هذه البرية . كيف خلقت هذه البرية من لا شىء وكيف استطاعت تلك القوة الضابطة للكل أن تأتى بهذه البرية من لا شىء إلى الكينونة ويطرح فهم واحد واحد من أنواع الخلائق منه وبه فى ذهن الانسان ويجعل العقل يعجب ويدهش من وبواحدة واحدة من الطبائع . وكم اعتنى الله الصالح الرحوم بتدبير الخليقة حتى بدبيب حقير يكون على الارض وما دام مـــلاك الحفظ يرمى النار فى القلب من حرارة افهام تدبير الله الذى فى الكل يسكر قلب الانسان بالفرح وتأتى دموع بلا كيل من عينيه ولكنها لا تكون

من وجع وكآبة بل من فرح وتعجب وافهام ومع هذه الافهام يكون أيضاً فيض كلام قليل سرى ولكنها ليست أسرار أعلى من العالم بل انها من أفهام طبائع المخلوقات تأتى كلها إلى الاستعلان . وان هذا الكلام لا يثبت كثيراً من أجل ان الحرارة التى تكون من لمس الملاك تقطعه إذ أنه يكون لابسا النفس دائماً فى هذه الزيارة . والعلامة التى تدل على الافهام التى من ملاك الحفظ هى دموع فرح وحرارة أفهام لا تنقطع ليلا ولا نهاراً وهذه هى تحريك الافهام التى تكون من النعمة فى الهدوء وعند الأخ إذ تبدى وتهيج فى القلب وليس فيها دموع بل فرح بنعمة وعجب لا ينطق به من ذلك البهاء الذى يشرق منه وفيض كلام غير منقطع وأسرار وتلبيهات تكشف من فيض هذا الكلام وليست هى من كتب ولا من علم آخرين ولكن العقل ينظر تلك الأفهام التى تكون من النعمة شبه كوكب ويتنعم بها الذهن أيضاً ولا تأتى كتركيب مثل تلك التى تكون من ملاك الحفظ لكن النفس تنظر هيجان هذه الأفهام الثلاثة فتنظر الأولى التى من الزرع الطبيعى شبه حجر المها والثانية التى من ملاك الحفظ تكون نورانية والثالثة تكون مشتملة بنور الامثال له هذه هى باختصار الثلاثة علامات التى اللافهام التى من الجانب الأيمن وإليك الآن الحركة التابعة لهذا الهيجان الذى من الجانب الأيمن وعلامتها . انه عند زيارة هذه الافهام يتبعها حركة الاتضاع ذلك الذى إذا ابتدأ أن يهيج فى النفس تفوح منه ويخرج من قلب الإنسان رائحة طيبة ولا تستطيع حواس الجسد الميت قبولها حتى أن ثياب ذلك الإنسان وجسده كله يتغير من تلك الرائحة الطاهرة ونسيمها وما دامت حركة الاتضاع هذه محفوظة فى النفس فانها تشتعل فى قلب الإنسان مثل شعلة نار وما دامت هذه النار تهيج من داخل فان افهاما تشبه ينبوع ماء

تفيض وتخرج من قلب الانسان . وما دام نور هذه الأفهام يشرق فى القلب من داخل فإن دموع الفرح تأتى إلى العينين كشبه أودية ماء . وكلما سالت هذه الدموع من العينين فان القلب يمتلىء من داخله ببهجة وفرح ورجاء تلك الحياة العتيدة تلك التى لا يستطيع لسان أن يترجمها ولا يقوى على قول افهام أسرارها . ويصف آباؤنا هذه الدموع انهـا اذا وصل اليها الانسان فانه لا يخاف من قتال الفلسطينين المعقول وما دامت هذه الافهام وحركة الاتضاع هذا وهذه الدموع موجودة عند الراهب فانه لا يوجد أمام عينيه خاطىء فى العالم بل يحسب كل الناس صديقين طوبى لذلك الانسان الذى استحق لهذه الزيارة وذاق ذهنه من نعيم هذه الأسرار الالهية فانه من قوة هيجان هذه الزيارة يقع الانسان على الأرض ويمكث يوما أو اثنين لا يستطيع أن يقوم لأن الجسد لا يستطيع احتمال هذه الفرحة ولا يأخذ قوتاً ولا يكون له نوما مثل العادة لأن الجسد فى ذلك الوقت يقتات مع النفس روحانيا من حلاوة هذه الأفهام وما دام الانسان قائماً فى هذا الموضع فانه يشرق عليه نور فى الليل وفى النهار ولا يحتاج بعد إلى نور الشمس فى النهار ولا إلى القمر أيضاً فى الليل لأن الليل والنهار عنده سيان .

والذى استحق هذه الموهبة يحتاج إلى الهدوء وما دام الراهب فى هـذه الزيارة فإنه لا يحتاج إلى كمال السـاعات ولا إلى عمل القراءة لأن هذا هو تعب التاجر حتى تقع بيديه الجوهرة الـكثيرة الثمن .

انظر يا أخى ان الله لا يطلب منك فى هذه الأيام سوى حفظ الهدوء ولا يـكون لك دخول وخروج عند انسان ولا أيضا انسان يدخل عندك . اذكـر يا حبيبى ذلك الطوباني العظيم انبا اخلاس انه لم يخرج إلى الباب

الخارجى حتى عند اخذ هدية ارسلها إليه انسان من ابائنا من بنى طغمته وذلك من أجل عظم هذه الموهبة التى كان قائماً فيها وقال لذلك الذى قرع بابه لو أن هذه جميعها تفاح من ذهب فهى محسوبة عندى كمثل الزبل إذا قارنت بها الموهبة التى اعطانيها الله فى هذه الساعة هكذا أيضا الطوبانى ارسانيوس مع ذلك الذى جاء لنظره فانه لم يفتح فاه ولا تكلم مع ذلك الطوبانى الذى اتى انظره وذلك لأن ذهنه خطف بعجب لهذه الافهام وذلك النور الطاهر الذى كان قد اشرق عليه ولم يكن ذلك بهواه ولكن العجب الذى كان داخله كان يقبض لسانه ولم يكن يجعله يتكلم .

ان قال لك انسان انه بدون هذه الزيارة يستطيع الجلوس فى هدوء القلاية كما ينبغى فهو يكذب ولا تصدقه . لأن المواهب يثبت فى القلاية بسببين أحدهما من أجل سبح الناس اذ انه يثبت ويجلس أذا مجده كثيرون وهذا تكون آخرته أحد هذين الشرين إما ان يفسد عقله بأفكار سبح الباطل فى الخيالات وتطرح فيه القيود مثلما أصاب بعض المتوحدين الذين لم يكونوا يجلسون من أجل الله بل من أجل مجد الناس ولأجل ذلك تُركوا من حراسة الله تعالى ووقعوا بيد الشياطين وصاروا آية وعبرة لجميع الناس أو أن يقع بيد شيطان الزنا كما كتب الطوبانى بلاديوس فى كتاب الفردوس من أجل ذلك الطوبانى الذى ترك جلوس هدوء القلاية ومضى الى بيت الزوانى لكى يكمل شهوته وكان القديس مار اوغريس يقبل يديه ورجليه قاصداً رده من ضلالة قلة المعرفة الى التدبير الذى كان ثابتا فيه . ومثلما أصاب الطوبانى يعقوب المتنقل انه بعد ذلك الجلوس والهدوء والتعب والمواهب التى قبل من الله لأى عمق الشرور هبط لانه لم يقع من رتبته فقط بل انه قتل قتيلا وهذه عرضت له لانه أعطى موضعاً لأفكار السبح الباطل فى

همته وهكذا أيضا قال الكاتب فى سيرته انه من أجل افكار الكبرياء عرضت له هذه الوقعة لان الكبرياء يتولد من السبح الباطل . هذا الذى ليس بعد وقعته ذكر ضعفه وانعام الله عليه فقط بل والقى ايضاً كل افكار السبح الباطل واستحق الموهبة التى كانت له وأعلى منها من أجل نشاطه وتوبته التى لم يكن فيها شىء من الغش . لان الذى يجلس فى هدوء القلاية من أجل السبح وتمجيد الناس تكون آخرته لهذا الشر وأما الذى يثبت من أجل الله فانه يستحق لتلك التطويبات والعطايا التى ذكرتها من قبل . وليست تلك فقط بل والأخر التى هى أعظم منها .

اننا كنا قد بينا افرازى الأفهام التى تكون فى الذهن من النعمة أو من الزرع الطبيعى أو من ملاك الحفظ وخرج كلامنا عن القصد الذى كنا قد وضعناه لأن الخبر كان محتاجا اليه فلنرجع الآن إلى خبرنا الذى هو على زيارات الأفهام التى تكون مع الذين يجلسون فى قلاليهم بالهدوء من الجانب الأيمن . هذه التى كنت قد ذكرتها من قبل مع أشياء أخرى كثيرة التى لا أريد ذكرها فى الكتاب لكيلا اجعل بهذا علة للآثمين. لأن هناك آخر يصنع مع العمالين فى الهدوء وقد ذكرها الآباء لكن ياحبيب نفسى ينبغى أن تقال فى كل موضع لذلك أدرجها كودى لك وكسؤالك الروحانى إلى ضعفنا .

اسمع الآن أيضا يا أخى تلك الأفهام التى من ذلك الشيطان الملعون وكيف يكون هيجانها فانه إذا نظر هذا العدو الشرير ان النفس لا تتعبد لوجع الزنا القذر كما ذكرت فى البدء حينئذ يبدأ ان يتقدم إلى النفس ويلقى فيها أنواعا كثيرة وفيضا مستجداً الذى منه يحير السامعين إذ يكون من أفهامه بعض أشياء حقيقية والبعض الآخر غير حقيقية لأنه لا يستطيع أن يعطى سم الموت بدون شهد العسل واليك علامة تعرف بها الأفهام التى يزرعها هذا الشيطان .

إذا وقعت هذه فى القلب ويقبلها فانه يمتلىء أفكاراً كثيرة لأن الطياشة تتسلط عليه وكلما كثرت هذه الافهام يتخيل العقل ويتسجس وتتبلبل جميع الرتب والنواميس . وإذا تبلبلت رتب ونواميس القلاية ابتدأ انحلال الهدوء والاحتفاظ وحينئذ يمتلىء القلب عكرا وتعبا وينحل الارتباط الذى بين الجسد والنفس ويحدث فيهما رغبتان لان الجسد يشتهى ما يضر النفس والنفس تشتهى ما يضر الجسد وإذا تحاربا ذهب ذلك الفرح الذى كان من أعمال الفضيلة من الجسد والنفس وبطل ذلك السلام الذى كان فى القلب من نقاء الافكار . وبدل المعرفة الوحدانية التى هى ينبوع النور والحياة صار القلب ينبوع معارف كثيرة هذه التى هى ظلمة الضلالة وتبدلت الافكار الساذجة التى للوحدانية باخرى ماكرة كثيرة وهذه العلامة التى وضعناها هى للذى ليس له إلى الآن نظر ذاته فى الصلاة .

اذا وقفت للصلاة يا ناظر الحق فلتكن لك هذه العلامة كدليل على بذار زرع افهام هذا المجرب لانه إذا ألقى افهامه فى القلب فان النفس تتغير من التاوريا الثابتة فيها ومن السذاجة الروحانية التى اقتنتها فى وقت الصلاة مع النظرة الروحانية التى تضىء فيها وتجمع ذاتها فى مخادع القلب الداخلية حتى يخفى الذهن حسنه فى وقت الصلاة وما يظهر لك ذاته لان تلك الافهام التى من النعمة اذا كانت فى القلب تجعله ساذجا روحانيا وغير مدرك . أما تلك التى تكون من ذلك الملعون فانها تأتى بالقلب من اللطف الى الكثافة وبدل النور الذى يملأ القلب من افهام النعمة يمتلىء القلب ظلاما كثيراً . أما العلامة الحقيقية التى تكون لك أيها الناظر بين الحق والضلالة فهى افراز الحاسية الثالثة أعنى الشم . لان هذه الحاسية تكون لها فى وقت هذا القتال قوة لان تفرز بين الحق والضلالة أكثر من أى وقت آخر .

لانه حينما تبتدىء الافهام التى من النعمة فانها تهيج فى القلب تلك الرائحة اللذيذة التى تفوح وتخرج من داخل القلب كشبه ينبوع ماء وتغرق بلذتها حركات الجسد والنفس كمثل النوم . لان كلا من الجسد والنفس يكون مشاركا للآخر فى لذة هذا التنعم . وأما الافهام التى يزرعها ذلك الملعون فانها تخرج من القلب رائحة قذرة منتنة فتتعكر من نتونتها جميع أمزجة النفس والجسد .

وأنت أيها العمال لا تترك فكرك يدرس شيئاً من الفهم ما دام يحاربك هذا القتال بل اقم عقلك مثل الحجر الذى بلا حس ومثل الأصم الذى لا يتكلم ويكون لك مواظبة القراءة وعمل المطانيات والتمرغ أمام الصليب ووجع الدموع وكآبة وندامة نفس وبذلك يعبر عنك بقوة ومعونة ربنا ويعطى للعقل بعد الغلبة على هذا الشيطان افراز الارواح لانه انما يقاتل الفهماء بنوع هذه الافهام وأما مع الذين لم يقتنوا معرفة فيقاتلهم بذلك المغنى السمج الذى ذكرناه قبلا والذى يريد أن يتعلم صنعة جميع الحروب التى تقاتل الذين يجلسون فى هدوء القلاية فليتحفظ بأفكاره بالحذر ولا يعمل شيئاً بلا مشورة كـكلمة آبائنا الروحانيين فالراهب الذى يجلس فى الهدوء هو شهيد مجرب إذا حفظ أفكاره ويوضع على رأسه إكليل مجد مع الشهداء فى ذلك اليوم الذى يظهر فيه ربنا بقوة ومجد مع ملائكته الاطهار .

الراهب الذى يجلس فى الهدوء يحتاج إلى حفظ صمت الجسد وأفكار النفس وصيام دائم برتبة واتضاع ومحبة بغير أخذ بالوجوه ولا يكون له دخول وخروج وأنس مع كثيرين ما عدا انسان واحد يكشف له أفكاره

يأخذ منه مشورة على عمل الفضائل ولا يخفى أفكاره منه لانه ائتمنه على نفسه ولا يعمل شيئاً بدون مشورته .

راهب يجلس فى الهدوء ولا يكشف فكرته لابيه الروحانى فإن عمله باطل وتجارته قد سلبها جميعها بيدى أعدائه . والذى يكون هكذا يشبه من يبنى بيد واحدة ويهد بالاخرى ولا يتثبت كثيراً فى الوحدة . لانه لم يتبعه قوة الاتضاع الطاهرة وسلاح صلاة آبائه الروحانيين .

الراهب الذى يكشف أفكاره لآبائه فى هدوء القلاية يشبه شجاعا متسلحاً بجميع عدد وآلات الحرب ولا يخاف من صفوف الاعداء ويأخذ نصرة من أبيه الروحانى ويفرح لذلك الذى سلحه وأرسله إلى القتال أما الذى يجلس فى القلاية ويخفى أفكاره ولا يأخذ مشورة على جميع عمل الفضائل فانه يشبه ذلك القائم فى صف الاعداء بلا سلاح ولا آلة قتال. ومتى أراد أن يقاتل يرشق بالسهام من الاعداء ويكون ضحكة ورعبة لجميع ناظريه لكن أنت ايها الاخ المطيع اذا جلست فى هدوء القلاية فكل فكرة تعرض لك يمينية كانت أو شمالية فابسطها أمام مرشدك ومهديك ومهما قال لك فاعمله بنشاط ولا تحد عنها يميناً ولا شمالا واياك ان تخالف تلك المشورة التى أخذتها فتكون آخرتك مثل عاكر وجيحزى والاسخريوطى غير المطيعين لمشورة معلمهم لانهم حفظوا الزرع الذى زرعه الشرير فى قلوبهم وقبلوا آخرة مرة ثمرة لقلة الطاعة التى كانت لائقة لضلالتهم . لكن أنت أيها الاخ الجالس فى هدوء القلاية أطع معلمك من أجل الله كما أطاع الرسل معلمهم الحقيقى وثبتوا بأورشليم كما أوصاهم قائلا لا تبرحوا أورشليم حتى تلبسوا قوة من الاعالى . فثبتوا كوصيته وأخذوا الروح القدس مثل ألسنة نار وصاروا كارزين بملكوت السموات فى أربعة أقطار العالم

كوصية معلمهم لهم قائلا امضوا ونلمذوا كل الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وهوذا أنا معكم إلى انتهاء العالم. وهذا الوعد الذى جعله ربنا لتلاميذه الأطهار لم يكن لهم فقط بل للذين يسلكون فى آثارهم ويطيعون مشورة معلميهم مثلهم فان ربهم يكون معهم ويعطى الروح القدس فى قلوبهم هذا الذى يعلمهم نغمات جديدة لا ينطق بها وأسراراً تظهر بذلك اللسان النارى. كل هذا يعطى للذين يقبلون الروح القدس لأجل جلوسهم فى الهدوء فى القلاية ويهتمون بعمل الفضائل بمعرفة .

ان الذى يكون معه قتال ويطيع أفكار الشرير ولا يفضح ويكشف أفكاره أمام ابائه الروحانيين الذين يعرفون صنعة الحروب المعقولة فان شيطان الكبرياء يستلمة فى منتهى معركته ويطرحه من إيمان الحق ويجعله رئيس الهراطقة النجسة الذى صار لهم رئيساً ومعلما للغش .

الراهب الحكيم الذى يكون معه قتال ويكشفه أمام ابائه الروحانيين فانه بعد محاربته مع هذا القتال يعطى موهبة الأفهام على الأسرار المخفية فى الكتب المقدسة من نعمة الله وتضىء افهامها هكذا مثل الشمس ويكون له فرح لا نهاية له من اجتماع الأفكار حتى لا يستطيع الذهن احتماله إذ لا يكون فى قلب الإنسان سوى ذكر محبة مخلصنا والافراز الطاهر الذى يفرز بين الأفهام التى من الطبع والتى من ملاك الحفظ والتى تنمو من النعمة وبين تلك المضاده .

هناك قتال آخر يكون مع الجالسين فى هدوء القلاية وهذا الشيطان يسميه حكماء الروح المضجر الملهى. لأنه إذا ابتدأ الراهب فى العبادة ويريد أن يقدم ذبيحة صلاته قدام الله ويأخذ حلاوة من فهم القراءة يأتى هذا المجرب ويقف خارجا من القلاية ويركض مثل خيل كثير ويسمع صوته

حول قلاية الراهب ويقرع أيضا الباب لكيما يظن الراهب ان اناساً كثيرين قد أتوا اليه لنظره حتى انه إذا طاعه وخرج لينظر يبطله من الانس الحسن الذى كان له . وان كان الاخ يثبت فى عمله ولا يخرج إلى خارج فانه يغير صنعته بنوع آخر اعنى انه يزلزل حيطان القلاية والارض التى يقدم عليها الاخ ويشق ويهز سقف البيت كانه قد صار زلزلة عظيمة ويشير على الاخ قائلا إذا لم تهرب وتخرج الى خارج فى هذه الساعة تكون قلايتك قبرك فاذا كان الراهب يثبت ولا يخرج من موضع معركته يكون بعد هذا القتال زيادة من النعمة عند الاخ اذ يحترق قلبه مثل النار لمحبة هدوء القلاية ومداومة عمل المطانيات ومحبة درس المزامير بلا انقطاع وقراءة دائمة تلك التى تكون حلاوة افهامها للذهن مثل شهد العسل الذى يحلى فم الجسد وهذا القتال هو رفيق لشيطان الملل وأيضاً طياشة الافكار والاصوات الرقاق التى تسمع فى الجو يقولون انه هو الذى يصنعها وهو الذى يصيح الاخوة فى الليالى ويقيمهم للمزامير كما كتبت الآباء .

وبعد هذا القتال يكون للأخ فى جلوس هدوء القلاية شيطان الخوف حتى إذا دب فى القلاية دبيب حقير أو دوى ذبابة يرتعد قلب الإنسان كله كأنه يفلت من أيدى اللصوص وهذا الشيطان الملعون يظهر نفسه مراراً كثيرة فى القلاية بأشباه مخيفة التى إذا نظرها الراهب يكون جسمه كله كشبه ينبوع ماء من رعبه منها . ويملك على الراهب خوف شديد حتى يصمت لسانه فى فمه ولا يستطيع أن يتكلم ولولا أن رحمه الله تسند الراهب فى هذا القتال لكانت نفسه أيضاً تنتقل من جسده . بل أنت أيها الأخ الذى معك هذا القتال إذا نظرت هذه القتالات المخيفة اضرب بقيثار ابن يسى وقل هكذا . ليقم الرب وتتبدد أعداءه وليهرب مبغضيه قدامه . ومثل

الشمع الذى يذوب أمام حرارة النـار تضمحل أعداؤك من قدامك . ولا يعط الظالم يارب شهوته وهمته الشريرة ولا يطلع إلى الرأس . يا الله خلصنى . ربى قم لمعونتى ليخزى ويفتضح كل الذين يطلبون هلاك نفسى ويارب خلصنى من يد الظالم وعلم يارب يدى القتـال وفرحنى بخلاصك واخزى مبغضى بمعونتك وأنصت يارب بسمعك واستجب لى وليعد ظلم المبغض على رأسه والخوف والرعدة لتقع على المضاد الذى يقاتلنى . وبعد أن تضربه بهذه السهام التى لابن يسى اختم حواسك كلها بعلامة الصليب وفى الحال يضمحل من أمامك . هذا هو الجن الذى قال عنه مار أوغريس آه عيناه تبرق كالنار ويظهر اشباحاً كشبه حيات تطير فى الجو .

قال لى انسان من الاخوه انه فى بعض الأيام وأنا ملقى فى القتال مع هذا الجن الملعون خرجت خارج قلايتى فى الليل لأستريح ولما عدت قبل شروق الصباح فتحت الباب الأول الذى لقلايتى ولما دخلت أبصرت شبه تنين ممدود فى جميع القلاية وكان يخرج من فمه مثل وهيج نار وعيناه كانتا تشرقان كمصباح نار ولما نظرته أنا ذاب قلبى فى داخلى ولم استطع الدخول داخل القلاية ولا الخروج من فرط خوف ذلك المنظر لأنه قوى على هكذا حتى انى لم أكن أستطيع تحريك يدى لاصنع علامة الصليب أما هو فكان يتقلب ويأتى الى ويريد أن يبتلعنى . ولما كان ذلك الخوف ملقى على ولم أعلم ماذا أصنع انقطع رجاء حياتى من الخوف ولما نظرنى الله الصالح الرحوم ومعركة الخوف التى أنا فيها ألقى فى همتى بغته ذكر تزمير الطوباى داؤد فلما ابتدأت فى المزمـور تقوم يمينى ايضاً وصنعت قبالته عـــلامة الصليب التى لما نظرها ذلك التنين اضمحل من امامى وصار كلا شىء . فلما نظرت أنا ماكان وقعت على وجهى النهار كله وانا ارفع الشكر لله على

صديعه معى وظلت رائحة نتونته فى قلايتى ثلاثة ايام وبعد ذلك اليوم لم يدخل الخوف قلبى بل تشجع ضميرى حتى انه لو كانت الارض كلها حيات وعقارب ودبيب يسكب المرارة ما كنت اخاف من ذلك . هذا قد ذكره امامى ذلك الاخ الغريب .

وينبغى للذين يتقاتلون مع هذا الشيطان الملعون ان يقتنوا صبراً كثيراً لكيما لا يتركوا قلاليهم من اجل الخوف ويخرجون منها بل ليثبتوا ويجلسوا داخل الباب ويسهروا ويقرعوا على باب ربنا فى الليل والنهار وربنا يعبره عنهم بسرعة . لان هذا القتال لا يثبت كثيراً وبعده تقوى رخاوة اعصاب النفس وبذلك يباد من القلب كل خوف مثلما يباد الحشيش امام النار وان كان هذا الخوف من الشياطين او من صعوبات الجسد وهكذا يسكن القلب بمعونة ربنا ويمتلىء فرحا . حتى انه يداوم بصراخ كلمة بولص القائلة انه لا نار ولا سيف ولا ملائكة ولا بشر ولا ما كان ولا ما سيكون ولا خليقة اخرى لا تستطيع ان تفرقنى من محبة يسوع المسيح .

حاربوا قليلا يا اخوتى واثبتوا امام التجارب التى تعرض لكم فى جلوس هدوء القلاية لتستحقوا هذه الدالة . اصرخوا بفرح قلوبكم نحن منتصبون لتجارب العالم وتجارب العالم منتصبة لنا من اجل محبة ربنا يسوع المسيح لانه بدون الصبر على التجارب لا يستحق الراهب الكلام السرى الذى يكون فى وقت الصلاة ذلك يجعل لنا الالفة والمحبة مع الله بدالة . اذكروا يا اخوتى كلمة ربنا ومحيينا يسوع القائل ان المرأة تحزن اذا دنت ساعة ولادتها فاذا ولدت ابنا فانها لا تعد تذكر الشدة من اجل الفرح لانها ولدت انسانا فى للعالم . هكذا ايضاً جميع الذين يصبرون على الصعوبات من اجل فرح ثمرة تلك المعرفة التى تولد لهم داخل قلوبهم من صبر

الصعوبات ينسوا جميع الأحزان التى جازت عليهم فى جميع محاربتهم مع الأرواح الشريرة .

آباؤنا الروحانيون يقولون ان قلاية الراهب الوحيد هى أتون بابل الموضع الذى عاينت فيه الثلاثة فتية ابن الله . انظروا يا اخوتى انه لو لم يحتمل حنانيا ومن معه قوة اللهيب ويقطعوا على انفسهم انه خير لنا موت حياة الزمان القصير من كوننا نكفر بالله . آه يا لهذه المحبة الحارة التى لهؤلاء الأبطال الأعزاء كيف اطفأت لهيب النار هذا هو العجب الذى لا ينطق به ان النار اطفأت النار . فنار محبة بيت حنانيا اطفأت النار البابلية التى لبختنصر . فهكذا أيضاً كل الذين لهم فى قلبهم النار الالهية اذا دخلوا إلى أتون القلاية فى صبرهم على التجارب فان حرارة نار محبتهم تطفىء نار حرارة الأوجاع الطبيعية . آه ماكان أبهى وأحسن الجند الشجعان سدراك وميساك وابدناغو حينما كانوا ملتحفين بتلك النيران الالهية وكانت تظللهم تلك السحابة وكانوا يمشون داخل الاتون كمثل بلاط الملك وكانوا يرفعون الشكر لإله آبائهم لانه رش ندى سهولة عليهم وخلصهم من النار الغزيرة التى لحسد البابليين لان صبر بيت حنانيا غير أجسادهم من نظير طبيعة بنى آدم إلى نظير ملائكة النور . هكذا أيضاً كل الذين يصبرون على صعوبة أتون القلاية ولا يملون من الصعوبة التى تأتى عليهم تتغير أجسادهم من الجسدانية إلى الروحانية ويضىء وجوههم بالنور الطاهر الذى يضىء فى قلوبهم من ذلك النور الذى اضاء على بيت حنانيا الطوبانيين إذ أنه من نظر بهائه الذى أشرق عليهم اختفى نور النار البابلية من أمام أعينهم ولم يكونوا يبصرونها

بدء أعمال الجلوس فى القلاية هو الصوم والامتناع من المآكل الدسمة والفقر من المقتنيات وسهر الجسد وعطش الماء وهذه الأعمال كلها هى للرتبة

الجسدانية إذ أنها الغلوة الأولى للذين يجلسون فى الهدوء . وليس لفضائل الغلوة التى لهذه الرتبة كيل ولا قياس لأنها تشاء أن تتدبر فوق الطبيعة فى هيجانها الغير محتمل لأنها تكون من نار الزرع الطبيعى وتجعل فى الجسد آلاما كثيرة لأن مفاصل الجسد تتألم وتيبس من أجل النسك الكثير وان الشياطين لا يقاتلوا هذه الغلوة فى البدء لأنها تعرف انه ليس لها موضع عند الأخ ما دام هذا الزرع الطبيعى يشعل النفس بحرارته . بل جن السبح الباطل يخطر به فقط . فان أطاع خداع هذا الجن حينئذ تفتر حرارة هذا الزرع الطبيعى ويملك عليه الكسل وتخيل الأفكار وبعد هذا يتسلط على الراهب جن الزنا ذلك الذى يهبط به إلى الجحيم السفلى فان كان يقوم بقوة فى مصاف القتال قبالة حيل وخداع جن السبح الباطل فان غلوة ذلك الزرع الطبيعى لا تنطفىء منه وما دامت نار تلك الغلوة محفوظة عند النفس فان بعض الأوجاع لا تستطيع أن تستعبدها لهواها لان فى هذه الغلوة يصل إلى الطهارة التى يكون النقاء فوق منها .

كل معرفة الرتبة الجسدانية هى محسوسة وليس لها فوق التركيب شيئا . وكلما طلبت أن تنظر فى الله فانها باشباه التركيب تصور الله وتنظر فيه وتكون الاستعلانات والمناظر التى للقائم فى هذه الرتبة محسوسة وليست معقولة كمثل المناظر التى كانت عند الابرار نوح وابراهيم واسحق ويعقوب وباقى الصديقين الذين صاروا إلى ناموس معرفته .

ان الجسدانى إذا تصور الله فانما يتصوره بشبه الجسد الذى يلبسه لان حد الرتبة الجسدانية هى الى العبر الثانى والاردن فقط وكما ان بنى اسرائيل لما عبروا الاردن ختنهم الطوبانى يشوع بن نون ختاناً ثانياً وحينئذ دخلوا أرض الميعاد وحاربوا السبعة شعوب السكان فيها هكذا نحن أيضا اذا لم

نختن من قلوبنا الشرور ختاناً ثانياً الذى للرتبة النفسانية فاننا لا نستطيع أن نحارب سبعة الاوجاع التى تقاتلنا فى هذه الرتبة التى هى هذه : —

طياشة الافكار والحسد والظن وقلة المعرفة والكآبة وقلة الايمان والسبح الباطل مع أوجاع أخرى كثيرة تتقاتل مع هذه وكما ان تلك الرتبة الاولى كل عملها جسدانى والمعرفة التى يقبلها العقل فيها هى جسدانية هكذا أيضاً الرتبة الثانية كل عملها نفسانى ومعرفتها كلها فوق حواس الجسد وكذلك قتال هروبها نفسانى أيضا .

فلنقل الآب يا حبيبي كوعدى لك كيف تبتدىء النفس أن تدخل الرتبة النفسانية اذا كملت الدرجة الاولى فيبتدىء الرب ان يفتح أمام النفس الدرجة الثانية التى هى الرتبة الثانية فيعطى العقل أولا أفهام الاسفار الروحانية لجميع طبائع البرية وهكذا يستنير جميع كلام كتب الروح أمام العقل مثل الشمس التى تظهر رتب جميع الطبائع أمام الجسد . واذا أدرك فهم الكلمة تجيده بالعجب عليها ساعة وساعتين أو النهار كله حينئذ تتركه ليعبر الى الاخرى ويعطى اجتماع الافكار فى فكرة واحدة التى هى أن ينظر تدبير الله وليس له آخر ومن اجتماع هذه الافكار يكون له ترعة دموع ليلا ونهاراً وليست هى دموع كلفة ولا مخبلة مثل تلك التى للغلوة الاولى التى تكلمنا عنها قبل لكنها دموع هادئة ليست بمشيئة الإنسان بل تأتى من عجب الافهام وتخلى حنك الذهن هذه الدموع التى يسميها اباؤنا أرض الميعاد ومتى دخل الإنسان إلى هناك فانه لا يخاف الحروب التى تتقاتل معه لأن هذه هى الغلوة الثانية التى قال عنها القديس امونه . تلك التى لا تعطى الكثير من الرهبان الا للذين تطهروا من أوجاع الجسد والنفس ومع هذه الدموع تعطى غلوة عمل السجدات الليل والنهار ويكون الراهب ساجداً أمام الصليب بخشوع أمام الله .

من هذه الثلاثة التى ذكرت تنجلى عين العقل النيرة من كل وسخ الجسد والروح وينظر هو ذاته بنور بهاء جمال ذلك الساكن فيه وبعد نظر شخصه تبدأ التاوريا المحسوسة وغير المحسوسة تضىء فى العقل ومن تلك الأولى يتولد منهم على الدينونة وعلى العناية وإذا استحق العقل هاتين التاوريتين حينئذ يسكر الإنسان كمثل من الخمر بمحبة البشر لأنه فى نظر التاوريا الأولى يظهر له جميع أعمال بنى البشر ان كانوا خطاة وان كانوا صديقين . وكل ما يصنفه واحد واحد منهم . ولولا أن كلا من تاوريا الدينـــونة والعناية يضيئان فى ذهن الراهب لتجذباه لمحبة البشر لكان يهلك بذاته نتيجة للمناقص التى تصنع فى هذه الخليقة لأنه قد يتغير باعمالهم وكان يمتلىء قبالتهم غيرة وغضباً ورجزا وبهذه كان يهلك ذاته ولكن ربنا برحمته هكذا دبر الأشياء انه مع نظر هذه التاوريا يعطى أيضا فهم هذه الأخرى انه إذا ابتدأ العقل أن ينظر فى مناقص البشر ويشاء أن يتحرك بالغيرة قبالتهم تقع فى قلبه نار محبة البشر ويغرق العقل فى نظر وفهم هذه التاوريا بالدينونة والعناية مثلما فى عمق الماء . والحق أقول أنه إذا ابتدأ أن ينظر ضعفهم وهوان ارضهم . وكم هو مستعد لفساد الموت يذوق بفم ذهنه كما برأس الخنصرين عجب ذلك المجد الذى يقومون به بعد قيامة الأموات وليس ذلك بالنظر ولكن بالفهم لأنه فى الرتبة الأخيرة التى للكمال يستحق الإنسان نظر ذلك المجد الذى لا ينطق به ومن نظر هذه التـاوريات يستنير العقل ويتسع القلب وترق حركات النفس ويهيج الفرح من داخل القلب من فهم طبائع البرايا الذى لا يستطيع اللسان الميت أن ينطق به . وما دامت هذه الافهام تملك داخل النفس فان الدموع تأتى بلا كيل فى حين وغير حين وهكذا يتنقى العقل والذهن من كل المثالات التى تقوم قدام العقل فى وقت الصلاة كشبه الظل

وكلما يتنقى العقل من كل الافكار تضىء شمس البر فى داخل القلب وتستنير منه جميع مخادع القلب الداخلية .

طوبى لمن استحق هذا لأن فرح رجائه ثابت إلى الأبد فاذا نظرت يا حبيبى هذه العلامات فى نفسك اعلم بالحقيقة انك قائم فى المنزلة النفسانية ولكن أعرف ان حروبا وخيالات كثيرة تكون فى هذه الرتبة أكثر من الأولى والأخيرة .

إذا ابتدأ الراهب العمل بضميره الذى هو عمل الرتبة النفسانية فان الشياطين يصورون له مثل التاوريا التى تقع فى عقله ويظهرونها له ان كانت بالأجسام أو بغيرها مع بقية الأفهام الكاذبة التى قلنا عنها آنفا . لأن الشيطان يقاتل مع هؤلاء الذين فى هذه الرتبة بثلاثة أنواع من الخيالات . النوع الأول هو المثالات الوثنية التى هى اشباه جنون الزنا والنوع الثانى التى هى لجن السبح الباطل والثالث هى جن الكبرياء التى هى اشباه لامعة . فى النوعين الآخرين يحتاج العقل إلى الاتضاع والصلاة وحفظ الافكار أما ذلك الذى لنوع الخيالات الاولى فيحتاج إلى صيام وسهر كثير لانه بهذه يضمحل .ويذهب من أمام نظر النفس كل أشكال جن الزنا . لان القتالات التى تحارب مع هذه الرتبة كثيرة وصعبة جداً ويبلغ بهم الراهب إلى الموت وحينئذ يعتق منهم لأن فى هذه الرتبة يسقط العاجزون وفيها أيضاً يعتز الشجعان ويأخذون النصرة ويصلون إلى الرتبة العليا لأنه إذا وصل الراهب إلى درجة النقاء فان الله ينير ويظهر لعقله كلما صنع وما هو مزمع أن يصنع فى هذه الخليقة بل يعطى نظر العالمين الذين كانوا والذين يكونون . فالذين ابتدءوا بعمل هذه المنزلة واستحقوا نظر ذاتهم فى وقت الصلاة فليحذروا من القتالات التى تقاتلهم فى وقت بالتغيير وليجروا خلف

الاتضاع وليكشفوا ويفضحوا أفكارهم قدام معلميهم ويتخلصوا منها بمعونة ربنا فإن كانوا يطيعون الخيالات التي تظهر لهم فانها تفسد أذهانهم فلا يصلون إلى الرتبة الأولى التي لعمل الفضائل . بل ينبغي للإنسان في هذه الرتبة أن يستعمل المزامير وجميع الأعمال الجسدانية برتبة وقياس لئلا يستعملها بغير كيل فيمتنع من عمل رتبة النقاء . لأنه إذا تقدم الراهب إلى عمل الرتبة النفسانية فان رأيه يجتمع من طياشة الأفكار . ومن اجتماع الرأى تنكشف في النفس الاسرار العتيدة . وكلما انكشفت الاسرار العتيدة في النفس يملك فيها الموت من العالم وتظهر فيها الحياة الجديدة التي بالله يوما بعد يوم . فكل الأسرار والاستعلانات التي تأتي الى الظهور بهذه الرتبة وهي موضوعة تحت لسان اللحم ويكون للذهن سلطان أن يترجمها ان كان بالفهم بأحرف الكتابة .

واني أعطيك يا حبيب نفسي علامتين حقيقيتين تريك في نفسك إن كنت قد وصلت إلى هذه الرتبة الأولى . انك كلما قرأت في الكتب التي قيلت على تدبير الله يمتلىء قلبك عجبا وتنقطع الكلمة من فمك ومن عجب افهام تدبير الله يقع في قلبك كشبه شعلة نار ومرارا كثيرة تقبض بأسنانك من عظم الفرح المنطلق في قلبك . أما العلامة الأخرى فهي ان ذهنك لا يهدأ ساعة واحدة عن ذكر الله ويتلجلج لسان ذهنك داخل قلبك بالصلاة المخفية التي لا تنقطع وبالإختصار أقول لك يا أخي ما دامت تبصر هذه العلامات التي ذكرت في البدء تهيج في قلبك بلا اغتصاب ولا حرص فاعلم بالحقيقة انك قائم في الدرجة الثانية التي هي الدرجة النفسانية فأعد من الآن لداؤد بن يسى ليصعد ويملك في صهيون . هذه باختصار هي قليل من علامات كثيرة التي لدخول العقل إلى الرتبة النفسانية وهذه هي

النقاء تلك التى منها إلى فوق هو موضع الروحانية ذلك الذى هو دائماً ينادى العقل بالسبح والارتفاع غير المنقطع مع ملائكة النور .

إذا ابتدأ الآن ربنا ليهدىء عقلك يا أخى لتدخل الكورة الروحانية فلتكن لك هذه العلامة أن نظر ذهنك يرتفع من تاوريا الأجسام ومن فهم الدينونه والعناية ويختلط مع قطيع القوات الغير مرئية بذلك النور البهى الذى للثالوث المقدس وتؤخذ من عقلك تلك المعرفة التى تأتى لتركيب اللحم وتعطى المعرفة الروحانية تلك التى لا يستطيع الذهن أن يصورها ولا للسان اللحم المركب أن يتكلم عليها ولكن يناغى ذهنك مناغات رقيقة فقط تلك التى بفرحها تتنعم نفسك ولست تعلم كون أو كيفية الأسرار التى تكشف منها وفى حين بعد حين تجد عقلك يدخل به إلى موضع نور لا ينطق به ولا ينظر به سوى الأشخاص الروحانية وتخفى من أمام عينيك كل هذه الخليقة ولست تعلم ان كنت قائماً بالجسد أو بغير الجسد لأن الحاسة الجسدانية تؤخذ منك وتسمع فى ذلك الموضع المناغاة الروحانية فقط ولا تستطيع أن تفسر مناغاتهم .

هذا هو الموضع الذى تنظر فيه الطبائع الروحانية بطبعها وهيئتها وكل نظر تنظر فيه خارج عن هذا الموضع فهو خارج عن شبه طبعهم وان كان انسان يماريك على هذا فاعلم أنه بعيد عن الحق لأنه لا يمكن نظر الطبائع الروحانية بطبعها إلا فى الموضع الذى هو فوق النقاء لأن العقل إذا صفا مثلهم حينئذ ينظرهم كطبعهم .

طوبى للراهب الذى استحق ذلك النظر البهى الذى هو حسن الطبائع الروحانية ودخل إلى الموضع الطاهر وتنعم بتلك الأسرار الالهية وسمع تلك النغمات الرقيقة بالحقيقة يا حبيبى أنه متى وقع تهليل مناغاة هذه الطبائع

الروحانية فى الذهن فان الضمير يسبى بالعجب وكمثل ما فى النوم تصمت جميع حركات الجسد والنفس وتكشف أمامك تاوريا الدينونة والعناية بالنظر وليس بالفهم مثلما كانت تكشف لك فى الرتبة النفسانية .

كما أن معرفة الرجل الكامل أعلى من معرفة الطفل الصغير هكذا نظر تلك التاوريات فى موضع الروحانية أفضل منها فى الرتبة النفسانية وفى هذه الكورة الروحانية ياحبيبى لا تطأ رجل غريبة ولا يكون هناك معلم وتلميذ ولا مؤدب ومتأدب ولا عبد ولا حر بل الكل وفى الكل انسان المسيح .

ان العقل فى الكورة الروحانية يكون مثل الهدف للنشاب لقبول نظر التاوريا . مثلما أن الهدف ليس له ان يقبل ما يريد من النشاب لكن للرامى أن يضرب فيه ، هكذا العقل إذا دخل إلى موضع الروحانية فانه لا ينظر ما يريد من التاوريا لكن الروح هو الذى يدبره لأن العقل ليس له سلطان على ذاته إذا دخل إلى موضع الروحانية لكن كل تاوريا تظهر له نفسها ينظر فيها حتى تعطيه أخرى حينئذ يترك وينتقل نظره من تلك الأولى واعلم هذا بالحقيقة أن العقل ما دام يحارب بهواه لنظر التاوريات فانه لم يصل بعد إلى كورة الروحانية لأنه إذا وصل العقل إلى هناك فانه لا يكون له سلطان على تدبير ذاته لأنه حال فى السهو والى حيث يدبرونه فهناك يمضى . فالآن يا أخى لا تصغى باذنيك الى كلام اناس يهذون ويقولون انه فى كورة الروحانية للعقل سلطان أن يدبر ذاته لانهم لا يفهمون ما يقولون فلو ذاق حبك ذهنهم من خيرات ذلك الموضع ونظرت عين ضميرهم لتلك التطويبات الفاخرة البهية لما كانوا يقولون هكذا ولكن أنت يا أخى بما أنك تؤمن بأن كورة الروحانيين ليس فيها للعقل سلطان لنظر ذاته فاهرب وابعد من الذين يحكمون بمثل هذه الأقاويل بقلة معرفتهم

وأخرى خلف المعرفة الحقيقية داخلا منك لتجد كلما قلنا بالعمل .

اسمع الآن الطوباني بولص الذى وصل إلى ذلك الموضع الطاهر ونظر ذلك النور البهى وسمع بأذنى ذهنه لتلك المناغات الرقيقة وكان يقول انه كان بالجسد أو بغير الجسد لا يعلم قال إنه سمع ونظر ولكن ماذا نظر وماذا سمع فلم يكن له سلطان أن يفسر . انه نظر يسوع بلاهوته وسمع صوت تقديس الروحانيين يقدسونه ومن أجل أن الرسول لم يكن متسلطا على تدبير ذاته لم يستطع ذهنه أن يصور ما نظر ولا لسانه ان يترجم ويقول صوت الذى سمع أنا أعلم الآن يا أخى أن العقل فى ذلك الموضع حتى لذاته لا يستطيع أن ينظر لأن روحانيته متحدة مع ذلك النور الطاهر الملتحف به ولا يستطيع هو ان يفرز لذاته .

طوبى لذلك الراهب الذى استحق ان ينظر تلك النظرة المقدسة وأنا يا حبيب نفسى كلما تذكرت ذلك الموضع اعطى الويل لذاتى لأنه من أجل تدابيرى الشريرة امتنعت من نظره ومن سماع اسراره الطاهرة لأن كل الأسرار والاستعلانات التى تظهر للعقل فى هذا الموضع لا تأتى لتركيب لسان لحى . وهذه علامة صحيحة تكون لك أن ذهنك دخل إلى الكورة الروحانية إن عقلك يكون غريبا لنظر وفهم تاوريا الأجسام ويعطى تمجيد بسيط فقط الذين به يقدس الروحانيون دائماً وفى العالم العتيد أيضاً يقول اباؤنا الروحانيون ان فيه نأخذ طبيعتنا التامة بالكل لأن كل الأسرار والإستعلانات التى تكشف للعقل فى هذه الرتبة هى للعالم الجديد وهى عربون ما يتنعم به الصديقون فى القيامة .

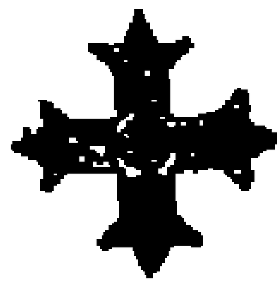
ان فى هذه الرتبة يا حبيبى ومحبوب نفسى لا توجد قتالات ولا حروب لأن عملها يعمل فوق حواس الجسد وحركات النفس فهذه هى صهيون

المجدة التى فيها عقد داؤد تاج مملكته وملك على كل أعدائه وأقسم له عبيده باليمين قائلين لا تخرج معنا إلى الحرب ولا تطفىء سراج اسرائيل. طوبى للراهب الذى سمع ذلك الصوت ولم تنطفىء من نفسه تلك النظرة الروحانية طوبى لذلك الذى نظر تلك النظرة البهية التى لربنا ومخلصنا يسوع المسيح إذا ظهر فى وقت الصلاة على الذهن الذى وصل إلى موضع النقاء لأنه ما دام ذلك النور البهى الذى هو نظر مخلصنا يظلل على العقل فانه لا يحلو له مزمور ولا قراءة وجميع أعمال الجسد والنفس قد بطلت منه .

هذا قليل من كثير سطرناه لمحبتك كمثل طلبتك منا يا أخى ووضعنا ابتداء كلمتنا أولا مصر التى هى مثال هذا العالم، وجعلنا خروجنا من هذا العالم كخروج بنى اسرائيل من مصر ، ودخولنا الى المجمع كالرتبة الجسدانية عمل بنى اسرائيل فى البرية ، وجلوسنا فى القلاية فى الهدوء ومحاربتنا مع الاوجاع والقتالات وزيارات النعمة جعلناه كعبور بنى اسرائيل للأردن ودخولهم أرض الميعاد ، وأفرزنا أيضا على الرتبة النفسانية تلك التى يعمل فيها الراهب جميع الفضائل فى تدابير الرأى ويكون فى موضع النقاء ، والموضع الذى هو فوق النقاء جعلناه صهيون التى هى الرتبة الروحانية . وأنت يا حبيب نفسى اقرأ هذا جيد وانظر والخص أفهامها وتدبير ما تكمل منزله الرتبة الاولى ويكون ابتداء لتلك الثانية ومع كمال المنزلة اجعل عيارآ لعملك لتستطيع أن تقطف أثمار معرفة عملك ولا تكن كغير الفهماء انهم إذا وضعوا قانوناً لنفوسهم لا يغيروه فكم من مرة تقع بأيديهم التجارة وهم يمعنون إلى قوانينهم . لكن أنت يا أخى مثل حكيم انظر من العلامات التى وضعناها أمامك وكل رتبة تصل اليها ابتدىء بعملها وهكذا يكون ربنا لك مهدياً ومدبراً حتى تدخل وتملك فى صهيون تلك التى لا ينطفىء فيها

سراج تدابيرك من أمام تابوت الرب الذى تتضرع لعرشه الطاهر أن يكون لك ولنا ولكل من يصادف هذه الأحرف التى لضعفنا فى يوم ظهوره البهى من السماء باجنحة نوره يتعالى للقائه فى سحاب السماء ويختلط بمصاف خدامه ويتنعم بنور نظره آمين. لأن له المجد والكرامة والرفعة مع أبيه الصالح والروح القدس من فم كل الناطقين إلى أبد الآبدين ودهر الداهرين آمين.

تمت بعون الرب لذكره السجود
تعاليم انبا فلكسينوس صلواته
الطاهرة تكون معنا وتحفظنا من
حيل المضاد بنعمة الرب
الذى له المجد إلى أبد
الآبدين ودهر
الداهرين
آمين



تم بنعمة الله طبع هذا الكتاب فى
مطبعة دير السيدة العذراء بالأسقيط (السريان)
ببرية شيهيت * أمشير ١٦٦٧ — فبراير ١٩٥١

يطلب من

مكتبة مدارس الأحد القبطية بالجيزة





الثمن ٦ قروش